

دكتور
عبد العظيم العلي محمد الرطبي

مواهب الرحمن في
بين الإسلام وخصومه

«رُدُّ عَلَى صَمَاتِ التَّسْلِيكِ فِي الْإِسْلَامِ»

مكتبة

إسلام الجليلية بحلب

القاهرة تليفون: ٢٩١٧٤٧٠

فاكس: ٢٩٠٣٧٤٦

Ref 312005
GEOR (17)

دكتور
عبد العظيم لعلج محمد اللطفي

مَوَاجِهَاتُ صِرِّيكَ
بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَخِصُومِهِ
«رُودٌ عَلَى صَمَائِلِ التَّشْكِيكِ فِي الْإِسْلَامِ»

مَكْتَبَةُ وَهْبٍ

١٤ شارع الجمهورية - عابدين

القاهرة تليفون: ٣٩١٧٤٧٠

فاكس: ٣٩٠٣٧٤٦

الطبعة الثانية
الطبعة الأولى لمكتبة وهبة

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م

حقوق الطبع محفوظة

تحذير

جميع الحقوق محفوظة لمكتبة وهبة (للطباعة والنشر). غير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج هذا الكتاب أو أى جزء منه، أو تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد إلكترونية، أو ميكانيكية، أو نقله بأى وسيلة أخرى، أو تصويره، أو تسجيله على أى نحو، بدون أخذ موافقة كتابية مسبقة من الناشر.

All rights reserved to Wahbah Publisher. No Part of this Publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior written permission of the publisher.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

هذا الكتاب الذى بين يديك، مضى على طبعته الأولى - الآن - خمس وعشرون سنة. وكانت دواعى صدوره لأول مرة فى ذلك الوقت ثلاث وثائق تراها بكل وضوح فى مقدمة طبعته الأولى عام ١٩٨٠م.

ثم لم نفكر فى طبعه مرة ثانية مع نفاذ كل نسخة من طبعته الأولى بعد نفاذها فى وقت قصير. تلك الوثائق الثلاث كانت تتحدث عن شئون غير إسلامية، لكنها تعرضت لما فيه مساس بالإسلام، يحمل بين طياته إساءات بالغة إليه، وبخاصة القرآن الكريم، ثم الرسول الخاتم ﷺ.

وهذا هو ما دفعنا آنذاك لإصدار كتابنا هذا فى طبعته الأولى، حيث أوضحنا براءة الإسلام كتاباً ورسولاً وقيماً ومبادئ، مما كانت تلك «الوثائق الثلاث» قد حاولت - بلا جدوى - إلصاقها بالإسلام.

أما دواعى هذا الطبعة الثانية فأكثر من أن تحصى، وبخاصة بعد كوارث سبتمبر عام ٢٠٠١م المعروفة.

فبعد هذه الكوارث انكسر «سد يأجوج ومأجوج» على الإسلام، بمساعدة وسائل البث العالمية الحديثة من مسموعة، ومسموعة مرئية ومقروءة وانتشار هذه الوسائل فى كل مكان وكل بيت.

هذه الوسائل تجاوزت ما كان منشوراً فى تلك «الوثائق الثلاث» بمراحل فى الكيف والكم والحماقة وإتخذت من الإسلام بكل ما يتعلق به من حقائق غرضاً لسهام طائشة تطلق عليه على مدى الأربع والعشرين ساعة، ويهدفون منها كما قالوا هم من قبل إلى واحدة من ثلاث غايات:

الأولى: القضاء على الإسلام كليةً إن أمكن ذلك.

الثانية: تشكيك الأجيال الشابة فى صحة الإسلام، أو تكريه الإسلام فى نظر أتباعه وبخاصة الشباب.

الثالثة: هي تحجيم الإسلام والحيلولة بينه وبين الانتشار، وبخاصة في الغرب، ليعيش الإسلام محصوراً في حيز ضيق حتى لا يقضى على ما عداه من مذاهب وأيديولوجيات.

لذلك فقد خصوم الإسلام عقولهم، وراحوا يكيلون له التهم جزافاً وبلا أدنى ضوابط. والذي يتابع ما تبثه وسائل الإعلام الحديثة من مواقع «النت» وبعض الفضائيات وغيرها التي تبث إرساليها من بعض عواصم الغرب، ثم يزن هذا بموازين واعية يدرك أن ما يقال عن الإسلام من كل هذه «المنافذ» أنه لو كان في الوجود شيء أدخل في مفهوم «الانعدام» من الوهم لكان ما يقولونه عن الإسلام الآن. وأقسم على ذلك بالله قسماً لاحت فيه.

وكان الإسلام في هذا المجال هو المعتدى عليه دائماً، بل هو «المجنى عليه» ظلماً وعدواناً، لأنه يقف من غيره موقف المسالمة. والتودد بغية الوصول إلى كلمة سواء. فإذا تعذر ذلك ترك لكل مخالف حرية الاعتقاد وحرية إقامة الشعائر على أن يحترم كل الآخر، ويعمل كل على شاكلته لكنه - بهذه التجاوزات - لم يجد احتراماً متبادلاً بل طعوناً سخيفة مع إيماننا بكل الرسالات وتصديقنا لكل ما أنزله الله على رسله، فالقرآن يقول لمحمد ﷺ: «قل آمنت بما أنزل الله من كتاب، وأمرت لأعدل بينكم».

* * *

ونضع بين أيدي القراء نماذج خطيرة من المستجدات التي حدثت خلال السنوات الثلاث التالية لكوارث سبتمبر عام ٢٠٠١م.

● هل القرآن معصوم «وهو كتاب من ٢٤٧ صفحة قيل في مقدمته أنه طبع في النمسا، في دار نشر تسمى «نور الحياة» ووزع عشوائياً في مصر بأعداد تعد بالآلاف، يوزع مجاناً.

يحتوى هذا الكتاب على أكثر من مائتى طعن في القرآن ورسوله ومبادئ وقيم الإسلام.

ومؤلفه أسم حركى «عبدالله عبدالقادر» هو عمل جماعى لا فردى.

● الإتيان في تحريف القرآن « بُث في شهر رمضان الماضي علي أحد مواقع «النت» يتكون من ١١٢ صفحة. يهدف هذا الكتاب إلى مقولة كثيراً ما قيلت أن القرآن ليس وحياً من عند الله؟

وهذا الكتاب مجموعة أكاذيب لم يصح ولن يصح منها شيء. وهذا مثال منها:

« جاء علي بن أبي طالب إلى عمر بن الخطاب (رضى الله عنهما) بعد وفاة عثمان بن عفان. وقال لعمر: إن عندي نسخة غير محرفة من القرآن غير مصحف عثمان. هل أتى بها إليك؟

فقال عمر: لا حاجة لنا بك ولا بقرآنك. القرآن هو ما جمعه عثمان.

ولأول وهلة يظهر لك أن هذا الكلام مكذوب لا أساس له.

لأن عمر - رضي الله عنه توفي قبل وفاة عثمان لا بعده؟

ولأن عثمان جمع القرآن بعد وفاة عمر ولم يجمعه في حياة عمر؟

فكيف يأتي علي - رضي الله عنه إلى عمر بعد موته ويقول له هذا الكلام الذي

لا يقوله عاقل؟

وهكذا كل ما ورد في كتاب «الاتقان في تحريف القرآن» هو من هذا الهذيان.

● «الفرقان الحق» وهو الكتاب الذي صدر في أمريكا ويبلغ ٣٦٠ صفحة.

ادعى فيه مؤلفوه، ومنهم يهود، أنه وحى أنزله الله عليهم بعد كوارث سبتمبر عام ٢٠٠١م.

هذا الكتاب فيه نقض لكل ما ورد في القرآن من عقائد وتشريع وعبادات

وأخلاق. وكله افتراء سخيف على الإسلام من أوله إلى آخره.

فهو يعتبر المسلمين مشركين يعبدون تسعة وتسعين إلهاً هكذا، يقصدون

بالآلهة التسعة والتسعين أسماء الله الحسنی.

ومما قالوه في هذا الشأن أن الله أنزل عليهم - في ما أنزل - الهذيان الآتي:

« أن الذين ضلوا من عبادنا (يعني المسلمين) قد أشركوا بنا شركة عظيمة.

حسبونا تسعة وتسعين إلهاً. أسماء وصفات للانس والجن ما أنزلنا بها من سلطان».

هذا هو «الفرقان الجديد، لأمريكا، أو البهتان الجديد كما ينبغي أن يوصف.

وما أكثر ما فى هذا الغثيان من غرائب وأباطيل .

● وثيقة أخرى بالصوت والصورة، تنهجم على الإسلام، وتتهكم فى أساليب سخيفة من ذلك أنهم أتفقوا على عدم تسمية القرآن بـ«القرآن» وإنما يتحدثون عنه بينهم باسم «كتاب الآخرين»!؟
وفى ذلك سخرية بالقرآن وبالمسلمين فى آن واحد، هذا قليل من كثير من المستجدات التى طمت وغمت الآن .

على أن لدينا إضافة جديدة بالذكر فى خاتمة هذه المقدمة هى :

أن إحدى الوثائق الثلاث، التى ستعرفها فى مقدمة الطبعة الأولى، كنا قد رددنا عليها منذ ربع قرن حين صدور الطبعة الأولى منها . وهى الآن فى الطبعة السادسة . وتوزع نسخ منها على الشباب المسلم مجاناً فى بعض المجتمعات الطلابية ويقوم بتوزيعها عليهم أشخاص مجهولون . وثمنها لو بيعت لا يقل عن عشرين جنيهاً . هذا وغيره حملنا على إخراج الطبعة الثانية من كتابنا «مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه» حماية لشبابنا من الفتن، وإعمالاً بحق الرد على كل ما يمس الدين، والله من وراء القصد .

د . عبد العظيم المطعنى

عفا الله عنه

تقديم

في أول ديسمبر سنة ١٩٧٠ نشرت مجلة الهلال المصرية في عددها الثاني عشر مقالا للأنبا شنودة بابا الإسكندرية الثالث وبطريرك الكرازة المرقسية . وكان عنوان المقال :

القرآن والمسيحية

● وقال في مقدمته :

« موضوع واسع كهذا كتبت فيه مجلدات عديدة، ولم توفه حقه بعد، لست أستطيع أن أدعى بأننى سألم بأطرافه المترامية فى صفحات قليلة كهذه، وإنما سأعرض لبعض النقاط المحدودة وألقى عليها ضوءاً بسيطاً نراها من خلاله، ونترك التفاصيل لبحوث خاصة!؟» .

وقد تناول فى المقال مجموعة من القضايا الدينية والفكرية، بعضها لا يختلف معه حولها. وبعضها لا تملك مجاراته عليه لاختلافها مع عقيدة المسلم اختلافاً عميقاً. ومجرد التسليم بها معناه أن المسلم يتهم مصادر العقيدة الإسلامية، وفى مقدمتها القرآن الحكيم، بالكذب. وهذا هو الكفر الصراح!؟

على أن أغرب ما فى هذا المقال أن الكاتب يستشهد على صحة ما يقول مما هو مخالف لعقيدة المسلم بآيات من القرآن الكريم، ونصوص من السنة الشريفة، كما يستشهد بأقوال مفسرى القرآن الكريم فكيف يستقيم هذا، وعقيدة عامة النصرارى، فضلاً عن عقيدة آباؤهم وكهنتهم - لا تؤمن برسالة الإسلام كتاباً ورسولاً!؟

وليت الأمر يقف عند مجرد الاستشهاد، وإذن لهان الخطب، ولكن الكاتب يلوى معانى النصوص ليا كريبها، ويقسرها قسراً على المراد!؟

وأمر ثالث نلاحظه فى هذا المقال، وهو أن الكاتب بحث عن النصوص الإسلامية قرآناً وسنة وأقوال مفسرين التى يمكن من حيث الظاهر، تطويعها وحملها على مراده، فاعتمدها واستشهد بها وترك ما عداها من النصوص التى تتعلق بنفس الأفكار

والعقائد التي أوردتها فلم يقيم لها شأنًا، سعياً وراء إيهام القراء بأن ما يقرره هو صحيح تؤيده مصادر العقيدة في الإسلام. وهذا خطأ منهجي جسيم. إذ كان يجب لو أراد البحث عن الحقيقة المجردة - أن يورد كل النصوص المتعلقة بالفكرة المدروسة، منتهياً إلى ما تنتهي إليه من «حقائق» مهما كان مؤداها. أما وقد فعل ما فعل. فإن النتائج التي أوردتها ليست ذات قيمة، لخروجه على المنهج العلمي السليم في البحث والاستنتاج!؟

فإذا كان هدف الكاتب من ذلك المقال هم بنو عقيدته فإنه لم يخلص لهم النص لآخفائه الحقيقة عنهم. وإن استهدف غيرهم فإن عور المنهج المتخذ في ذلك المقال لا يخفى على أحد من ذلك «الغير» صحيح أنه قد يترك لدى بعضهم، وخاصة الشباب - ظلالاً باهتة من التشكيك، ومن أجل هذا وضعنا هذه «المواجهة» حماية لعقيدتهم. وصونا للحق أن يضاع.

وأمر رابع نلاحظه في منهج المقال. وهو أن الكاتب يقوم أحياناً ببتير النصوص فيذكر ما يوافق. ويهمل ما يخالفه. فقد يأخذ جزءاً من آية، ويترك جزءاً آخر، لأن الذي أخذه يمكن حمله من حيث الظاهر أيضاً على تأييد مدعاه. وأما الجزء المتروك فإنه يهدم - لو ذكره - ما بناه. ولذلك ترك.

وقد أثار البابا في مقاله القضايا الآتية، واستشهد على صحتها بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال العلماء المسلمين. وتلك القضايا هي:

١- أن القرآن لم ينسخ لا التوراة ولا الإنجيل. بل هو دعا إلى الإيمان بهما والعمل بمقتضاهما!؟

٢- أن التوراة والإنجيل لم يقع بهما تحريف. والقرآن يشهد بذلك ويحكم على من يعتقد خلاف ذلك بأنه كافر خاسر!؟

٣- إن معجزات السيد المسيح، وخاصة الخلق وعلم الغيب، فوق مستوى البشر - جميعاً - لأنها - أي معجزات عيسى عليه السلام - من عمل الله نفسه.؟! ولذلك فإن عيسى قد احتل - في القرآن - منزلة رفيعة لم يتمتع بها أحد سواه من البشر. ولو كانوا رسلاً لله!؟

٤- أن النصراني - مع اعتقادهم في الثالوث - موحدون لا مشركون ويذكر لتأييد هذا الادعاء حشداً هائلاً من آيات القرآن الكريم. واضعاً لها في غير موضعها. مريداً منها ما ليس فيها!؟

هذا ، وقد وعد الكاتب فى مقاله ذاك فى ذلك الحين^(١) بصدور بحوث خاصة تقوم بمهمة التفصيل والبسط لهذه القضايا التى أوجز هو القول فيها نظرا لطبيعة ضيق المساحة فى مجلة الهلال التى نشرت ذلك المقال ؟
فما الذى حدث بعد ذلك الوعد !؟

استحالة تحريف الكتاب المقدس ...؟!!

إن الذى حدث . هو واحد من تلك « البحوث الخاصة » التى وعد بها البابا من منذ ثمانى سنوات . أنه كتاب ظهر بعنوان : استحالة تحريف الكتاب المقدس . أصدرته كنيسة الشهيذة القديسة دميانة بالهرم . ومادة الكتاب – كما جاء فى مقدمة طبعته – هى ثمرة الدراسات التى ألقىت بكنيسة الشهيذة القديسة دميانة بشارع الهرم ردا على تساؤلات شباب الكنيسة فى هذا الموضوع^(٢) وقام بتحريم مادة الكتاب « مهندس وهيب عزيز خليل » وأسهم فى إخراجه كل من : البابا شنودة والأنبا دوماديوس أسقف الجيزة . وراجع الكتاب الايبودياكون الدكتور إبراهيم سدراك .

وقد نفذت الطبعة الأولى من هذا الكتاب فى أقل من شهر كما جاء فى مقدمته . وقام بكتابة مقدمتى الطبعتين الأولى والثانية القس مرقس حبيب .

وتاريخ صدور الطبعتين هو كالاتى :

الطبعة الثانية

الطبعة الأولى

أول توت سنة ١٦٩٥ ق

أول توت سنة ١٦٩٤ ق

١١ سبتمبر سنة ١٩٧٨

١١ سبتمبر سنة ١٩٧٧ م

أى أن تاريخ صدورهما متحد (يوم معين من شهر معين) وأى (أخرى) أن الفارق بين صدور الطبعتين هو عام واحد (١) .

ويقع الكتاب فى طبعته الثانية «المزيدة المنقحة» فى ست وثلاثين وثلاثمائة صفحة من القطع المتوسط . ويشتمل على ستة أبواب ، وهى مع الترتيب^(٣) :

من ص ١٥ إلى ص ٣٠

١- جولة فى ربوع الكتاب المقدس

من ص ٣٠ إلى ص ٥٧

٢- دحض الدعوى بتحريف الكتاب المقدس

(٢) مقدمة الطبعة الثانية (ص ٨) .

(١) أول ديسمبر سنة ١٩٧٠

(٣) وقد تعددت اللقطات الزكغرافية فى الكتاب لصفحات من الصحف السيارة وبعض

المؤلفات الخاصة .

٣- شهادة الإسلام لصحة الكتاب المقدس من ص ٥٨ إلى ص ٢٨٣
 ٤- الكتاب المقدس والعلم الحديث من ص ٢٨٤ إلى ص ٢٩٥
 ٥- شهادة الحفريات لصحة الكتاب المقدس من ص ٢٩٦ إلى ص ٣٠٨
 ٦- شهادة كبار الشخصيات العالمية للكتاب المقدس من ص ٣٠٩ إلى ص ٣٢٥
 ولئن يهمننا من هذا كله سوى البابين الثاني والثالث إذ يكاد الكتاب كله أن يكون محصوراً فيهما، فقد استبد الحديث فيهما بقدر كبير من صفحاته (٢٥٣) صفحة من المجموع الكلي وهو (٣٣٦) صفحة والباقي وهو (٧٢) صفحة موزعة على الأربعة الأبواب الأخرى أى أن متوسط الباب الواحد منها هو (١٨) صفحة فحسب. وهذا معناه أن مادة هذا الكتاب هي مادة إسلامية.

وهذا هو الذى حملنا على مناقشة ما ورد فى كتاب «الاستحالة» لأن مخرجيه قد سطوا على مئات الآيات القرآنية تصرفوا فيها بالحذف وقسروها قسراً على مرادهم، كما اعتدوا على معانى النصوص القرآنية وفسروها تفسيراً خاضعاً للهوى.

وفضلاً عن هذا فإن مخرجى كتاب «الاستحالة» قد استحدثوا نوعاً من التهجم على الإسلام ومبادئه ورسوله، فقاموا بعمل جداول بين خصائص الإسلام متمثلة فى النصوص القرآنية، وبين المعتقدات النصرانية وقارنوا بينها مقارنة ظالمة، رأينا من أوجب الواجبات أن نواجهها مواجهة موضوعية الفكر بالفكر. والحجة بالحجة. وإلا فإن السكوت فى مثل هذه المواقف قد يؤدى إلى ما لا تحمد عقباه.

ولن نشير فى هذه المواجهة إلا ما أثاروه هم من قضايا، ولن نتعدى حدود الخصومة الماثرة على أيديهم. فلسنا - فى هذه المواجهة - مهاجمين، بل مدافعون. والدفاع - دائماً - واجب مقدس لا ينكره شرع ولا عرف.

وقد قرأت منذ سنين طويلة موعظة لا بأس من ذكرها هنا. لأن المقام يقتضيها. وخلصتها أن نوحاً عليه السلام كان يسير يوماً فى طريق جبل خال من المارة، فأبصر أسداً نائماً على قارعة الطريق، فوكزه برجله فصحا الأسد وأحدث فى نوح - عليه السلام - جرحاً. فقال نوح: يا رب أسدك عقرنى؟ وإذا به يسمع صوتاً يقول: يا نوح أنت بدأت والبادئ أظلم...؟!.

وقبل أن نبدأ فى المناقشة نعرض على القارئ قصة وثيقة أخرى سارت فى نفس الطريق الذى سارت فيه الوثيقتان الأوليان. ظهرت فى أوائل صيف ١٩٧٨ بعنوان ...

* * *

أى الاثنین أقدر .. عیسی أم محمد ..؟!!

ولما كانت هذه الوثيقة غير منسوبة لأحد، بل قيل أنها وافدة من داکار عن طريق البريد الإعلامی . فإنها أسفرت عن وجه قبیح فی التهجم علی رسول الإسلام، ورمته بكل نقیصة وحذرت المسلمین من الإیمان به، والاعتماد علیه فی الخلاص من الذنوب، وأظهرته فی مظهر المدعی الأفاک الذی ادعی النبوة وزعم أن الوحی نزل علیه؟! ويقولون أنه لو كان صادقاً لقام بمعجزات .. کیف وأنه لم یأت بمعجزات قط . ولكن بعض المسلمین یؤمنون بأنه صاحب معجزات بید أن الأذکیاء من المسلمین یعتقدون أن المعجزات التی قد ردها البعض عن «محمد» ﷺ – إنما هی نوع من التفکیر الخرافی لم یقم علیه دلیل .

ويقولون أن «محمدًا» ﷺ مولود من بشرین أب وأم ولما كان البشر – جميعاً – آثمین . فإنه ورث عن أبویه الطبیعة الآثمة . فعاش شهوانیا تزوج عدة مرات . وتسبب فی قتل الكثير من أصحابه .

ويقولون : أنه مذنب مجرم آثم، فكيف يخلص آثم مثله أن المخلص الوحيد للناس من آثامهم وذنوبهم هو عیسی فعلى المسلمین أن یلتفوا حوله لینقذهم من ذنوبهم .

والمضحك – حقاً – أن هذه الوثيقة مع اتهامها لرسول الإسلام ﷺ بأنه مدعی نبوة لم ینزل علیه وحی . مع هذا كله فإنها تستشهد بآیات من القرآن الحكیم لتستدل بها علی :

أولاً : أن رسول الإسلام لم یقم قط بمعجزات ...؟!!

ثانياً : أفضلیة عیسی علیه السلام علی محمد ﷺ . بل علی سائر الأنبیاء والمرسلین . أن أساس التدلیل، وأساس المقارنة فی هذه الوثيقة كانت آیات القرآن . بها ذموا من ذموا، ومدحوا من مدحوا .

وبها نفوا ما نفوا، وأثبتوا ما أثبتوا مع أنهم یدعون أن محمدًا ﷺ مدعی نبوة ولم ینزل علیه وحی من السماء .

فكان الحرى بهم أن لا یعتمدوا علی القرآن فی إثبات مدعیاتهم . وإلا فإن استشهادهم به دلیل علی ضعف ما لديهم من براهین، أو قل انعدامها البتة .

فها هم قد دخلوا المعركة بسلاح عدوهم . ولو كان لديهم سلاح خاص بهم -
يضمنون به النصر - لاستعملوه، ولكننا نقول لهؤلاء ولهؤلاء أن أصحاب هذا السلاح
قادرون على استرداده ممن استلبه . وهم أقدر على «استعماله» وإحراز النصر به . لأنه
سلاح لم تسبق له هزيمة قط . أن المسلمين قد يهزمون عسكريا، ولكن الإسلام لن
يهزم «فكريا» بل هو قادر على مواجهة كل النظم والايديولوجيات، لأن الإسلام ليس -
دائما - هو المسلمين .

● منهجنا فى هذه المواجهة :

ونوضح للقارىء - ابتداء - الأصول المنهجية التى ندير عليها شأن هذه المواجهة

وهى :

١- نصوص القرآن الحكيم والمصادر الإسلامية الأخرى . ولا يقلل فى هذا كون
من نحاورهم مختلفين معنا فى العقيدة .. فهم قد بدأوا فى الاستدلال وكفونا مؤنة
المخاطرة .

٢- نصوص الكتاب المقدس بعهديه وهذا أمر مسلم . بيد أن الذى أحب أن
يستشعره القارئ، وهو يطالع هذا الكتاب أننا حين نذكر نصا من نصوص الكتاب
المقدس بعهديه لا نقصد أكثر من الاحتجاج به على قوم هم به يؤمنون مع ما لنا من
تحفظات سنغنى أنفسنا من ذكرها إلا عند الضرورة .

٣- واقعنا وواقعهم . فإن الواقع ظل المبدأ وبه يكون وسوف نتخذ من هذا الواقع
- سواء لدينا أو لديهم - مبدءا للحوار فى بعض القضايا والمواقف - كما سنرى -
وليس فى كل موقف من هذه المواجهة .

٤- العقل . وهو قاسم مشترك بين طرفى كل نزاع، عندما يكون موضوع النزاع
واحدا من العقليات . ولا ريب أن بعض القضايا المثارة فى تلك الوثائق الثلاث يدخل
فى مجال العقل من أوسع الأبواب .

والله نسأل أن يجمعنا على الهدى . وأن يجنبنا مزالق الهلاك والردى . إنه سميع
مجيب .

المؤلف

د . عبد العظيم المطعنى

عفا الله عنه

القسم الأول

وثيقة البابا المنشورة بمجلة الهلال

عرض ونقد

قلنا أن البابا قد أثار عدة قضايا في مقاله المشار إليه في مقدمة هذه المواجهة. وأنه جعل المعول عليه في الاستشهاد هو القرآن الكريم ولما كانت تلك القضايا تختلف مع ما يعتقد المسلم. فإن إقامة الدليل عليها من المصادر الإسلامية، وعلى رأسها القرآن العظيم، تعنى فيما تعنى واحدا من أمرين:

أحدهما : أما أن القرآن - دستور الإسلام - يدعو إلى الشيء وضده ويجعلهما في درجة واحدة من الصحة والاعتقاد.

وثانيهما : أن كثيرا من العقائد التي يؤمن بها المسلم من أوثق مصادر الإسلام تصبح «باطلة» ما دام المخالف قد أقام الدليل من القرآن نفسه على صحة ما هو مؤمن به مما يخالف العقائد الإسلامية.

وكلا الأمرين خطأ وخطر ينبغي التصدي لهما الحجة بالحجة، والبرهان بمثله والذي يهمننا مما ذكره البابا عدة أمور:

أولاً : ادعائه صحة إيمان النصارى مع إنكارهم للإيمان بالإسلام؟!
ثانياً : ادعائه سلامة التوراة والإنجيل من التحريف. وأن من يؤمن بأنهما محرфан فهو كافر خاسر؟!
ثالثاً : ادعائه أن القرآن لم ينسخ لا التوراة ولا الإنجيل. وأن القرآن يدعو إلى العمل بهما، فإن لم يعملوا بهما فهم ليسوا على شيء...؟!
رابعاً : ادعائه أن عيسى عليه السلام له منزلة رفيعة في القرآن ترفعه فوق مستوى البشرى. ولم يتمتع بها أحد غيره...؟!
خامساً : ادعائه أن عقيدة «التثليث» التي يؤمن بها النصارى، لا تختلف عن عقيدة «التوحيد» عند المسلمين؟!
ولولا أن البابا قد استشهد على هذه «العقائد» من القرآن الحكيم لما كلفنا أنفسنا كتابة سطر واحد في الرد عليها. فالتناس أحرار فيما يعتقدون. وإنما اضطررنا لمواجهتها هنا دفاعاً عن عقائدنا ورداً لاعتبار النصوص الإسلامية التي استكرهت على غير المراد منها استكراها غير محمود. والسكوت على هذا الاستكراه يوحى لشبابنا أن ما يدعيه مخالفو الإسلام صحيح وهذه هي الكارثة التي لا تبقى ولا تذر.

من أجل هذا. وهذا وحده، نضع هذه المواجهة للدفع وليس للهجوم والله يهدينا إلى سواء السبيل، ولنبدأ عملنا مستهدين بالله ربنا ورب كل شيء.

* * *

القضية الأولى : ادعاؤه صحة إيمان النصارى مع نكران الإسلام ...؟! !

ذهب البابا فى مقاله إلى القول بصحة إيمان النصارى مع نكرانه للإيمان برسالة محمد ﷺ، واستشهد على صدق مدعاه بكثير من النصوص القرآنية، وها نحن أولاء نوردنا نصا نصا ونرد لها اعتبارها مزيلين عنها كل زيف أو غموض . موضحين خلوها تماما مما حملها عليه البابا فى مقاله المذكور .

ومن تلك النصوص قوله تعالى :

﴿... مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران : ١١٣ - ١١٤] فى هذه الآية الحكيمة ثناء من الله على أمة من أهل الكتاب، وصفها الله بالقيام وهو الاستقامة على الدين فى بعض الآراء، ثم بتلاوة آيات الله فى الليل والناس نيام وبالسجود، والإيمان بالله واليوم الآخر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمسارة فى الخيرات، وكونهم من الصالحين .

وقد أغرت هذه الصفات «البابا شنودة» فانتزعها انتزاعا من كل الملابس وحملها على أنها أوصاف للنصارى جاء بها صريح القرآن !
ثم مهد لهذا الادعاء فحذف من الآية الأولى صدرها، وهو «ليسوا سواء» موهما قارئه أن أصل الآية هكذا ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ...﴾ ولولا أنه خشى افتضاح أمره لحذف كلمة «من» لتكون الآية هكذا ﴿أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ...﴾ لأن «من» هذه لها دلالة قوية فى دحض مدعاه كما سيحىء .

وهذا الادعاء الذى ادعاه «البابا» مردود من كل الوجوه . وذلك لأن لهاتين الآيتين ارتباطا وثيقا بالآيات التى سبقتها، ونقل للقارئ نسق الآيات كاملا ليشارك معنا فى فهم بطلان ما ادعاه البابا، وإليك ذلك النسق الحكيم :

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ * لَنْ

يَضْرِبُواكُمْ إِلَّا أذى وَإِنْ يَقَاتُواكُمْ يُولُواكُمْ الْاَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُبْصِرُونَ * ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ
 اَيْنَ مَا تُقْفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللّٰهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللّٰهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ
 الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّٰهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا
 وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * لَيْسُوا سَوَاءً ﴿١١٠﴾ ، ﴿مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ...﴾ هذا هو نسق
 الآيات الحكيم . فقد سبق على هاتين الآيتين اللتين استشهد بهما البابا ثلاث آيات
 هي [١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، من آل عمران] . استهلّت الآية الأولى منهما بقوله تعالى
 مخاطباً أصحاب محمد ﷺ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ثم بين خصائص
 هذه الأمة وهي الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله ثم أردف على هذا
 قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ثم
 بين في الآية رقم (١١٢) سوء حال أهل الكتاب، وقبح جرائمهم، فأوضح أن الذلّة قد
 لازمتهم، والمسكنة قد شملتهم بسبب كفرهم بآيات الله، وقتلهم أنبياءه بغير حق،
 وعصيانهم لله، واعتدائهم على حرّماته .

هذه أحكام عامة جرت على أهل الكتاب . فهذا شأنهم، والمراد منهم هنا هم
 اليهود خاصة؟ لأنهم كانوا يعايشون المسلمين في المدينة . وسورة آل عمران نفسها
 مدنية .

بيد أن هناك جماعة منهم قد أسلموا وأطاعوا الله ورسوله وهم على ما ذكر
 المفسرون :

« أخرج أبو اسحق والطبراني، والبيهقي، وغيرهم عن ابن عباس قال : لما أسلم
 عبد الله بن سلام، وثعلبة بن شعبة، وأسيد بن شعبة، وأسيد بن عبيد، ومن أسلم من
 يهود معهم فآمنوا وصدقوا، ورجبوا في الإسلام . قالت أحبار يهود، وأهل الكفر منهم :
 ما آمن بمحمد وتبعه إلا شرارنا، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم ورجبوا في
 غيره فاتزل الله تعالى في ذلك : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ إلى قوله
 سبحانه وتعالى : ﴿ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ فالأمة التي يصفها القرآن هنا هم من
 أسلم منهم وحسن إسلامه وليس المراد وصف أهل الكتاب عامة (١) .

(١) تفسير روح المعاني الألوّسى (ج٤ ص ٣٢) والفخر الرازي (ج٨ ص ١٨٧)
 والكشاف للزمخشري (ج١ ص ٤٥٦) والقرطبي (ج٤ ص ١٧٥) والنسفي (ج١ ص ١٧٦)
 وأسباب النزول للواحدى (ص ٦٨) .

وقد نقل الواحدى فى أسباب النزول اشتراك مقاتل مع ابن عباس فى هذه الرواية .

وعلى هذا فإن الآية قد أخرجت من أسلموا من اليهود، والنصارى من تلك الأوصاف العامة التى هى شأن أهل الكتاب . وبينت أن أهل الكتاب ليسوا كلهم مستوين . فمن بقى منهم على كفره بمحمد ﷺ فحاله هو ما تحدثت عنه الآية المتقدمة «ضربت عليهم الذلة ..» ومن أسلم منهم فحاله هو ما تحدثت عنه الآيتان : ﴿مَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ...﴾ و ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وهما اللبتان أراد البابا تسخيرهما لصدق مدعاه ...؟! .

وسياق الآيات نفسه يبين إلى أى حد بلغ استخفاف «البابا» بحرمة النص والتهمج المكشوف عليه . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ فكيف يستقيم أن ينفى عنهم الإيمان وهم على حالهم من نكران رسالة محمد ﷺ ، ثم يعود فيثبت لهم ذلك الإيمان المنفى عنهم وهم باقون على نكرانهم لم يتحولوا عنه؟! .

هذه واحد . والثانية : إن قوله تعالى : ﴿مَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ...﴾ فكلمة «من» تفيد . البعضية» ولا تفيد «العموم» وتلك البعضية تحققت بالذين خرجوا من عقيدة اليهود، والنصارى بإسلامهم وإيمانهم برسول الله جميعاً ولم يفرقوا بين أحد منهم، وتلك هى عقيدة المسلمين . هذه هى الثانية، والثالثة :

أن فاصلة الآية الكريمة جاءت على هذا السياق «وهم يسجدون» فهل فى صلاة اليهود والنصارى سجود كما هو فى صلاة المسلمين؟! . أن هذه الدلائل جميعاً تؤكد بوضوح لدى المسلم وغير المسلم أن الآيتين اللتين استشهد بهما «البابا» على صدق مدعاه بعيدتان كل البعد عما أراده منهما فبقية دعواه وهما من الأوهام .

ويستشهد «البابا» بقوله تعالى :

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة : ١٢١] .

وهدف «البابا» من ذكر هذه الآية - كما أفصح عنه كتاب «استحالة تحريف

الكتاب المقدس» كما سيأتى - هو أن المراد من الكتاب هو الكتاب المقدس وعلى هذا فإن المراد من «الذين آتيناهم الكتاب» هم النصارى. فهم يتلونه حق تلاوته، ويؤمنون به، ومن لم يؤمن به سليماً غير محرف، وهم المسلمون، فهم الخاسرون الكافرون؟! فقد ورد فى كتاب: «الاستحالة» ما يأتى تعليقا على هذه الآية الكريمة: «كما يؤكد القرآن ما سبقت الإشارة إليه من أن الذين لا يؤمنون بالكتاب المقدس يكونون خاسرون (هكذا برفع المنصوب!) فكيف يكونون خاسرين إذا كان الكتاب المقدس محرفاً»^(١).

هذه هى دعواهم فهل لها وجه من الصحة؟!؟

جاء فى التفسير الكبير للإمام الفخر الرازى ما يأتى:

«المراد بالذين آتيناهم الكتاب» من هم؟ فيه قولان:

القول الأول: أنهم المؤمنون الذين آتاهم الله القرآن. واحتجوا عليه من وجوه

(أحدها) أن قوله «يتلونه حق تلاوته» حث وترغيب فى تلاوة هذا الكتاب، ومدح

على تلك التلاوة، والكتاب الذى هذا شأنه هو القرآن لا التوراة ولا الإنجيل، فإن

قراءتهما غير جائزة (وثانيها) أن قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يدل على أن

الإيمان مقصور عليهم، ولو كان المراد أهل الكتاب (اليهود والنصارى) لما كان كذلك؛

- لأن الإيمان ليس مقصوراً عليهم - (وثالثها) قوله: ﴿ومن يكفر به فأولئك هم

الخاسرون﴾ والكتاب الذى يليق به هذا الوصف هو القرآن.

القول الثانى: أن المراد بالذين آتيناهم الكتاب هم الذين آمنوا بالرسول من

اليهود. والدليل عليه تقدم ذكرهم... فلما ذم طريقتهم - يقصد وصفهم فى قوله

تعالى: ﴿ولئن رضيت عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ - وحكى سوء

أفعالهم أتبع ذلك بمدح من ترك طريقتهم بل تأمل التوراة وترك تحريفها وعرف منها

صحة نبوة محمد عليه السلام^(٢).

ونقل القرطبى فى تفسيره الرايين، عزا الأول إلى قتادة القائل بأن الذين آتيناهم

الكتاب هم أصحاب الرسول عليه السلام، وعزا الثانى إلى ابن زيد القائل بأنهم هم

الذين أسلموا من اليهود^(٣).

(١) استحالة تحريف الكتاب المقدس (ص ٦٣) ط ثانية .

(٢) تفسير الرازى (ج ٤ ص ٣٢) .

(٣) تفسير القرطبى (ج ٢ ص ٩٥) وانظر معه تفسير النسفى (ج ١ ص ٧٢) .

ويقول الإمام الزمخشري في كشافه :

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ هم مؤمنو أهل الكتاب ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله ﷺ ﴿ أَوْلَيْكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ بكتابتهم دون المحرفين « ومن يكفر به، من المحرفين » ﴿ فَأَوْلَيْكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ حيث اشتروا الضلالة بالهدى» (١).

وعلى هذا فإن المراد من «الكتاب» عند الزمخشري هو التوراة والإنجيل حالة كونهما مصونين من التحريف مشتملين على البشارة برسول الله - محمد - ﷺ ، والإيمان بالتوراة والإنجيل بهذا الشرط متضمن للإيمان بمحمد ﷺ وكل الرسل.

أما الإمام الألوسي فيرى - مثل غيره - أن المراد بالذين آتيناهم الكتاب هم مؤمنو أهل الكتاب من اليهود والنصارى استثناء لهم من بقي علي الكفر منهم المشار إليهم بقوله تعالى : ﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مَلَّتَهُمْ ﴾ ..

ويجوز في الوقت نفسه أن يكون المراد منهم هم أصحاب رسول الله ﷺ وهذا الرأي يتردد كثيراً عند المفسرين، كما جوز أن يكون المراد هم جميع الأنبياء والرسل وهذا الرأي انفرد به الإمام الألوسي فيما أعلم.

أما المراد من الكتاب عنده فهو الكتاب المنزل على موسى «التوراة» والمنزل على عيسى عليهما السلام «الإنجيل» على الرأي الأول، وعلى الرأي الثاني المراد منه القرآن وعلى الرأي الثالث المراد منه جميع الكتب المنزلة (٢).

وبناء على كل ما تقدم فليس للبأبأ أية حجة يفيد منها في هذه الآية، وذلك لأن :

أولاً - إذا كان المقصود منها أهل الكتاب من اليهود والنصارى، والمقصود من الكتاب فيها التوراة والإنجيل فإن شرط امتداحهما كون الكتاب مصوناً من التحريف وبأقياً كما أنزله الله، وكونهم مؤمنين به على تلك الصفة، وهي تقتضى ضرورة الإيمان برسول الله - محمد - ﷺ، وإيمانهم بهما (التوراة والإنجيل) مجرداً عن تلك الصفة لا اعتبار له.

ثانياً - وإذا كان المراد من الكتاب القرآن الكريم، والمراد من الذين أوتوه هم أصحاب محمد ﷺ فما أبعد الآية عما أراده منها البأبأ!؟

(١) الكشاف (ج١ ص ٣٠٨) .

(٢) روح المعاني للإمام الألوسي (ط ١ ص ٣٧٢ وما بعدها).

ثالثاً - وحتى لو كان المراد من الذين أوتوا الكتاب هم الرسل جميعاً، وهو رأى بعيد كما نص على ذلك الألوسى نفسه، فالآية أوغل في البعد من مقصود البابا وهذا أمر لا يحتاج إلى توضيح. فبقيت دعواه معرأة من كل دليل أو حتى شبه دليل. ثم يقول البابا بعد ذلك « بل أكثر من هذا وضع القرآن النصرارى فى مركز الافتاء فى الدين؟! ثم يستشهد على هذه الدعوى بآيتين من القرآن الكريم، إحداهما قوله تعالى :

﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ [يونس : ٩٤].

وقد استهدف البابا من سوق هذه الآية أن يقول: أن اليهود والنصارى كانوا « معلمين » لرسول الإسلام، وقد أفصح كتاب « الاستحالة » أن هذه الآية تدل على أن النصرارى بكتابتهم « المقدس » كانوا مصدرا للوحى وللرسالات والشرائع السماوية^(١)؟! وليس الأمر كما توهم البابا وأتباعه، ولكى لا يكون عند القارىء ريب فى دفع هذا التهجم على هذا النص الحكيم ننقل ما قاله المفسرون فى توجيه هذه الآية ثم نتبعه بدليل آخر يدفع هذه الشبهة دفعا فلا يبقى لها على أثر حتى عند متوهميها ومتولى كبرها. والدليل الذى سوف نسوقه أمام القارىء مستمد من القرآن نفسه. ولنبدأ - الآن بما قاله المفسرون :

فالإمام القرطبى يذهب إلى أن الخطاب فى الآية للنبي والمراد غيره، وينقل عن أبى عمرو محمد بن عبدالواحد أنه قال: سمعت الإمامين ثعلبا والمبرد يقولان: « فإن كنت فى شك » أى قل يا محمد للكافر فإن كنت فى شك .. فاسأل الذين يقرأون الكتاب... والمراد بالكافر - هنا - عبدة الأوثان. وهذا الرأى يبىدو عليه أثر الضعف فى الواقع؟ كما ذهب إلى القول بأن الخطاب فى ظاهره وباطنه للنبي عليه السلام، والمعنى عليه: لو كنت يلحقك شك فيما أخبرناك فاسأل .. وفسر الشك بضيق الصدر من عناء الدعوة والمسئول عنه هو - كما يرى القرطبى: ما لقيه الرسل السابقون من عناء قابلوه بالصبر؟ كما ينقل رأيا آخر هو أقرب إلى الاعتقاد مؤداه: أن الفاء مع حروف الشرط لا تثبت الفعل ولا توجيه. ثم قال والدليل عليه ما روى عنه عليه السلام أنه قال لما نزلت هذه الآية « والله لا أشك »^(٢).

(٢) تفسير القرطبى (ج ٨ ص ٣٨٢) .

(١) انظر (ص ٦٠) منه .

وهذا الذى رواه أخيراً ورد عند بعض المفسرين مع زيادة « ولا اسأل بل أشهد أنه الحق »^(١).

أما الإمام الفخر الرازى فيفيض فى توجيه الآية على طريقته فى التحليل المسهب وها نحن أولاء نعرض ما قاله فى إيجاز وتصرف غير مخل.

قال: وفى الآية مسائل:

المسألة الثانية^(٢): اختلف المفسرون فى أن المخاطب بهذا الخطاب من هو؟ ف قيل

النبي عليه السلام، وقيل غيره. أما من قال بالأول فاختلفوا على وجوه:

الوجه الأول: أن الخطاب مع النبي عليه الصلاة والسلام فى الظاهر والمراد غيره؛

كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ وقوله: ﴿ لَئِن

أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ ويحتج الرازى لهذا الوجه بقوله تعالى فى آخر السورة:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ... ﴾

فبين أن المذكور فى الآية الأولى على سبيل الرمز، هم المذكورون فى هذه الآية على

سبيل التصريح.

وينفى الإمام الرازى أن يكون الشك حاصلًا بالفعل للرسول عليه السلام فيقول:

« ولو كان النبي شاكًا فى نبوة نفسه فكيف يزول ذلك الشك بأخبار أهل الكتاب عن

نبوته مع أنهم فى الأكثر كفار...، وقد تقرر أن ما فى أيديهم من التوراة والإنجيل

فالكل مصحف محرف، فثبت أن الحق هو أن هذا الخطاب وإن كان فى الظاهر مع

الرسول ﷺ إلا أن المراد هو الأمة، ومثل هذا معتاد» ثم يقول موجهًا الآية على رأى من

قال أن المخاطب غير الرسول فى الحقيقة دون الظاهر:

وأما الوجه الثانى: فتقريره أن الناس فى زمانه كانوا ثلاثة أقسام: المصدقون به،

والمكذبون له، والمتوقفون فى أمره الشاكون فيه، فخاطبهم الله تعالى بهذا الخطاب

فقال: إن كنت أيها الإنسان فى شك مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان محمد

فاسأل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته... ثم حذره - أى الشاك - أن يكون

(١) الكشاف (ج ٢ ص ٢٥٣) والنفى (ج ٢ ص ١٧٦) وروح المعنى للالوسى (ج ١١

ص ١٩٠).

(٢) أهملنا المسألة الأولى لأنها بحث لغوى فى معنى الشك لا ضرورة له هنا.

من الفريق المكذب بالنبوة فقال: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١).

وعلى كلا الرأيين فإن الآية تخلو مما يريد الباطن وشيعته. وسيأتي توضيح آخر لهذا المعنى.

ويقول الإمام النسفي: «لما قدم ذكر بنى إسرائيل.. ووصفهم بأن العلم قد جاءهم (٢) لأن أمر رسول الله ﷺ مكتوب في التوراة والإنجيل، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم أراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وبصحة نبوته ﷺ يبالغ في ذلك فقال: فإن وقع لك شك - فرضاً وتقديراً - فسل علماء أهل الكتاب فالمراد وصف الأخبار بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل إلى رسول الله ﷺ لا وصف رسول الله بالشك فيه» (٣).

وإلى مثل هذا الرأي يذهب الإمام الألوسي. فالخطاب - عنده - للرسول عليه السلام لفظاً وقصداً. ولكن الشك فرضي تقديري - كما يقول الإمام النسفي - والمقصود من هذه الآية التعريض بأهل الكتاب وتوبيخهم على ترك الإيمان، لأن ما بأيديهم من كتب تشهد بصحة نبوته ﷺ - ولكنهم من حقدهم على صاحب الرسالة كتموا ما لديهم من شهادة الحق. يقول الألوسي بعد بيان هذا: «وليس الغرض إمكان وقوع الشك له ﷺ أصلاً، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام حين جاءته هذه الآية على ما أخرج عبدالرزاق وابن جرير عن قتادة «لا أشك ولا أسأل» (٤) هذه خلاصة أمينة وافية لأراء خمسة من كبار المفسرين، وكلها - كما ترى - بعيدة كل البعد عما أراد الباطن وأشياعه حمل الآية عليه. على أننا أهملنا رأى من يقول منهم بأن المراد من «الذين يقرأون الكتاب من قبلك» هم من آمن وأسلم منهم، لأننا رأينا في روح المعاني للألوسي (٥) نقداً وجيهاً يدفع هذا الرأي وهو أن سورة يونس التي تضمنت هذه الآية مكية النزول، وعبدالله بن سلام ومن أسلم معه من اليهود إنما كان إسلامهم بالمدينة فلا وجه لحمل الآية عليهم، وهذا نقد صائب كما ترى.

(١) التفسير الكبير للرازي (ج ١٧ ص ١٦٠).

(٢) يقصد قوله تعالى قبل آية الشك «فما اختلفوا حتى جاءهم العلم».

(٣) تفسير النسفي (٢ ص ١٧٦).

(٤) تفسير الألوسي (ج ١١ ص ١٩٠).

(٥) ليس في الألوسي هذا التفصيل وإنما الذي جاء فيه لحة عابرة إلى هذا المعنى.

أما الدليل الذى كنا قد وعدنا به - وقد كنت أظن قبلا أن أحدا لم يهتد إليه، ثم سررت أيما سرور حين رأيت الإمام الألوسى ينص عليه فى تفسيره فحاصله: أن فى القرآن الكريم نصوصا كثيرة خوطب بها ﷺ تفيد فى ظاهرها أنه لو حدث منه أمر - شرط - أو استقر لديه، لترتب عليه أمر آخر - مشروط - منه هو نفسه، أو من الله. والواقع أن الله يعلم أن ذلك الأمر - الشرط - لن يقع منه ﷺ أو يستقر لديه. فالمشروط - كذلك لن يقع.

وقد أشار الألوسى إلى الشق الأول من هذا النهج ببعض آية، ونحن نذكرها بتمامها ليكون المراد أبين. وهى قوله تعالى:

﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأنعام : ٣٥] .

أنا نعلم أن الرسول عليه السلام كان شديد الحرص على إيمان قومه، يحزنه إعراضهم لأنه يعلم لهم من الخير ما لا يعلمون. فأراد الله أن يسرى عن رسوله ويخفف عنه وطأة صدورهم فقال له: إن كان إعراضهم قد ثقل عليك لأنك حريص على هداهم - وهذا الثقل حاصل عنده ﷺ - فرتب الله عليه شرطا وجزاء وهو يعلم أن كليهما لا سبيل إليه، فقال لرسوله إن استطعت أن تتخذ سربا فى الأرض غائصا فيها إلى الأعماق، أو استطعت أن تتخذ لك سلما تصعد على درجة إلى أعلى الآفاق بحثا عن آية تأتيتهم بها من قبلك ليؤمنوا بالإيمان الذى تحرص عليه منهم فافعل^(١) فالله يعلم أن محمدا لا يستطيع من تلقاء نفسه أن يتخذ النفق أو السلم. فالشرط ممتنع وكذلك الجزاء.

والسر البيانى لهذا الأسلوب - والله أعلم - أن يعلم الله رسوله أنه لو بذل فى سبيل إيمانهم كل ما يستطيع وفوق ما يستطيع فلن يؤمنوا. فعلام تحزن - إذن - والإتيان بالآيات وعدمه عند هؤلاء سواء؟

ونظير هذا قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِدَا

الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف : ٦] .

(١) يلاحظ أن جزاء الشرط فى الآية محذوف لظهوره من سياق الكلام وقد قدره القرطبي بقوله « فافعل » وعنه نقلناها أنظر تفسيره (ج ٦ ص ٤١٧) .

ومثل آية الأنعام فى انتفاء الشرط والجزاء قوله تعالى :

﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مَلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ^(١) مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة : ١٢٠].

فاتباع أهواء اليهود والنصارى من قبل الرسول عليه السلام ممنوع، وكذلك امتنع - تبعاله - تخلى الله عن رسوله، فقد كان له - دائماً - منه ولى ونصير.
والسر البيانى - فيما أرى - هو شناعة هذا الاتباع وأن الله يتخلى عمن يفعله ولو كان رسولاً.

وهذا منهج معروف فى التقويم والتربية حتى أن الرسول عليه السلام قد لجأ إليه فى بعض المواقف حين توسط لديه بعض أصحابه فى العفو فى امرأة من شريفات القوم سرقته وهم عليه السلام بقطع يدها. قال للوسيط : والذى نفس محمد بيده لو سرق فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها .

فبين للناس جلال الحق الذى يؤمن به واستواء الناس أمامه فى إقراره وتنفيذه حتى يقطع مطمع كل طامع فى مثله، وهو عليه السلام لا يتوقع أن فاطمة تسرق، فلا يقطع يدها؟ ولكنه الاصرار على جلال الحق وإنفاذه ولو وقع المحال.

أما الشق الثانى من المنهج المشار إليه، وهو أن يستقر لدى الرسول أمر، ثم يترتب عليه أمر آخر، وكلاهما منفيان فقد استشهد عليه الإمام الألوسى بقوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ [الزخرف : ٨١].

وللمفسرين فى توجيه هذه الآية مذاهب، نقتصر ما يدخل فى منهجنا منها وهو أن المعنى : قل يا محمد لهؤلاء الذين يدعون أن لله ولدا، لو ثبت أنه له ولد فأنا أول من يعبد ولده لأنى أعلم منكم بما يجب لله من تعظيم، ولكن لم يثبت أن لله ولدا، فأنا أعبد الله موحدا له عن الشريك، ومنزها له عن الولد والصاحبة^(٢) وللإمام الزمخشري فى توجيه الآية كلام قيم نورده بنصه قال بعد أن ذكر الآية :

(١) هذا جواب القسم لخلوه من الفاء ساد مسد جواب الشرط لقول مالك : واحذف لى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخترت .

(٢) فى هذه الصياغة تصرف غير مخل، انظر - إن شئت - تفسير القرطبي (ج ١٦

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح تورودونه، وحجة واضحة تدلون بها «فأنا أول» من يعظم ذلك الولد، وأسبقكم إلى طاعته، والانقياد له، كما يعظم الرجل ولد الملك العظيم أبيه.
ثم يقول:

«وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض هو المبالغة في نفى الولد والاطناب فيه، وأن لا يترك الناطق به شبهة إلا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه في باب التوحيد. وذلك لأنه علق العبادة بكيونة الولد، وهي محال في نفسها، فكان المعلق بها محالا مثلها. فهو في صورة إثبات الكيونة والعبادة وفي معنى نفيهما على أبلغ الوجوده وأقواها».

ثم يقول: ونحو ههذ الطريقة قول سعيد بن جبير رحمه الله للحجاج حين قال له: أما والله لأبدلنك ناراً تلتظي. (قال سعيد) لو عرفت أن هذا لك ما عبدت إلهاً غيرك^(١)! يتهكم به.

وحاصل كلام الزمخشري هو أن كيونة ثبوت الولد، وحصول العبادة المرتبة عليها جاءت في صورة الاثبات لفظاً. مراداً به النفي معنى. وهذا ما يسمى بالتوصل إلى نفى الأم عن طريق اثباته، وهو من أبلغ أساليب النفي وأقواها يفحم بها الخصم فلا يبقى لديه ما يقول.

ويقوى هذا المعنى ما نصل عليه في شروح التلخيص^(٢) من أن الأصل في أن الشرطية أن يكون شرطها وجزاؤها فعلين مستقبليين، فان كانا ماضيين أو كان الجزء جملة أسمية خرج المعنى إلى التعريض بغير المخاطب. وطبقوا - أي شراح التلخيص ... هذه النظرية على قوله تعالى: ﴿لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾ لأن أن الأصل فيها الدخول على الممكن، ووقوع الشرك من النبي عليه السلام محال شرعاً وواقعاً فنزل منزلة المحال العقلي، فإذا علم عليه السلام عدمه الشرك من نفسه علم أن المراد بهذا الوعيد هو غيره ممن يجوز منه وقوع الشرك.

والآية التي استشهد بها البابا فعل الشرط فيها ماض «فإن كنت» وجزاؤه أمر، «فأسأل» والأصل فيهما أن يكونا مضارعين. ووقوع الشك منه عليه السلام محال، لأنه لو شك هل هو رسول أم غير رسول لبطلت الشريعة بالكلية - كما يقول الفخر

(١) انظر الكشاف (ج ٣ ص ٤٩٧) . (٢) (ج ٣ ص ٦١ وما بعدها) .

الرازى^(١) - وليس أهل الكتاب بأوثق عند الله حتى يزيلوا شكاً لو وقع منه على هذا فإن المراد من الآية الكريمة هي التعريض بأهل الكتاب، وحشهم على أن يظهروا ما كتموا من العلم بصحة نبوته، وتسجيل عليهم في حالة استمرارهم على الكتمان بقباحة صنيعهم وإصرارهم على الكفر، مع فضح أمرهم عند الناس واطهار كفرهم بما في أيديهم من التوراة، والإنجيل، حيث أنهم يؤمنون ببعضهما وهو ما وافق هواهم، ويكفرون ببعضهما الآخر، وهو ما لم يوافق هواهم، ومنه الاقرار بوحداية الله ورسالة محمد ﷺ.

ومصدق هذا قوله تعالى: ﴿ وَلَنْ آتِيَنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبَلَتِكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَةَ بَعْضٍ وَلَنْ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٥ - ١٤٦].

والفريق الذي يكتم الحق منهم هو من ظل على كفره. فهل بعد ذلك يقال. أو يصدق إذا قبل أن أهل الكتاب جعلهم القرآن في مركز الافتاء والمشورة الدينية، أو كان ما بقى معهم من التوراة والإنجيل بعد تحريفهما، مصدر للوحى وأصل للشرائع السماوية؟! ما أوهن هذا القول وما أبعد عن الصواب حتى عند قائله؟!
أما الآية الثالثة التي استشهد بها البابا فهي قوله تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٧].

وسياق الآيات - هنا - يفيد أن الخطاب في الأصل لمشركي مكة، حيث حكى عنهم القرآن الأمين قولهم: ﴿ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلَكُمُ أَفْتَاتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣].

اعتقدوا أن الرسالة لا تجماع البشرية، وانكروا رسالته ﷺ بناء على هذا الاعتقاد الخاطيء، فرد عليهم القرآن الحكيم قائلاً: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ ﴾ أى هم ليسوا ملائكة وإنما بشر مثلكم.

(١) الموضوع السابق من تفسيره .

ثم قال: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وفى تفسير أهل الذكر رأيان أقواهما أنهم أهل التوراة والإنجيل، وثانيهما أنهم أهل القرآن وروى هذا عن على رضى الله عنه .

وأيا كان المسئول فإن السائل هم كفار مكة، وكثيرا ما كانوا يسألون أهل الكتاب فى أمر الرسالة والرسول ﷺ، فأحالهم الله عليهم ليسألوهم هل ما تجدونه فى توراتكم وإنجيلكم فى شأن رسل الله أهم من الملائكة أم من البشر؟!

فالسائل كافر - حتى وقت السؤال - والمسئول مثله ما لم يسلم . إذن ينتفى ما توهم البابا وشيعته، فليس السائل هو النبى ﷺ، ولا هو أحد من المسلمين .

ولا يخامرنا أدنى شك فى أن اليهود والنصارى المعاصرين لعصر النزول كانوا يعلمون حقيقة التوراة والإنجيل على نفس الوجه الذى أوحاهما الله به فلو صدقوا فى إجابتهم السائل لدفعتهم الحجة بصدق القرآن وهذا ما لم يفعله الكثير منهم إلا من عصمه الله فأمن .

على أننا على استعداد أن نسلم للبابا بصحة استشهاده بهذه الآية ولا ننازعه فى شىء مما أراه، ولكن بشرط أن يلتزم هو وشيعته بكل النتائج التى تترتب على هذا .

فالسؤال الذى طلب القرآن أن يوجه إلى أهل الذكر هو: هل رسل الله من الملائكة أم من البشر، من عهد آدم إلى عيسى عليهم السلام . السائل يعتقد أنهم من الملائكة . وهذا خطأ مطلوب تصحيحه . والمصحح هم أهل الكتاب؟ فماذا يكون جوابهم إذن؟ أيقولون أنهم ملائكة، فيقعون فى نفس الخطأ المطلوب تصحيحه؟ وإذن فليسوا هم بأهل للإفتاء؟ أم يقولون أنهم بشر وهو المطلوب؟

وأيا كانت الإجابة فالبابا وشيعته قد خسروا الجولة . لأنهم يعتقدون بالوهية عيسى عليه السلام . والإجابة سواء كانت بالملائكية أو البشرية تنفى - فى وضوح - الوهية عيسى السلام . فهو إما ملك، وهو احتمال بعيد لاستبعاد الإجابة به - كما تقدم - لأنها لا تصحح الخطأ المسئول من شأنه . وإما بشر وهذا هو المطلوب . ويوم يسلم البابا وشيعته بهذا - ليسلم له استشهاده بالآية - فقد ضاقت شقة الخلاف بيننا والأمل فى الوفاق يكون أكبر . أما إذا رفض، فنحن - وهذا من حقنا بل من واجبنا - نرفض صحة استشهاده ، فليس له فى الآية أى دليل؟!

وإلى هنا نكتفى في مناقشة القضية الأولى، وملحقاتها - التي أثارها البابا ولننتقل الآن إلى القضية الثانية، وهي :

● القضية الثانية : ادعائه سلامة التوراة والإنجيل من التحريف !

وهذه القضية لا تهمنا - كذلك - ألا من حيث أن البابا ، وشيعته قد اعتدوا اعتداء صارخا على نصوص القرآن الحكيم، واتخذوا منها دليلا على صحة مدعاهم فيها. اتخذوا من هذه النصوص «مقدمات مسلمة» في نظرهم، ثم راحوا يستخرجون منها النتيجة حسب تصورهم ليجعلوها - مسلمة - كذلك فلا ينازعهم فيها أحد. وها نحن أولاء نستعرض تلك النصوص فنرد لها اعتبارها، ونستردها هي ممن «استلبوها» عنوة وبغير حق. متوصلين منها إلى بطلان ما ادعوه في غير تجن أو مباحكة، كما صنعوا هم. وإليك أقوالهم في توجيه نصوص القرآن :

يقول البابا :

« يرى القرآن أن الإنجيل كتاب مقدس سماوى منزل من الله » وهذا الشق لا نختلف معه فيه مع تحفظ يعلمه كل مسلم، والآن فانظر إلى ما قاله بعد هذا: « ... يجب قراءته على المسيحى والمسلم وكل من آمن بالله »!؟ وهنا نقول للبابا: قف فالقرآن ليس فيه ذرة مما قلت اللهم إلا وجوب الإيمان به ولكن بحسب ما أنزله الله فى حينه، أما وجوب قراءته على من ذكرت فنرجوك أن تعلن أسفك على ادعائه وإلا فدلنا على الموضوع الذى هو فى القرآن يحتم هذا الوجوب، والذى علمته أنت ولم يعلمه أحد سواك؟

ثم يذكر البابا قوله تعالى :

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ٣ - ٤].
وقوله تعالى :

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾

[المائدة : ٤٦ - ٤٨] . ويقف البابا عند هذا الحد من الآيات، ويأبى أن يذكر بقية الآية الأخيرة وهي: ﴿ فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة، ولكن ليلوكم فيما أتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾ .

ثم يعلق البابا على هذه النصوص فيقول: « وكون القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب فهذا يعنى صحة التوراة والإنجيل وسلامتهما من التحريف . وإلا فإنه يستحيل على المسلم أن يؤمن بأن القرآن نزل مصدقا لكتاب محرف »؟ ثم يقول:

« وكذلك لو كان التوراة والإنجيل لحقهما التحريف ما كان يأمر قائلاً « وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه .. » بل ما كان يصدر - أيضاً - ذلك الأمر ﴿ قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل، وما أنزل إليكم من ربكم ﴾ انتهى كلامه .

والذى حمل البابا على هذا الكلام أمور: أحدها أن القرآن وردت فيه هذه العبارة ﴿ مصدقا لما بين يديه ﴾ كثيرا، ووردت فى الآيات التى ذكرها البابا أربع مرات . وثانيها: أن القرآن امتدح كلا من التوراة والإنجيل فى مواضع متعددة ومنها ما ذكره البابا .

وثالثها: الأمر بأن يحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه . ورابعها: قوله تعالى: ﴿ لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل ﴾ . فتمسك البابا بهذه « العموميات » وراح يستولد ما شاء منها من النتائج كما رأينا .

(وقفه مع هذه الآيات) ..

والآن، فلنقف مع هذه الآيات وقفه فاحصة لنتبين من خلالها أهى كما أراد منها البابا، أم أنها تدل دلالات أخرى عليه، وليست له، قال الإمام الرازى فى معنى « مصدقا لما بين يديه » أنه مصدق لكتب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولما أخبروا به عن الله عز وجل ..

ويبين رضى الله عنه السر البيانى لهذا الوصف فيقول: « أنه تعالى دل بذلك على صحة القرآن، لأنه لو كان من عند غير الله لم يكن موافقا لسائر الكتب، لأنه كان -

يعنى النبي عليه السلام - اميا لم يختلط بأحد من العلماء .. ولا قرأ على أحد شيئاً ... لأن المباحث الإلهية لا تختلف فى ذلك فهو مصدق لها فى الأخبار الواردة فى التوراة والإنجيل»^(١).

والمباحث الإلهية التى اتحدت فى الحديث عنها كل الكتب السماوية هل هى الآن فى التوراة والإنجيل كما هى فى القرآن؟ البابا يعلم أن البون شاسع جدا بين القرآن، وبين الكتاب المقدس. فهل هو ما يزال يصر على موقفه من سلامة التوراة والإنجيل من التحريف مع هذا التفاوت؟!!

أن العبارة القرآنية ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ سواء كان من الكتاب أو التوراة أو الإنجيل، فإنما هى حكاية حال ماضية مراعى فيها عصر النزول والسلامة. لا باعتبار ما هما عليه الآن وبعد عصر النزول.

ويقول الإمام الألوسى فى توجيهه «وانزل التوراة، والإنجيل من قبل، هدى للناس».

«أى انزلهما - كذلك - لأجل هداية الناس الذين أنزلا عليهم إلى الحق الذى من جملته الإيمان به ﷺ، واتباعه حين يبعث لما اشتملتا عليه من البشارة به والحث على طاعته عليه الصلاة والسلام، والهداية بهما بعد نسخ أحكامهما بالقرآن إنما هى من هذا الوجه لا غير. والقول بأن يهتدى بهما أيضاً فيما عدا الشرائع المخصوصة من الأمور التى يصدقها القرآن ليس بشىء؟ لأن الهداية إذ ذاك بالقرآن المصدق لا بهما كما لا يخفى على المنصف»^(٢).

وفحوى هذا الكلام، أن دور التوراة والإنجيل فى الهداية انتهى بنزول القرآن لأنه نسخهما. والجميع مدعوون للإيمان به. وحتى الأمور التى لم ينسخها القرآن من الترغيب فى الصدق والأمانة مثلاً إنما المرجع فيها إلى القرآن لا إلى التوراة ولا إلى الإنجيل. تلك هى سنة الله فى إرسال الرسل، وهداية الناس.

أما آيات المائدة الثلاث، فقد خرجها العلماء بما لا يدع للبابا وأمثاله أدنى شبهة يتمسكون بها.

فقوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ لا ينافى فيه أحد. فما جاء فى الإنجيل كان مصدقاً لما جاء فى التوراة آنذاك،

(١) التفسير الكبير (ج ٧ ص ١٦٢). (٢) روح المعانى للألوسى (ج ٣ ص ٧٧).

إلا البعض الذى نسخه الإنجيل وكان مقررا فى التوراة تخفيفا على بنى إسرائيل وهذا هو ما حكاه القرآن الأمين عن عيسى السلام حيث جاء فيه على لسانه: ﴿وَلَأَحِلُّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران : ٥٠] (١).

والذى أحله لهم هو: أكل الشحوم، وكل ذى ظفر (٢). وكان محرما عليهم فى التوراة أما التحريف فقد حدث بعد ذلك.
وأما قوله تعالى: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ ففيه قراءتان فى الفعل «ليحكم» فقرأ الأعمش وحمزة بنصب الفعل لأن «اللام» عندهما لام كى. وعلى هذه القراءة يكون المعنى «آتيناه الإنجيل.. هدى وموعظة ولكى يحكم أهله بما أنزل الله فيه».

والقراءة الثانية لجمهور القراء. وهى بجزم الفعل «وليحكم» لأن اللام عندهم لام الأمر. والمعنى عليه «ليحكم أهل الإنجيل فى ذلك الوقت أما الآن فهو منسوخ. ذكر هذين الرأيين القرطبي فى تفسيره» (٣).

ويجيب الفخر الرازى على سؤال مهم أورده هو حاصله: فإن قيل كيف جاز أن يؤمروا بالحكم بما فى الإنجيل بعد نزول القرآن.
ثم قال رضى الله عنه :

قلنا الجواب عنه من وجوه:

الأول : ليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه من الدلائل الدالة على نبوة محمد ﷺ وهو قول الأصم.

والثانى : ليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه « زجر لهم عن تحريفهما فى الإنجيل مثل ما فعله اليهود من إخفاء أحكام التوراة. فالمعنى بقوله : « وليحكم وليقرأ أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه على الوجه الذى أنزله الله فيه من غير تحريف ولا تبديل» (٤).

ومما تمسك به البابا فى مقاله، واشياعه فى كتاب «الاستحالة» قوله تعالى فى آيات المائدة المتقدمة :

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾
وخذعتهم عبارة للزمخشري فى الكشاف جاء فيها :

(١) آل عمران (٥٠) وقيل المعنى : ما حرمه علماء بنى إسرائيل من عند أنفسهم .

(٢) تفسير القرطبي (ج ٤ ص ٩٧) . (٣) انظر (حلى ٦ ص ٢٠٩) .

(٤) التفسير الكبير للرازى (ج ١٢ ص ١٠) .

« ومهيمننا عليه » ورقيبا على سائر الكتب، لأنه يشهد لها بالصحة والثبات» (١) . . . وعبارة الزمخشري لا تعنى شهادة القرآن لسلامة التوراة والإنجيل من التحريف – كما هما عليه الآن – وإنما تعنى أن القرآن حكى ما أنزل الله فيهما من أصول العقائد والدعوة إلى التوحيد والبشارة بخاتم النبيين. وكيف يجوز على إمام محقق كالزمخشري أن يقع فى هذا الخطأ الجسيم، وهو الذى قال بعد هذه العبارة بقليل عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [المائدة: ٥١] «أى إنما يوالى بعضهم بعضا لاتحاد ملتهم واجتماعهم فى الكفر» (٢) . . .!؟

ومن معانى هيمنة القرآن العظيم على ما سبقه من الكتب المنزلة أنه احتوى على جواهر معانيها وزاد عليها بما ليس فيها، وضح كثيرا مما الحقوه بها من تبديل وتغيير. وقد رأيت فى روح المعانى للألوسى ما يؤيد هذا المعنى ويقويه وكان مما قال: « قرر أصول شرائعها، وما يتأبد من فروعها ويعين أحكامها المنسوخة» (٣).
ويذكر البابا قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦].
ويقول معلقا عليها:

« وتلاحظ فى هذا النص أنه قال: كتبه ولم يقل كتابه، فيجب الإيمان بجميع الكتب الإلهية التى أرسلها هدى ونورا للمتقين؟! »
وتعليقا على هذا التعليق نقول:

أنا مؤمنون بجميع الكتب الإلهية، وبالرسل الذين أنزلت عليهم. فنحن جاهزون ومخضرمون فى هذا الميدان. فعلى أهل الكتاب « يهودا ونصارى » أن يكونوا مثلنا مؤمنين بكل الكتب والرسل.

وإذا كان البابا يؤمن بهذه الحقيقة التى يدعو إليها « الإيمان بجميع الكتب الإلهية » فلماذا لا يؤمن بالقرآن ليكون قدوة لمن سواه من النصارى أليس القرآن كتابا إلهيا مثل التوراة والإنجيل والزبور؟ إذن فيجب أن يؤمن به ليطابق القول بالعمل؟

(٢) الكشاف (ج ١ ص ٦١٩) ؟!

(١) الكشاف (ج ١ ص ٦١٨) .

(٣) روح المعانى (ج ٦ ص ١٥٢) .

أم يقول : إنه غير إلهي؟ ليقبل ما شاء فنحن لا نكره أحدا في الدين وإنما الذي نقوله، وبملاء أفواهنا:

إذا كنتم تعتقدون أن القرآن كتابا إلهياً فيجب أن تؤمنوا به وتدعوا له .
وإذا كنتم لا ترون أنه كتاب إلهي فارجوكم، ونلح في الرجاء أن لا تستشهدوا به ولا تجروه على ألسنتكم، ولا تخطوه بأقلامكم، ولا تسطروه في منشوراتكم. وهذا أضعف الإيمان .

فنحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف ومما استشهد به البابا - كذلك - قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [المائدة : ٦٨] .

وليس في هذه الآية حجة للبابا وشيعته، بل هي حجة عليهم إذ تفيد أنهم أخفوا التوراة والإنجيل المنزلين على رسوليهما موسى وعيسى عليهما السلام، واطهروا ما ارتضوه محرفاً منهما، بعد أن عطلوا وحى الله الحق إليهم، ولهذا أمر الله رسوله محمداً ﷺ أن يقول لهم : « لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل » والإقامة لا تكون إلا للشيء المعوج، والاعوجاج الذي أصاب التوراة والإنجيل هو تحريفهم لهما وتعطيلهم لأحكامهما . فحشهم الله على لسان رسوله لإقامتهما، ولو أقاموهما - تماماً - لما وسعهم إلا الإيمان به ﷺ .

ولكى يرى القارىء بنفسه شناعة التعدى على هذا النص أن البابا فى مقاله لم يذكر بقية الآية وهى :

﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ .

ولعلك تدرك من مجرد قراءتك لهذه البقية « التي لم يذكرها البابا » من الآية السبب الذى حمله على إهمالها . وهو سبب واضح جداً؟! وقبل أن نترك « معركة التحريف » نضع أمام البابا سؤالين اثنين وإذا صدقنا فى الإجابة . فسوف نسلم له بسلامة الكتاب المقدس من التحريف .

السؤال الأول: لقد أعلمنا القرآن الأمين أن لمحمد ﷺ وصحبه مثلين أحدهما فى التوراة وهو: « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم، تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ». وثانيهما: فى الإنجيل وهو « كزرع أخرج شطأه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ».

وأنت ترى أن التوراة والإنجيل لم يصبهما تحريف. فأرنا - أذن - هذين المثلين؟ أين موضع الأول فى التوراة؟ وأين موضع الثانى فى الإنجيل!؟

السؤال الثانى: وأعلمنا القرآن أن عيسى عليه السلام قد بشر فى الإنجيل برسول يأتى من بعده اسمه أحمد. حيث حكى عنه القرآن الأمين: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [الصف: ٦].

وأنت تقول أن الإنجيل لم يحرف، فهيا - إذن - أرنا موضع هذه البشارة فى الإنجيل لكى نسلم لك أن الإنجيل لم يحرف؟ فهل أنت فاعل يا ترى!؟

خطآن بارزان

فهيا حدد لنفسك موقفاً: أرنا ما رجوناه أولاً ترنا. فإذا أريتنا سلمنا لك - مبدئياً - بأن التوراة والإنجيل لم يحرفا، ولكن سيكون بيننا جولات من الحوار فى قضايا أخرى. وإن لم ترنا لعدم وجود « مطلبنا العزيز لديكم » فلا تنتظر من القرآن أن يشهد بسلامة مصادر هى نفسها تشهد - بغير حق - بعدم سلامته وإذا أصرت على أن القرآن ليس ملزماً لك.

إذن فليس من حَقِّك أن تستشهد به على صحة مدعاك. فاما أن تلتزم به كله، وأما أن تهمله كله. ونذكرك - فى حالة رفض الالتزام الكلى بأن مقالك اشتمل على خطأين كبيرين، أحدهما خطأ عقدي حيث استشهدت بنصوص لا تؤمن أنت بها، وثانيهما خطأ منهجي، وهو أنك فرقت بين نصوص يجمعها وصف واحد من القوة والتوثيق، فقبلت بعضها ورفضت بعضها، قبلت ما تصورت أنه يفيدك فى صدق مدعاك. ورفضت ما تاكدت أنه يبطل مدعاك!؟

ولن نقف طويلاً وراء هذا الجذف المتعمد، فسببه معروف. ففي حذف عجز آية البقرة ﴿لَا نَفْرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ لم يجد البابا فيه ما يفيد، بل هو حجة عليه فعدم التفرقة بين الرسل أمر لم تسلم منه يهودية ولا نصرانية، بله الإسلام لله.

أما حذف صدر آية المائة ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ...﴾ فسبب حذفه عند البابا الايهام بأن الخطاب للجميع يهودا ونصارى ومسلمين، مع أن الآية خطاب موجه إلى أهل الكتاب وحدهم.

أما حذف عجز آية المائة ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

فسبب حذفها واضح. ولو ذكرها البابا لهدمت عليه كل ما بناه في مقاله. فهي كلمة حق، والحق له مرارة لاذعة في بعض الأحيان! (١) المهم فإن البابا بعد ذكره تلك النصوص، بعد بتر ما يجب ذكره منها - قال بالحرف الواحد:

«إن كل ما سبق ينفي بأسلوب قاطع الفكرة الخاطئة التي ظنها البعض وهي أن القرآن نسخ التوراة والإنجيل (١) من المحال أن يكون ناسخا لهما وفي نفس الوقت يدعو إلى الإيمان بهما، ويحذر من إهمال ذلك».

أقوال العلماء في آية البقرة :

يتحدث العلماء المسلمون عن آية البقرة التي استشهد بها البابا آنفا بما يزيل عنها كل لبس - فالإمام القرطبي يذكر قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ ثم يردف فيقول: «خرج البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه» قال: «كان أهل الكتاب - يعنى اليهود - يقرأون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها لأهل الإسلام بالعربية، فقال رسول الله ﷺ .. لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا...﴾ إلى آخر الآية.

ثم يقول: وروى ابن عباس: جاء نفر من اليهود إلى النبي ﷺ فسألوه عن من يؤمن به من الأنبياء. فنزت الآية. فلما جاء ذكر عيسى قالوا لا نؤمن به ولا بمن آمن به!؟

(١) قد سبق الحديث عن هذه الآية آنفا .

ونقل عن الفراء قوله فى شرح قوله تعالى : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾
أى لا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعضهم كما فعلت اليهود والنصارى»^(١).

وقد أورد الفخر الرازى سؤالاً مهماً قال فيه : فإن قيل : كيف يجوز الإيمان
بإبراهيم وموسى وعيسى مع القول بأن شرائعهم منسوخة؟! وهذا السؤال قد أوماً إليه
البابا فيما نقلناه عنه آنفاً، واتخذ منه حجة على عدم النسخ.

أما إجابة الرازى، وهو ممن استشهد بآرائهم البابا فى مقاله، وشيعته فى كتاب
الاستحالة، فقد قال رضى الله عنه :

«نحن نؤمن بأن كل واحدة من تلك الشرائع كان حقاً فى زمانه فلا يلزم منا
المناقضة»^(٢).

ونحن نضيف إلى ما ذكره هؤلاء الأئمة الأعلام ما نراه جديداً فى المسألة لم
يذكره أحد فيما قرأت فنقول وبالله التوفيق :

أن هذه الآية : ﴿ قُولُوا آمَنَّا ﴾ لها ارتباط وثيق بالآية التى تقدمتها وهى قوله
تعالى : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴾ [البقرة : ١٣٥].

وهذه الآية بينت إلى أى مدى كان الاختلاف بين اليهود والنصارى وتعصب
كل فريق منهم لدينه. فاليهود قالوا: كونا هودا تهتدوا. أى حصروا الهداية فى
ملتهم ورموا النصارى بالكفر والضلال.

والنصارى قالوا: بل كونا نصارى تهتدوا. فحصروا الهداية فى ملتهم ورموا
اليهود بالكفر والضلال.

ومصدق هذا قوله تعالى حاكياً عنهما : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ
هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾ [البقرة : ١١١].

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ
الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ [البقرة : ١١٣].

(١) تفسير القرطبى (ج ٢ ص ١٤٠) وما بعدها، وراجع معه روح المعانى للألوسى
(ج ١ ص ٣٩٥) والكشاف للزمخشرى (ج ١ ص ٣١٥).

(٢) التفسير الكبير للرازى (ج ٤ ص ٨٢).

كل فريق منهم يتعصب لدينه ويكفر بما عداه . وقد حمل القرآن الحكيم حملة قوية على هذا التعصب الممقوت، وحذر المسلمين أن يكونوا مثلهم . ووجههم الوجه الحق قائلاً لهم: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ ... ﴾ والمتأمل في هذه الآية يجد أن الإيمان الحق المقبول عند الله، إنما هو الإيمان التفصيلي بما فصله الله في كتابه، وعدد منه في آية البقرة هذه إبراهيم، وإسماعيل، وإسحق، ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى عليهم السلام . ثم الإيمان الإجمالي بما أخبر الله عنه وقد أشار إليه سبحانه في آية البقرة بقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَوْتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ سواء في ذلك من قص علينا قصصهم واسماءهم كادريس، ويحيى واليسع، وما طوى ذكرهم في علمه . ثم كانت فاصلة الآية ﴿ لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ وهذه هي عقيدة المسلم التي يلقي الله عليها، ولن يكون إيمان إلا بهذا الإيمان الشامل الذي لا تفرقة فيه، بين رسول ورسول، وكتاب وكتاب؟

وقد تلا هذه الآية مباشرة قوله تعالى:

﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُمْ بِهِ - أَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى - فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٣٧] فلماذا ترك البابا هذه الآية ..؟ لسنا في حاجة إلى إجابة أبدا . فإنها معروفة !؟
دليلان قاطعان :

وبقى لنا دليلان قاطعان على أن القرآن الحكيم قد نسخ كلا من التوراة والإنجيل، ودعا جميع الناس إلى الدخول في الإسلام مع إيمانهم التاريخي بما سبق عليه من شرائع وديانات مهدت له وأسلمت القياد إليه .

أما أحد الدليلين فقوله تعالى:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران : ١٩] .

وأما ثانى الدليلين فقوله تعالى:

﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

[آل عمران : ٨٥] .

فهل يروق لمنصف بعد هذا أن يدعى أن القرآن لم ينسخ ما قبله من شرائع وأديان ما عدا العقائد والأخلاق الفطرية كالصدق الوفاء .

وإذا ادعى البابا هذا، فهل يليق بمنصف مجاراته في هذا الادعاء. إلا عناداً ومكابرة..؟! وليس معنى النسخ أن تلك الشرائع كانت باطلة في زمانها.. استغفر الله.. فهذا لم يقل به القرآن، ولا اعتقده مسلم، بل أن النسخ - يعنى - وقف العمل بها فيما عدا «العقائد» أو كل «كليات الشرائع» التي قرررتها جميعاً. وفيما عدا ما أقره الإسلام من «الفضائل الخلقية» كالصدق والعفة، والانفاق في سبيل الله. أما المعاملات والعقود، وضروب العبادات. فإن هذه كلها قد جاء الإسلام بما يصلح حياة البشرية كلها في كل زمان ومكان. فليس الإسلام دعوة إلى «ملكوت الدنيا» فحسب كما هو في التوراة، وليس الإسلام دعوة إلى «ملكوت الآخرة» فقط، كما هو في الإنجيل وإنما الإسلام «دنيا ودين» معاً. تراتيل محراب، ونظام اجتماعي، ودستور حرب وسلم، ومنهج إنتاج، وقواعد عقود ومبادلات. وتربية وازع وأخلاق.. إلخ. ولو أن البابا وقف عند هذه الآيات.

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ * وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِّي بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ * فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١٣ - ١٥].

أقول - لو أن البابا وقف عند هذه الآيات، وتأملها تأملاً مجرداً من كل هوى، وسأل نفسه لماذا كان التعبير بجانب القرآن هو «أوحينا إليك» وبجانب ما أنزله الله على إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام هو «وصينا» واستفتى اللغة عن الفرق بين الفعلين «أوحى ووصى» ثم عاش مع بقية الآيات وما تقرره من حقائق. ثم تأمل هذه العبارة ﴿ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ ﴾ واستفتى اللغة مرة أخرى ما الذى تفيد «من» الجارة إذا دخلت على نكرة هي فى الأصل ليست مجرورة (مرفوعة الموضع أو منصوبته) كما فى هذه «العبارة... ولو... ولو... ولو...»

لو فعل هذا لعلم، بل لأقربان الإسلام لا يعادى ديننا ولا يجافى حقا. وإنما يسمو بالحق، ويحترم كل رسالات السماء، ولكن فى حدود ما أقره خالق الكون وباعث الرسل، ومنزل الوحي. وهو فى ذلك كله «متبع» لا مبتدع، ولا أسير هوى؟!!

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة : ٦٧] وقد بلغ الرسول ما أنزل إليه من ربه، ولقى ما لقى من جراء ذلك التبليغ ثم كانت الخاتمة التى تشهد له بأنه بلغ الرسالة الخاتمة، وأدى الأمانة الخالدة :

﴿ .. الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ

دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] .

اللهم قد بلغ .. اللهم فاشهد .. !

القضية الرابعة : ادعائه أن عيسى عليه السلام له منزلة فى القرآن غير بشرية؟! وبإحدى ذى بدأ أشهد أن البابا قد أوما إلى مقصوده «الدين» ولم يفصح علانية. وإنما جعل عباراته «الذكية» تؤدى إلى المقصود لدى القارىء حتى لا يصدمه «طفرة» بغير ما يعتقد. لأن المجلة الناشرة «الهلال» يقرأها كل الناس مسلمون وغير مسلمين. وقد قسم البابا حديثه عن عيسى عليه السلام «عبد الله ورسوله» خمسة أقسام:

(أ) أنه دعى كلمة الله وروح منه .

(ب) ولادته المعجزية (!) .

(ج) معجزاته العجيبة .

(د) موته ورفعته إلى السماء .

(هـ) صفاته الأخرى .

ونحن لا نختلف معه رأيا أو عقيدة – فى هذه الأمور التى عددها وإنما الاختلاف يبلغ بيننا أقصى مداه حول ما استهدفه هو منها، وما أشعرت به «تعبيراته الذكية» والذى أفصح عنه كتاب «الاستحالة» كما سنرى فيما بعد أن شاء الله.

أما الآن فسوف نقتحم «مخابته الكلامية» التى بثها فى مقاله مغلفا لها بآيات

من القرآن الحكيم، وهى مما أرادها منها براء؟!!

● أولاً : كون عيسى عليه السلام كلمة من الله وروح منه :
أورد البابا قول الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٥] .
وقوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾
[النساء : ١٧١] واتبع هاتين الآيتين تعليقا نجتزىء منه قوله :

« وأيا كانت النتيجة فإن هذين اللقبين (يعنى : كلمة الله – روح منه) يدلان على مركز رفيع للمسيح فى القرآن لم يتمتع به غيره » ونحن نتحفظ على هذه العبارة الآن وسوف نعود إليها بعد قليل .

● ثانياً : ولادته المعجزية :

يقول البابا : لم يقتصر الأمر على كنه المسيح أو طبيعته (١) من حيث هو كلمة الله وروح منه ألقاها إلى مريم (وهذا ما لم يوصف به أحد من البشر) (٢) وإنما الطريقة التى ولد بها والتى شرحها القرآن فى سورة مريم كانت طريقة عجيبة معجزية لم يولد بها أحد غيره من امرأة . زادها غرابة أنه يكلم الناس فى المهد [آل عمران : ٤٦] الأمر الذى لم يحدث لأحد من قبل ولا من بعد (٣) .

أترك هذا التأمل للقارئ لتسبح فيه روحه (٤) ؟!

● ثالثاً : معجزات المسيح العجيبة :

قال البابا : « وأخص منها ما ورد فى القرآن – غير ابراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى – معجزتين (فوق طاقة البشر جميعاً لم يقم بمثلهما أحد من الأنبياء) (٣) وهما القدرة على الخلق، وعلى معرفة الغيب . وفى ذلك يقول القرآن على لسان المسيح ﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٩] .

(١) ارجو من القارئ أن يتحفظ على هذه العبارة المحصورة بين علامتين (...) حتى نعود إليها .

(٢) ... رجاء التحفظ على هذه العبارة المخطوطة أيضاً .

(٣) وتحفظ – كذلك على هذه العبارة المحصورة !

ثم يقول: هنا يقف العقل لكى تتأمل الروح (لماذا يختص المسيح بهذه المعجزات التى لم يعملها أحد، والتى هى من عمل الله ذاته^(١))؟
● رابعاً: موته ورفعته إلى السماء:

يقول البابا شنودة: وقد أورد فى ذلك:

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ..﴾ [آل عمران : ٥٥] ثم يقول: «والمسيحية تؤمن بموت عيسى وصعوده إلى السماء ولكن القرآن لم يبين كيف رفع المسيح، ومتى حدث ذلك، وبقي الأمر عجبياً».
خامساً: صفات المسيح الأخرى:

يقول البابا: «من الصفات التى ذكرها القرآن عن المسيح أنه «وجيها فى الدنيا والآخرة» وقد شرح أئمة المفسرين معنى هذا الوصف باستفاضة وخرجوا منه بعلو مركز المسيح علواً عجبياً».

وإلى هنا ينتهى حديث البابا عن عيسى عليه السلام (عبدالله ورسوله) وقبل أن نرد اعتبار النصوص القرآنية التى أفحمها لتكون دليلاً على صدق مدعاه «الدفين» نسأل القارئ ما الذى استهدفه البابا شنودة من تعبيراته تلك «المخبة» والتى رجونا أن يتحفظ عليها القارئ وهى:

«مركز رفيع للمسيح فى القرآن لم يتمتع به غيره».

«وهذا ما لم يوصف به أحد من البشر».

«أترك هذا لتأمل القارئ لتسبح فيه روحه»...؟!

«فوق طاقة البشر جميعاً لم يقم بها أحد من الأنبياء»...؟!

«لماذا يختص المسيح بهذه المعجزات التى لم يعملها أحد والتى هى من عمل الله

ذاته»...؟! نحن بدورنا ندعو القارئ أن يتأمل هذه «العبارات المخبة» ليصل إلى كشف ما تخبئه وتخفيه...؟!

أن ما استهدفه البابا من كل هذا واضح وان لم يفصح هو عنه. أنه يريد أن يقول أن عيسى عليه السلام «عبدالله ورسوله» آله - رب - خالق .

هذا هو المعنى الذى سيطر على شعور الرجل وهو يكتب ما يكتب لمجلة يقرأها

كل الناس!

(١) وتحفظ أيضاً على هذه العبارة المحصورة؟

واستند في هذا إلى أن القرآن اطلق على عيسى « كلمة الله - روح منه - وأن معجزاته هي « عمل آله » وكونه مولودا لغير أب ! كما ادعى أن عيسى عليه السلام له في القرآن مركز رفيع لم يتمتع به غيره من البشر سواء كانوا أنبياء أم من عامة الناس . ونحن لا نحجر على أحد في عقيدته فالديان موجود وكل نفس لديه بما كسبت رهينة، ولكن الذي نرفضه كل الرفض أن يستخرج ذلك « الأحد » الباطل من الحق . فالحق دائما يؤدي إلى الحق، ولا يؤدي إلى باطل . ولو أنه جرد دعاواه تلك من الاستشهاد بآيات القرآن الحكيم لما حرك لنا ساكنا ولما سكن لنا متحركا، ولعزفنا عن كتابة سطر واحد نرد به عليه فيما يدعيه . نكرر هذا عشرات المرات . فتعال معي الآن إلى مفسري القرآن الكريم نستفتهم .

● معنى « كلمته » :

يقول الإمام الألويسي في تفسيره : ومعنى كونه « كلمة » أنه حصل بكلمة « كن » من غير مادة معتادة . وإلى هذا ذهب الحسن وقتادة . وقال الغزالي قدس الله سره : لكل مولود سبب قريب وبعيد . فالأول المنى (ماء الرجل) والثاني قول « كن » ولما دل الدليل على عدم القريب (يعنى المنى) فى حق عيسى عليه السلام إضافة إلى البعيد ، وهو قول كن إشارة إلى انتفاء القريب ، وأوضحه بقوله : « ألقاها إلى مريم » . وقيل معناه : بشارة الله تعالى التى بشر بها مريم على لسان الملائكة كما قال سبحانه : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ﴾ (١) .

وذهب الإمام الرازى مذهب الألويسي فى تفسيره (٢) .

● ومعنى كلمة « وروح منه » :

يقول الألويسي « وروح منه » .. سمي عليه السلام روحا . لأنه حدث عن نفخة جبريل عليه السلام فى درع مريم بأمر منه سبحانه ، وجاء تسمية النفخ فى كلامهم - أى العرب - روحا ، ومنه قول ذى الرمة فى نار « وأحيها بروحك » (أى اشعل النار بنفخك) .

أما الجار والمجرور « منه » فيقول فى توجيهه : « ومن متعلقه بمحذوف وقع صفة لروح ، وهى لابتداء الغاية - مجازا - لا تبعية كما زعمت النصارى » (٣) .

(١) روح المعانى (ج ٦ ص ٣٤) .

(٢) التفسير الكبير (ج ٨ ص ٤٧) .

(٣) روح المعانى نفس الموضوع السابق .

وزعم النصارى الذى أشار إليه الألوسى هنا : هو أن الروح - عيسى - جزء من الله، بدليل قوله « منه » كما تقول : هذا الماء شربت منه . أى شربت بعضه . ولدفع هذا الوهم قال صاحب روح المعانى : أن « من » هنا لابتداء الغاية مجازاً، لأن الله منزّه عن المكان والزمان، والمعنى على ما ذهب إليه الألوسى : روح ابتداءه من عند الله .

والذى يظهر لى أن « من » ليست لابتداء الغاية - كما ذهب الألوسى - حتى يضطر للقول بمجازيتها . بل من الممكن جعلها بيانية، وهى على هذا لا تحتاج إلى تقدير المجاز فيها .

ومعنى كونها بيانية أنها روح من الله لا من غيره . وهذا التقدير يسد أبواباً واسعة من ظنون السوء بمريم حيث جاءت به من غير أب، وللشيطان فى مثل هذه « الوقائع » صولات وجولات .

ويقوى كون « من » بيانية قول أم مريم حين وضعتها كما حكى عنها القرآن الأمين : ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلِكِّ ذُرِّيَّتِهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران : ٣٦] فحفظ الله مريم من الشيطان، وحفظ ذريتها منه . فكان عيسى عليه السلام كلمة من الله لا من غيره، وروحا من الله لا من غيره، وبهذا تنقشع عن مريم وابنها كل سحب الشك التى أثارها اليهود .

وينقل الألوسى - هنا - قصة طريفة فيقول : أن طبيباً نصرانياً فى عهد الرشيد جادل على بن الحسين الواقدى، فقال : أن فى كتابكم - يعنى القرآن - ما يدل على أن عيسى عليه السلام جزء من الله ! ثم تلا هذه الآية « وروح منه » !؟

فقرأ الواقدى قوله تعالى : ﴿ وَسَخَّر لَكُمْ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ ﴾ ثم قال للطبيب النصرانى : لو سلمنا لكم بهذا القول لكانت كل هذه الأشياء التى سخرها الله لنا فى السموات والأرض أجزاء منه !؟ (أى لأنه قال : « جميعاً منه ») فأفحم الطبيب ولم يسعه إلا الدخول فى الإسلام لقوة احتجاج الواقدى عليه . وقد فرح الرشيد من ذكاء الواقدى ومنحه جائزة فاخرة .

ومما قاله المفسرون فى بيان معنى الروح فى الآية : أنها جبريل عليه السلام وبعضهم يقول : أنها الرحمة . وبعضهم يفسرها بالهداية . وأياً كانت هذه الأقوال مختلفة فإنها جميعاً بعيدة كل البعد عن المعنى الذى يريده منها البابا وأضرابه .

إذن فليس في هذين اللقبين « كلمة من الله - روح منه » دليل أو حتى شبه دليل على « تأليه » عيسى - عبدالله ورسوله - عليه السلام .
ولو كان كل من ذكر الله في سياق الحديث عنه هذه اللفظة « كلمة » لكان يحيى عليه السلام الاها - كذلك - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا فقد قال الله في شأنه وبشارة أبيه زكريا به :

﴿ فَادَّاتُهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [آل عمران : ٣٩] .

وإذا قالوا أن وضع « كلمة » بجانب يحيى عليه السلام مختلف في التركيب عن وضعها في جانب عيسى عليه السلام حيث جاءت مع يحيى متعلقة بالحال، وهي مع عيسى « خبر » والخبر أصل من الحال . إن قالوا ذلك قلنا لهم : هو لكم أذن فاعتبروا يحيى « نصف اله »؟! ولا تهدروا قيمة الكلمة معه وهما ابنا خالة كما تعلمون . أتستكثرون على ابن خالة الاله أن يكون نصف اله؟!!

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ فيا من غفرت لآدم وحواء اللذين دعواك بهذا الدعاء أغفر لنا وتب علينا فنحن أحوج إلى عفوك منهما يا رب العالمين .

ولو كان كل من ذكر الله في شأنه كلمة « الروح » لكان جبريل الاها، إذ كثيراً ما صرح في جانبه بهذه الكلمة ومن ذلك : « نزل به الروح الأمين » وقوله تعالى :
﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ ولا خلاف بين المفسرين في أن المراد بالروح هنا هو جبريل عليه السلام سفير السماء .

بل وكان القرآن - كذلك - الاها ، لأن الله قال في شأنه : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى : ٥٢] .

بل وأعجب من ذلك لكان آدم الاها، لأن الله قال في شأنه يخاطب الملائكة :
﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ .
بل وكان كل أبناء آدم الهة .. وكيف لا؟! إذا كان أبوهم كذلك؟! قولوا ما شئتم، ودعوا القرآن جانبا، ولا تذكروا منه شيئا دليلاً على الباطل . وها أنتم قد فتحتم الباب

مستشهادين به . فافسحوا صدوركم لتسمعوا - بيانه الحق - حول ما أثمرتم من قضايا ما كان أغنانا عن هذا لو أمسكتكم عن الخوض فيها .

● ثانياً - ولادته المعجزية :

أما ولادته المعجزية - على حد تعبير البابا - فإن هناك ما هو أدخل منها في باب الإعجاز . ذلك أن الله - جلت حكمته - قد ربط ولادة أى مولود باجتماع سببين ماديين، وهما عنصر الذكورة وعنصر الأنوثة حتى تتم عملية اللقاح إذا قدر الله معها انجابا . . وولادة عيسى عليه السلام وجد فيها أحد العنصرين « الأنوثة » وتخلف العنصر الثانى « الذكورة » فولد من أم بدون أب فكانت ولادته لهذا غريبة لم تجربها العادة فى مألوف الناس بيد أن هناك ايجادين كانا على خلاف العادة . أحدهما أغرب من ولادة عيسى عليه السلام، وثانيهما أشد غرابة من الاثنين معا .

أما الأول : فهو ايجاد الله حواء من آدم عليهما السلام . فحواء أوجدها الله من ذكر « آدم » ولم يجعل لها أما . فقد وجد أحد العنصرين، وهو الذكورة، وتخلف العنصر الثانى وهو الأنوثة، وإنما كانت واقعة إيجاد حواء أغرب من واقعة ايجاد عيسى مع أنهما تبدوان متساويتين فى الظاهر القريب إلى الذهن، لتخلف أحد العنصرين فيهما .

لأن عنصر الذكورة فى حالة إيجاد حواء غير مألوف . لأن حواء وجدت من ذكر، وهو لا يلد، وإنما يولد له إذا قام هو باللقاح . . ولهذا كان خلق حواء من آدم أدخل فى باب الاعجاز - عند العقل - من خلق عيسى عليه السلام، وأقرأ معنى قوله تعالى فى مطلع سورة النساء :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ .

وأما الثانى : فهو خلق آدم أبى البشر عليه السلام . إذ هو مخلوق لله من غير أب يقوم باللقاح، ومن غير أم تحمل وتلد .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴾ وهذان الایجادان يؤمن بهما أبناء كل ملّة .

أفليست المعجزة فى خلق آدم عليه السلام أدخل فى باب الإعجاز - عند العقل - من إيجاد حواء، ومن بعدها عيسى عليه السلام . .

فلو كانت الولادة من غير أب مدعاة لوصف المولود بالألوهية لكانت حواء أولى بذلك الوصف من عيسى عليه السلام، ولكان آدم عليه السلام أولى من حواء ومن عيسى بتلك الصفة؟!

« أن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له كن فيكون » (١) صحيح أن خلق عيسى « غريب » وأصح أن خلق آدم « أغرب » ومثل عيسى عند الله هو مثل آدم كلاهما خارق « فشبه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه » .

فاللهم أرنا الحق حقاً وأرزقنا اتباعه . وأرنا الباطل باطلاً وأرزقنا اجتنابه .

● ثالثاً - معجزاته العجيبة :

ينظر البابا إلى المعجزات التي أيد الله بها عيسى عليه السلام، على أنها خوارق صادرة عن عيسى نفسه، وليس له مصادر سواه . وكلماته في هذا المجال أقرب ما تكون إلى الإفصاح عن المعنى الدفين، وأن حاول هو « تغليفها » بغشاء رقيق .؟! ويبرز البابا مسألة إحياء الموتى والتنبؤ بالغيب، وخلق الطير بإذن الله ويذكر نصاً قرآنياً كدليل على صدق مدعاه، وما هو بدليل له على ذلك الصدق وإنما هو دليل على تكذيب ذلك المدعى .

● والنص القرآني هو :

﴿ ... أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٩] .

وعلى طريقة البابا في بتر النصوص، فقد أهمل صدر الآية الذي جاء فيه :

﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ... ﴾ .

ولا اخالك في حاجة إلى معرفة سبب الإهمال - هنا - وإنما للتذكير أقول أن ذلك الصدر « المهمل » فيه نص صريح على أن عيسى عليه السلام « رسول » وأن الآية التي جاء بها ليست من صنعه هو، بل « من ربكم » وليست من « عندياته هو » وإنما هو مجرد وسيط وبعد أن ساق البابا ما ارتضاه من نص الآية علق عليها قائلاً :

(١) الكشف (ج ١ ص ٤٣٣) .

« هنا يقف العقل لتتأمل الروح .. ؟ لماذا يختص المسيح بهذه المعجزات التي لم يعملها أحد، والتي هي من عمل الله ذاته؟ الخلق ومعرفة الغيب » انتهى كلامه .
ونحن لا نريد أن نطيل في الرد . فإن الآية نفسها ترد كل زعم أو مغالاة حول معجزات عيسى عليه السلام . فعيسى نفسه يصرح - كما جاء في الآية - أنه فعل ما فعل بإذن الله . وأن الآية التي جاء بها هي من « ربكم » فلم يغال عيسى عليه السلام في تزييف الوقائع، بل أدى الأمانة مثلما بعث بها لم يزد ولم ينقص . وكيف يغالي وهو رسول أمين !؟

والذي يجب أن يكون عقيدة المؤمن، إن المعجزات جميعها - خوارق تسمو فوق كل اعتبار عقليا كان أو طبيعيا، أو عاديا . يجريها الله على أيدي أنبيائه ورسله، متحديا بها الخصوم . ودلالة المعجزة هو صوت خفي ينشأ في شعور المشاهد لوقوع المعجزة « صدقوا عبيدي في ما يبلغ عنى » .

لأن جريان المعجزة على يد بشر يقول: أنا رسول من عند الله . والمشاهد للمعجزة بشر مثله . وهذا المشاهد يحس بالنقص أمام من جرت المعجزة على يديه . فكلاهما بشر . ولكن لماذا فعل هذا؟ وعجز هذا عن أن يفعل مثله؟! وما داما هما: من جرت على يديه المعجزة، ومن شاهدها . مستويين في الصفات البشرية، فلا بد أن تكون هناك ميزة في جانب الذي جرت على يديه الخارقة، ليست هي في قدرة يشاهدها . وهنا لا تجد النفس المشاهدة للخارقة مرجعا إلى تلك الميزة إلا أن يكون الذي جرت على يديه الخارقة رسولا كما يدعى هو؟ وهذا هو المطلوب من كل معجزة أجزاها الله على يد رسول .

أن فاعل المعجزات هو الله يؤيد بها صدق رسله فيما يدعون حتى تصبح الدعوى دعوة، والتبليغ عقيدة راسخة في النفوس .

وما دام الله هو فاعل المعجزة، وليس الرسول ، أى رسول، فلا تفاضل بين معجزة ومعجزة، لأنهن جميعاً من خوارق العادات ومدارك العقول .. وإنما تتفاضل المعجزات من حيث بقاؤها لكل جيل، ومن حيث ظهورها وخفاؤها حتى تصبح خبيرا من الأخبار .

وبناء على هذا فإن المعجزات التي يجريها الله على أيدي رسله تتنوع بحسب الأوضاع البارزة في حياة الأمم والشعوب الذين أرسل الله لهم رسله فمعجزة خاتم الرسل ﷺ كانت هي « البيان » لأن الأمة التي بعث إليها كانت تملك من البيان الرفيع أعلى

نواصيه . للبيان فى حياتهم حياة، وللشعر فى دولتهم دولة . فجاء محمد عليه السلام بما بذهم به من البيان المعجز «القرآن العظيم» فسقطوا فى أيديهم .

ولما كان السحر متفشيا فى عصر فرعون موسى عليه السلام، حتى اتخذ فرعونه منهم صفوة ممتازة أتى الله موسى ما هو فوق السحر اعجابا واعجازا أنها «عصاه» التى صنع الله بها على يديه الأعاجيب التى لم يروها ولم يسمعوها بها من قبل .

ولندع الآن معجزات خاتم النبیین ونعود إليها عند حلول مناسبتها من هذه المواجهة . ولننظر فى معجزات الرسل : إبراهيم، وموسى، وداود وسليمان - كما حكاها القرآن الأمين - ونقارنها بمعجزات عيسى عليهم جميعا السلام، لنرى هل معجزاته أعجب أو أبقى أثرا من معجزاتهم فنسلم للبابا فى ما يدعيه، أم أنها كلها سواء فلا تكون لعيسى عليه السلام ميزة ترفعه فوق «مقامات البشر» فضلا عن اخوانه الرسل الأخيار فيندفع ما يدعيه البابا من نتائج لم تسلم مقدماتها .

ونحن فى هذا وذاك لا نريد إلا الحق، والحق وحده، والله على ما نقول شهيد .

● معجزات إبراهيم عليه السلام :

حطم إبراهيم عليه السلام أصنام قومه قائلا لهم :

﴿ أَفَرِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٦٧] .

وكان قوله نهاية حوار أداروه معه وكان حزنهم على آلهتهم عظيماً، فسخر منهم ومن أصنامهم فأجمعوا على أمر يشفى غيظهم : ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء : ٦٨] .

فأضرموا النار وأججوها وانتشرت حرارتها حولها لدرجة أن من يقترب منها يحترق قبل أن تمسه النار، وألقوا فيها إبراهيم عليه السلام من بعيد وغاص إبراهيم فى قرار جحيمهم، واشتعلت النيران عليه ما شاء الله لها أن تشتعل، والقوم فرحون ظانين أنهم قد اقتصوا آلهتهم ولم يشك أحد منهم فى هلاكه وأنه صار فحماً ورماداً . وما أن خمدت النيران حتى بإبراهيم عليه السلام هو هو لم تمسه النار بسوء ..؟! وكيف ذلك والنار محرقة؟! أكان مع إبراهيم جهاز أطفاء؟ كلا . إن النار لم تتوقف حتى التهمت كل ما قدموه لها من وقود .

ولكن لأن الله أصدر أمره للنار ساعة قذفوا فيها صفيه وخليه ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾ [الأنبياء : ٦٩ - ٧٠]

هذا ما يقوله القرآن عن إحدى معجزات إبراهيم عليه السلام . معجزة خارقة لكل مالوف، وهى لم تجر لنبي أو رسول غيره . بل خصه الله بها، لأن ليس كل رسول هم قومه باحراقه حتى تكون معجزة إبطال مفعول النار واقعة مسجلة فى سجل كل رسول . وهذا هو إبراهيم عليه السلام الذى نجا من النار يتوجه إلى ربه بسؤال عزيز لديه ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُتُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لَيْطُمِّنُ قَلْبِي﴾ [البقرة : ٢٦٠] .

فاستجاب له ربه، ثم بين له طريقة يرى بها كيف يحيى الله الموتى فقال : « .. فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً . ثم ادعهن يأتينك سعياً ، واعلم أن الله عزيز حكيم . » أربعة من الطير : طاووس ، وديك ، وغراب ، وحمامة^(١) .

ياخذ إبراهيم هذه الجماعة من الطير تمثل أربعة أنواع من الطيور، ثم يذبحهن ويقطعهن أجزاء، ثم يضع من كل واحد منها جزءاً على جبل هكذا متفرقات غير متجمعات، لم يضع جزءين لطائر واحد فى مكان واحد، وقد حفظ إبراهيم صورها وأشكالها فى مخيلته قبل أن يذبحها وها هى ذى الآن أشلاء منشرة على قمم الجبال، ويقف إبراهيم عليه السلام ينادى الطيور التى ماتت وكأنه اسرافيل ينفخ فى الصور النفخة الثانية، فإذا بالطيور الأربعة تسرع إليه طيراناً وسعياً على الأقدام تماماً كما كن قبل أن يذبحن بأشكالها وصورها، وهيئاتها وأحجامها ودقائق صفاتها فيطمئن قلب إبراهيم ويرى عياناً ما أدركه استدلالاً ونظراً هاتان معجزتان مما اجراه الله على يد خليله إبراهيم عليه السلام ونقف الآن فنسأل :

أليس فى مسألة ابطال مفعول النار خارقة عظيمة من الله بها على إبراهيم وأقام الحجة على صدقه؟!

ثم أليس فى مسألة إحياء الطيور خارقة تماثل خارقة إحياء الموتى الذى أجراه الله على يد رسوله عيسى عليه السلام .

فهل معجزات عيسى أبقي أثراً وأدخل فى باب الإعجاز - عند العقل - من معجزتى إبراهيم عليهما السلام؟ أم كلها خوارق عظيمة متحدة الدرجة أجرى الله كلا

(١) الكشاف (ج ١ ص ٣٩١) .

منها حسب مقتضيات المقام؟ هذه عقيدة المؤمنين الذين لا يفرقون بين أحد من رسل الله وهم له مسلمون .

● موسى وعصاه :

وما من الله به على إبراهيم وعيسى عليهما السلام من بمثله على موسى عليه السلام فقد كانت عصى موسى مصدرا للأعاجيب :

مرة يلقيها فإذا هي حية تسعى، وتهتز كأنها جان حتى يولى موسى مدبرا ولم يعقب حتى يسمع صوت الأمان يناديه من عل .

ومرة يلقيها فتبتلع الأعيب سحرة فرعون بعد أن ماجت الساحة بحبالهم وعصيتهم كأنها حيات وثعابين تسعى وتتحرك . وينتصب موسى بعصاه علي مهرة السحرة الذين اصطفاهم فرعون موسى فى أكبر مباراة بين ظلام الباطل ونور الحق .

ومرة يضرب بها البحر فينفلق صانعا اثنى عشر طريقا كل طريق منها كالطود العظيم، ويسير فيها مؤمنو بنى إسرائيل فيتبعهم فرعون وجنوده، وبينما ينجو آخر مؤمن، ويتوسط فرعون وجنوده البحر إذا هو ينطبق عليهم فيغرقون ولا يبقى منهم أحد ..

ومرة يضرب بها الحجر فتندفق منه المياه فى اثنتى عشرة عينا، ليشرب كل أناس من مشربهم، لا يزاحمهم فيه أحد .

هذا بعض ما من الله به على موسى . وهذا هو القرآن يقص علينا فى صدق أحسن القصص :

﴿ .. أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾ [القصص : ٣٠ - ٣١] .

﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى * قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى * قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةٌ مُوسَى * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى * فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ [طه : ٦٤ - ٧٠] .

﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالِ اصْحَابُ مُوسَى اِنَّا لَمُدْرِكُونَ * قَالِ كَلَّا اِنْ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَاَوْحَيْنَا اِلَى مُوسَى اَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَاَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّوْدِ الْعَظِيمِ * وَاَزَلْنَا ثُمَّ الْاٰخِرِينَ * وَاَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ اَجْمَعِينَ * ثُمَّ اَغْرَقْنَا الْاٰخِرِينَ * اِنْ فِيْ ذٰلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ اَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ٦١ - ٦٧] .

﴿ وَاِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَاَنْفَجَرْتُمْ مِنْهُ اَنْثًا عَشْرَةً عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ اُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللّٰهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْاَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [البقرة : ٦٠] .

وهذا بعض ما من الله به على رسوله موسى عليه السلام . فما ترى فى ذلك عجباً وأى عجب .

أليس فى مسألة انقلاب العصى حية تسعى خارقة مماثلة تماماً لما كان يجريه الله على يد عيسى عليه السلام من النفخ فى الطين فيكون طيراً بإذن الله ..؟! فالعصى جماد، والطين جماد، وكلاهما تحولاً بقدرة الله إلى « كائن حى له روح » فى أى الخصائص تمتاز المعجزة « العيسوية » على المعجزة « الموسوية » وكلتاها الله فاعلهما . حتى معجزة أحياء الموتى التى كرم الله بها إبراهيم عليه السلام، ثم أيد بها عيسى عليه السلام ، حتى هذه المعجزة لم يحرم الله نبيه موسى عليه السلام منها . وقد تضمن الإشارة إلى تأييد موسى بها فى قوله تعالى : ﴿ وَاِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَاَدْرَأْتُمْ فِيهَا وَاللّٰهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوْهُ بِبَعْضِهَا كَذٰلِكَ يُحْيِي اللّٰهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٧٢ - ٧٣] .

وأيد الله بها حين قال بنو إسرائيل لموسى ﴿ .. لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللّٰهَ جَهْرَةً فَاَخَذْتُمْ الصّٰعِقَةَ وَاَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ * ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة : ٥٥ - ٥٦] .

أيقال بعد هذا كله أن معجزات عيسى عليه السلام « لم يعملها أحد مثله » وكأنه هو الذى صنعها ولم يصنعها الله؟! .

● داود والجبال !؟

ومن الله على عبده داود بمن عظمة، فسخر له الجبال تؤوب معه، وسخر له الطير كما سخر الجبال، وألان له الحديد يتصرف فيه كيف يشاء، بلا نار تذيب، ولا مطرقة ولا سندان.

وفي ذلك يقول القرآن الأمين: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ: ١٠ - ١١].

ومهما اختلف العلماء في معنى تأويب الجبال بين أن تردد معه التسبيح إذا سبح حتى يسمع لها صوت أو تسير معه إذا سار، أو تجود له بما أودعه الله فيها من كنوز فإن هذه الآيات الثلاث:

تأويب الجبال، وتأويب الطير، وإلانة الحديد خوارق لم يمن الله بها إلا على من اصطفاه من عباده واستقام على نهجه وهداه. وكلها أمام العقل مدعاة للإعجاب والتأمل.

● سليمان وإسالة عين القطر وعالم الفضاء :

وورث سليمان داود، ورثه في النبوة والملك والتقوى والاستقامة وورثه في مجال «الصناعة» وورثه في خصائص المعجزات، فقد أجرى الله لهما معجزات وخوارق متحدة النوع. وأن تفاوتت فيما بينها.

ففي مجال الصناعة فقد هيأ الله له أسباب قيامها «خفيفة وثقيلة» أمده بالمواد الخام، ووفر له الطاقة الحرارية اللازمة لها. وسخر له مهرة العمال الذين يعملون له ما يشاء.

فقد أسال له عين القطر، وهو النحاس المذاب. أسالها وأقرها بين يديه مادة طيبة قد عملت فيها الطاقة عملها. وسخر له حشدا هائلا من الجن يعملون في «مصانعه» كل ما كانت تحتاج إليه البيئة من صناعات ثقيلة أو خفيفة.

وأعجب من هذا فقد سخر له «الفضاء» قبل أن يعرفه العالم المعاصر بمئات القرون، فهذه هي الريح تجوب له وبه الآفاق تقطع في نصف النهار الأول ما يقطعهُ المسافرون في شهر، وتقطع في نصفه الثاني مثل ما قطعتهُ في النصف الأول. حدث هذا في عهد سليمان قبل عصور النهضة بقرون طوال. وفي ذلك يقول القرآن الأمين:

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوَهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُم عَنْ أَمْرِنَا نُنْذِرْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحَارِبٍ وَتَمَاثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ : ١٢ - ١٣] .

● سليمان ومنطق الطير :

ومن مظاهر ما من الله به على عبده سليمان عليه السلام أن علمه منطق الطير يسمع لغاتها ويحذق معانيها، ففتح له كل مغلق، وأدنى كل بعيد والى هذا يشير القرآن الحكيم :

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل : ١٦] .

وبهذا فقه سليمان قول النملة لبنى جنسها : ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل : ١٨ - ١٩] .

● سليمان وعرش بلقيس :

ومن المعجزات الفريدة فى سجل نبى الله سليمان واقعة نقل عرش بلقيس . أنها واقعة تحتاج - الآن - إلى أبحاث علمية متخصصة وعميقة . يقوم بها حشد هائل من خبراء هندسة المعمار . وحشد هائل من خبراء الجيولوجيا ، وحشد هائل من خبراء علوم الفضاء وخبراء الديكور ..!؟

فها هى ذى بلقيس تجمع - بعد الدراسة - على أن تلقى سليمان عليه السلام ، ويعلم سليمان بهذا فيفكر فى إجراء خارقة تشاهدها عابدة الشمس من دون الله؟ واستقر الرأى على نقل عرشها، فجاء به أسرعهم الذى قال : ﴿أنا أتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ .

وقبل أن تصل بلقيس وقومها إلى مقر سليمان كان عرشها العظيم قد استقر بين يديه فلما أبصرته وسئلت أهكذا عرشك؟ قالت كانه هو ولم تقطع . ولم تجد عابدة

الشمس أمام هذه الآيات إلا أن تقول : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

فلنعد صياغة السؤال الآن ونتوجه به إلى أهل الذكر من الخبراء المعاصرين ليفتونا
في أمرنا إن كانوا فاعلين .

افتونا يفتكم الله، عرش هذا وصفه «عظيم» كيف اقتلع من الأرض هكذا قبل
أن يرتد إلى الناظر طرفه، وكيف حمل في الفضاء ولم يحدث فيه شرخ ولا تغيير شيء
من نظامه، ولا تبعثرت ديكوراته . أفي وسع الإنسانية - الآن - وقد تقدم بها العلم في
أعماق الأرض وفي أجواء الفضاء وآفاقه . أفي مقدورها الآن أن تقوم برحلة أيا كان
قصرها قبل أن ينطبق جفن العين، مجرد رحلة فضلا عن أن يكون المنقول فيها عرشا
عظيما مثل عرش بلقيس!؟

أم أن الإنسانية عاجزة كل العجز - الآن - عن القيام بأدنى فرض في هذا المجال .
وستظل عاجزة كل العجز عن مثل ما أجراه الله على يد سليمان عليه السلام منذ مئات
القرون . نعم هي عاجزة - الآن - وستظل عاجزة بعد الآن حتى يرث الله الأرض ومن
عليها .

ثم نعوذ فنسأل :

أبعد هذا كله يقال : أن معجزات عيسى عليه السلام فوق معجزات «البشر»
وهم يقصدون من هذا أخوانه الأنبياء والرسل، فليس بين هذه المعجزات من حيث هي
معجزات فاضل ومفضل، فما من فضل آتاه الله عيسى ألا وقد أتى رسله مثله، وبقي
الجميع متساويين في عقيدة المؤمن الحق في أنهم رسل الله المكرمون المنصورون . أنهم
رواد اصطفاهم ليعبدوا الطريق أمام خاتم النبيين فأيد كلا منهم بما على مثله آمن
البشر . فآدوا الأمانة، وبلغوا الرسالة ورضى الله عنهم ورضوا عنه .

ولم يدع رسول واحد منهم أن ما جاء به من معجزات كانت من صنعه هو، فقد
كانوا أمناء فيما يقولون عارفين حدودهم فالتزموها ولم يخرجوا عنها، طالبين من
الناس أن يعبدوا الله رب الجميع، متضافرين على غرس عقيدة التوحيد في قلوبهم .

وقد حرص القرآن الأمين على أن يرفع كل لبس عند قصه نبأ المعجزات، فقد
اسندها إلى فاعلها الحقيقي وهو الله . ومن يعد إلى نصوص القرآن فيما ذكرناه من
معجزات يجد هذا المنهج واضحا جليا .

فمع إبراهيم عليه السلام قال: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾
ولم يقل أن إبراهيم قال يا نار كوني بردا وسلاما علي.
وفى إحياء الطير قال: ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وكان الله هو الذى رسم له
خطة التجربة.

وفى معجزات موسى كان هذا التعبير: «فاضرب بعصاك البحر» و«فاضرب
بعصاك الحجر» و«ألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا».
وفى إحياء الميت قال: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ وفى
داود قال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ وفى سليمان قال:
﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾.

وفى معجزات عيسى صدرها بقوله: ﴿وَجِئْتَكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾.
ثم عقب معجزاته واحدة واحدة بقوله «بإذن الله» فى الأخبار عن قول عيسى
على السلام و«بإذنى» فى حكاية قول الله ممثنا على عيسى عليهم السلام اجمعين.
أيقال بعد هذا أن معجزات عيسى لم يعملها أحد غيره . . . ١٩٠

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ * مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ
وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا
صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [مریم: ٣٤ - ٣٦].

● رابعا: موته ورفعته للسماء:

لم يطل البابا فى هذا الفرع، فاكتفى بأن ساق آية آل عمران ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى
إِنِّي مُتَوَكِّفٌ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ
كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ وقد
أهمل البابا الجزء الأخير من الآية، والذى تراه مخطوطا أسفله، ثم علق عليه بقوله:

«والمسيحية تؤمن بموت المسيح، وصعوده إلى السماء، ولكن القرآن لم يبين
كيف رفع المسيح، ومتى حدث ذلك، وبقي الأمر عجبا».
وحيث لم يطل، فإننا لن نطيل فى مناقشته هنا، ونكتفى من جانبنا بإثبات
ملحوظتين:

الأولى: أن أراد البابا بإيراده هذه الآية إثبات خاصية إلى المسيح عليه السلام لم

يشركه فيها أحد من الأنبياء، تمهيدا لما بينونه عليها وعلى مثيلاتها من الحكم بربوبية عيسى عليه السلام رددنا عليه دعواه من وجهين .

الأول : أن الرفع قد صرح به فى القرآن الحكيم بعد اثبات « التوفية » وهناك اختلاف كبير بين العلماء والمفسرين . ففريق منهم يرى أن عيسى عليه السلام توفاه الله ثم رفعه إليه . وعلى هذا فلا مزية لعيسى عليه السلام على أخوانه الأنبياء والمرسلين .

الثانى : أن الرفع حدث له عليه السلام وهو حى ووجهوا تقديم التوفية عليه حيث قال « متوفيك ورافعك إلى » بأن التقديم مع حرف العطف الذى هو « الواو » لا يقتضى تقديم التوفية فى الترتيب الوقوعى ، لأن الواو لمطلق الجمع ، يعطف بها السابق على اللاحق واللاحق على السابق ، كما يعطف بها أحد المتصاحبين على الآخر ، وهذا لا خلاف فيه عربية ، والقول بأنه رفع حيا هو الأرجح عند العلماء .

وحتى على هذا رأى - كذلك - لا مزية لعيسى عليه السلام فيه على جميع الأنبياء ، فقد اشترك فيه معه نبي الله أدریس عليه السلام ، ونذكر للمقارئ ما ورد فى هذا الشأن عند المفسرين حين فسروا قوله تعالى فى شأن إدريس ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مریم : ٥٧] .

جاء فى تفسير الفخر الرازى^(١) : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ وفى قولان : أحدهما : أنه من رفعة المنزلة كقوله تعالى لمحمد ﷺ ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ فإن الله تعالى شرفه بالنبوة ، وأنزل عليه ثلاثين صحيفة ، وهو أول من خط بالقلم ، ونظر فى علم النجوم والحساب ، وأول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلد . ثانيهما : أن المراد به الرفعة إلى المكان العالى . وهذا أولى ، لأن الرفعة المقرونة بالمكان تكون رفعة فى المكان لا فى الدرجة ثم اختلفوا - أى القائلون برفعة المكان - فقال بعضهم أن الله رفعه إلى السماء وإلى الجنة وهو حى لم يموت ، وقال آخرون بل رفع إلى السماء وقبض (أى بعد الرفع) وروى هذا رأى الأخير ابن عباس عن كعب^(٢) .

ونقل الزمخشرى هذا رأى « رفعه حيا » وعز روايته إلى أنس بن مالك مرفوعا كما عزاها إلى ابن عباس مرة ، وإلى الحسن رضى الله عنه مرة أخرى^(٣) .

(١) (جـ ١ ص ٢٣٣) . (٢) الكشاف (جـ ٢ ص ٥١٣) .

(٣) روح المعانى (جـ ٦ ص ١٠٦) وانظر - أيضا تفسير القرطبى (جـ ١١ ص ١١٧ ،

والنسقى (جـ ٢ ص ٣٩) .

ويفيض صاحب روح المعانى فى هذا ثم يقول:

«وأكثر القائلين برفعه حسا - حيا - قائلون بأنه حى حيث رفع» ثم يذكر رواية عن قتادة كالتى مرت فى الرازى عن ابن عباس أنه رفع ثم مات حيث رفع، ويعلق صاحب روح المعانى على هذه الرواية فيقول: «وهو شاذ» .

فها هو ذا إدريس عليه السلام اشترك مع عيسى عليه السلام فى أن كلا منهما قد نص القرآن على أن الله «رفعه» وأن العلماء اختلفوا فى رفع كل منهما هل كان بعد الموت أو قبله، وهل هما الآن حيان أم ميتان. ومن هذا كله نستبعد - فى يقين - استئثار عيسى بهذه الخاصة دون جميع الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

● الملحوظة الثانية:

وهى من وادى اللغة ذلك أن البابا قال «والمسيحية تؤمن بموت المسيح وصعوده إلى السماء» وكان الصحيح أن يقول «ورفعه إلى السماء» بدل «صعوده» ولا تظن أن الكلمتين بمعنى واحد وأن كان هذا متبادرا إلى الفهم، لأن بين دلالة الكلمتين فرقا كبيرا جدا فى اللغة، وفى الاعتقاد.

ولا أظن أن البابا يخفى عليه ذلك الفرق بين مدلول الكلمتين، كما أننى لا أستطيع أن أقنع نفسى بأن البابا لم يقصد معنى «صعوده» قصدا، ويهمل معنى «رفعه» إهمالا مقصودا.

فالفعل «رفع» فعل متعد يفتقر بعد فاعله إلى مفعول يقع عليه ما دام هو متعديا إلى مفعول واحد.

أما الفعل «صعد» الذى اشتق منه «صعوده» مضافا إلى عيسى عليه السلام فهو فعل لازم، والفعل اللازم مكثف بفاعله وليس به حاجة إلى مفعول هكذا تقضى قواعد اللغة العربية.

وإنما أهمل البابا كلمة «رفعه» وهو مصدر مضاف إلى مفعوله مع أن هذا الفعل هو الوارد فى النصوص الشرعية المقدسة، وفى مقدمتها القرآن الحكيم. لأن استعماله بحسب اللغة يستلزم فاعلا للمصدر، تبعا لفعله ويستلزم مفعولا يقع عليه.

فإذا فصلت هذا الاجمال كانت أجزاء التركيب المضمرة ثلاثة هى: الفعل + الفاعل + المفعول. فالفعل هو «رفع» والفاعل هو «الله» والمفعول الذى وقع عليه الفعل هو «عيسى» عليه السلام.

أما الفعل «صعد» الذى آثره البابا فاشتق منه مصدره المضاف وهو «صعوده» فلا يستلزم - بحسب قواعد اللغة إلا جزءين يتم بها التركيب . وهما : الفعل + الفاعل . فالفعل هو «صعد» والفاعل هو «عيسى» عليه السلام .

ولاشك أن المناسب إلى عقيدة البابا هو «صعوده» دون «رفعه» اشعاراً بأن عيسى عليه السلام صعد بنفسه ولم يرفعه رافع ولو كان الرافع هو «الله» جلت قدرته . وهذا يتسق مع عقيدة النصارى فى عيسى عليه السلام إذ يدعونه «الرب يسوع» ومن كان ربا فهو ليس فى حاجة إلى أن يرفعه رافع، وإنما يصعد هو صعوداً !!

أفلمت معى - أنت - فى أن هذه الدلالة الدقيقة مقصودة قصداً، ولم يجربها القلم اعتباطاً، ولا هى من محض الصدف، ولا من باب المشتركات اللفظية التى يدعونها فى أصول اللغة مترادفات ..!؟

• خامساً : صفات المسيح الأخرى :

لم يذكر البابا فى هذا القسم سوى قوله تعالى واصفاً عيسى عليه السلام :

﴿وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين﴾ ثم قال :

«وقد شرح أئمة المفسرين معنى هذا الوصف باستفاضة، وخرجوا منه بعلو مركز المسيح علواً عجبياً . وبأنه فى الآخرة تكون له شفاعاة فى الناس» هذا كلامه . أما نحن، فمع أن كلام البابا لم يغير من عقيدتنا شيئاً مما هو معلوم ومعتقد لنا عن جميع أنبياء الله ورسله، فإننا رجعنا إلى ما قاله المفسرون فى شرح هذه العبارة فرأينا الآتى :

«وجيهاً» أى شريفاً ذا جاه وقدر .. القرطبي (ج ٤ ص ٩٠) .

«والوجاهة فى الدنيا النبوة، وفى الآخرة الشفاعاة وعلو الدرجة فى الجنة»

الكشاف (ج ١ ص ٤٣٠) .

«وأما عيسى عليه السلام فهو وجيه فى الدنيا بسبب أنه يستجاب دعاؤه ويحى الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص بسبب دعائه، ووجيه فى الآخرة بسبب أنه يجعله شفيع أمتة المحقين، ويقبل شفاعته فيهم، كما يقبل شفاعاة أكابر الأنبياء عليهم السلام» الفخر الرازى (ج ٨ ص ٥٠) .

«وجيهاً» ذا قدر وجاه «فى الدنيا» بالنبوة والطاعة «وفى الآخرة» بعلو الدرجة

والشفاعة .. النسفى (ج ١ ص ١٥٨) .

« وجيها في الدنيا والآخرة » الوجيه ذو الجاه والشرف والقدر، وقيل الكريم على من يسأل فلا يرد لكرم وجهه عنده، خلاف من يبذل وجهه للمسألة فيرد، ووجاهته في الدنيا بالنبوة والتقدم على الناس (يعنى معاصريه) وفي الآخرة بقبول شفاعته وعلو درجته ».

« وقيل وجاهته في الدنيا بقبول دعائه بإحياء الموتى، وبراء الأكمة والأبرص، وقيل بسبب أنه كان مبرءاً من العيوب التي أفتراها عليه اليهود - يعنى قولهم أنه ابن زنا - وفي الآخرة ما تقدم » روح المعانى (ج ٣ ص ١٦٢) .
هذه مذاهب خمسة من كبار المفسرين فى معنى « وجاهة عيسى فى الدنيا والآخرة » وهى محصورة فى الدنيا بأمرين هما: النبوة ويتدرج تحتها قبول الدعاء والكرم والثانى : البراءة من العيوب التى رماه بها اليهود.
ومحصورة فى الآخرة بأمرين هما: قبول شفاعته فى مؤمنى أمته فى زمانه والثانى علو درجته فى الجنة.

وهذان لم يخرجاه عن نطاق « البشرية » كما لم يميزاه عن أخوته الأنبياء فكلهم كان مبرءاً من العيوب الخلقية والخلقية فى الدنيا، وكلهم ذو شفاعة فى الناس يوم القيامة، ولكنها شفاعة محدودة. وكلهم ذو درجة عالية فى الجنة بل أن الشفاعة يشترك فيها عباد الله الصالحون من غير الأنبياء، مع الأنبياء والمرسلين. وقد ورد فى هذا نصوص كثيرة عن الصادق المصدوق عليه السلام منها قوله عليه السلام: « فإن لكل أخ صالح يوم القيامة شفاعة ».

وبقيت كلمة واحدة حول حديث البابا عن المسيح عليه السلام، وهى خاصة ببراءته من الخطايا، ونحن نتفق مع البابا فى هذا المبدأ، ونختلف معه فى تخصيصه بعيسى عليه السلام إذ الأنبياء كلهم معصومون من الخطايا، وما جاءوا هم من عند ربهم إلا ليحولوا بين عباده وبين ارتكاب الخطايا والآثام ولا يقدر فى هذا أن موسى عليه السلام قتل رجلا من المصريين، لأن العبرة فى البواعث لا فى الفعل نفسه. وما حمل موسى على هذا الفعل إلا متأولاً. على أن العرض القرآنى لهذه الواقعة لا يفيد إلا هم موسى عليه السلام بالوكز للزجر والدفع لا بقصد القتل. ولو أن هذه الواقعة حدثت فى عصرنا لكان نظر القانون إليها على أنها قتل خطأ لا عمد ولا اصرار فيه إذ هى ضرب أفضى إلى الموت كما يقول القانونيون المعاصرون.

وهذا هو عرض القرآن الأمين للواقعة :

﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الواقعة : ١٥ - ١٦] .

أن عنف الدوافع إلى هذا الوكز، جعلت موسى عليه السلام يتضرع إلى ربه في ندم وتوبة، وعلم الله بحالة موسى حين فعل ما فعل كان سببا في سرعة عفو الله وغفرانه ذنبه .

ويعضى البابا فيذكر حديثا شريفا يقول فيه راويه - على حد تعبير البابا نفسه : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من مولود من آدم إلا ونخسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من نخسه آياه، إلا مريم وأبناها » .

وردنا على استشهاده هذا من وجهين :

الأول : أن القاضي عبد الجبار ناقش هذا الخبر وقال أنه خير آحاد على خلاف الدليل، وأخبار الآحاد - كما نعلم - لا يبني عليها دليل يقيني : فهذا رد للحديث من جهة الرواية، ثم اتبعه القاضي برد آخر من جهة الدراية فقال :

« وذلك لأن الشيطان إنما يدعو إلى الشر من له تمييز » يقصد أن الطفل حين يولد لا يكون له تمييز فكيف ينخسه الشيطان بمعنى يدعو إلى الشر وهو لا أدراك له .

وقد تعقب الألوسي في تفسيره روح المعاني الذي استيقنا منه هذا النقد فقال : « الأخبار في هذا الباب كثيرة وأكثرها وارد في الصحاح والأمر لامتناع فيه، وقد أخبر به الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام فليتلق بالقبول » (١) ١ - هـ .

ونحن مع الألوسي فيما قرره، نلتقاه بالقبول خاصة وأنه قد ورد في صحيح البخاري ومسلم، ولا شأن لنا بما أورده عبد الجبار من طعن في الخبر المذكور، ولكننا مع عبد الجبار حيث يقول : ولماذا اختص عيسى عليه السلام وأمه من بين سائر الأنبياء؟ ولن نقف طويلا مع هذا التساؤل الذي أورده القاضي عبد الجبار، فإنه على حق فيما قال حول اختصاص عيسى وأمه . ودليلنا على هذا ليس هو القاعدة العامة بعصمة الأنبياء فحسب، بل أن خبرا كهذا قد ورد في شأن يحيى عليه السلام .

(١) روح المعاني (ج ٣ ص ١٣٧) .

فقد روى أبو صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل ابن آدم يلقي الله بذنب قد أذنبه ، يعذبه عليه أو يرحمه أن شاء إلا يحيى ابن زكريا ، فإنه كان سيذا وحصورا ونبيا من الصالحين » وفي رواية الترمذى فى نوادر الأصول ، والحاكم وابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « ما من أحد من ولد آدم إلا وقد أخطأ أو هم بخطيئة إلا يحيى بن زكريا عليهما السلام لم يهم بخطيئة ولم يعملها » وروى عكرمة عن ابن عباس نحو ذلك .

وفى تفسير ابن جرير الطبرى فى توجيه قوله تعالى : ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ ﴾ أى أمان من الله يوم ولد من أن يناله الشيطان كما ينال سائر بنى آدم (١) . . فإذا كان عدم نخس الشيطان لعيسى عليه السلام هو حفظه من الخطايا فإن يحيى عليه السلام قسيمه فى هذا ، فسلام مولده عاصم له من نخس الشيطان وقد تعددت الروايات التى تنص على أنه لم يذنب قط .

وليس لنا من هدف فى هذه المقارنات إلا أن ندفع غلوا رأينا واضحا فى مقال البابا ، فأردنا أن نرى القارئ أن ما من فضل أتاه الله عيسى عليه السلام إلا وآتى أخوانه الأنبياء والرسل فضلا مثله ، وتلك نعم الله يهبها من شاء من عباده بحكمة وقدر . بل أن يحيى هذا عليه السلام قد وصفه الله بوصف لم يصف به أحدا من الأنبياء والرسل فضلا عن عامة الخلق ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ ومع انفراد يحيى عليه السلام بهذا الوصف ، لم يقل أحد بأن يحيى أفضل المرسلين والنبيين ، لأن لهذا الفضل مقاييس أخرى ستعرفها إن شاء الله حين تأتى مناسبتها من هذه المواجهة ومن الخصائص التى انفرد بها يحيى كذلك قوله تعالى : ﴿ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ كما اختص إسماعيل عليه السلام بقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾ ولم يقل أحد بأفضلية إسماعيل على سائر المرسلين ، وليس معنى هذا - كذلك - التعريض بغيره من المرسلين بأنهم لم يكونوا صادقى الوعد . وإنما هذه كلها أوصاف أجراها الله على من أجراها عليه وهو العليم الخبير .

وصفوة القول : لم تكن معجزات نبي من الأنبياء سببا فى خروجه عن نطاق « البشرية » ولا هذا هو معتقد مؤمن صحيح الإيمان ، وليست معجزات عيسى عليه

(١) راجع فى هذه النقول : تفسير القرطبي (ج ٤ ص ٧٨) وروح المعاني (ج ١٦

ص ٦٥) وتفسير الفخر الرازى (ج ٢١ ص ١٨٦) .

السلام بأعجب من معجزات غيره من رسل الله ومصطفيه، بل فى معجزات بعضهم ما هو أَدْخَلَ فى باب الإعجاز - عند العقل - من بعض معجزاته . أو منها كلها .
وليس هذا تجنيا على عيسى عليه السلام، وإنما هو الحق الذى يجب أن يقال ونحن حين نفرق أو نقارن معجزاته عليه السلام بمعجزات الأنبياء والرسل لا نفرق بينهم فى قداسة الإيمان بهم، وتصديقهم فيما بلغوه عن ربهم، ولو أن رجلا آمن وصدق بكل الأنبياء ثم شك أو ارتاب حول «رسالة» وأحد منهم، أيا كان ذلك الواحد . . فلا إيمان له عند الله، ولهذا فإننا نسوى فى الإيمان بينهم كلهم ونفضل - بعد ذلك - من فضله الله لا هوى من عند أنفسنا ولكن إيمان - كذلك - بقوله تعالى وهو مصدر الصدق والتوجيه :

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] .

القضية الخامسة : ادعاؤه أن بنوة المسيح لله - سبحانه - لا تنافى التوحيد؟! وتقوم هذه الفكرة عند البابا على ثلاثة دُفُوع :

الدفع الأول : أن القرآن ميز تمييزا واضحا بين الطوائف فذكر اليهود وذكر الصابئين، وذكر المشركين، ثم أبى أن يجعل النصرارى إلا قسما متميزا . فلو كانوا مشركين - على حد تعبيره - لما ميزهم عن تلك الطوائف . ولما كان هناك معنى لتمييزهم؟!

الدفع الثانى : أن بنوة عيسى لله ، ليست بنوة جسدية تناسلية، لأن البنوة فى «اللاهوت» هى «كبنوة الفكر للعقل . العقل يلد فكرا وليست له صاحبة»؟!

ويبنى على هذا الدفع قوله : «والمسيحية لم تقل فى يوم من الأيام بالوهية العذراء مريم، بل أن مريم نفسها تقول فى الإنجيل أنها «أمة الرب» فتأخذ وضعها كعبدة أمام الله...؟!

الدفع الثالث : أن ثالث المسيحية ليس ثالثا وثنيا كما ورد فى العبادات المصرية القديمة فى قصة الآله : أوزيريس ، والإلهة ازيس وابنهما الآله حوريس، المسيحية لا تؤمن بالشرك بالله إنما تؤمن بالتوحيد .

ثم يقول : «فالله هو جوهر إلهى^(١) أو ذات الهية له عقل وله روح والثلاثة واحد...؟!

(١) راجع الكشف (ج ٢ ص ٦٣٧) .

ثم يضرب مثلا على صحة مدعاه فيقول : « كالنار لها ذات، هي النار، وتتولد منها حرارة، وينبثق منها نور. والنار بحرارتها ونورها شيء واحد ... »!؟ هذه هي دفع البابا في ادعائه المذكور. وما نحن أولاء نواجهه على هذا الترتيب.

● مواجهة الدفع الأول :

يستدل البابا بقوله تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المائدة : ٨٢] وحجته - هنا - أن القرآن الكريم ميز بين النصارى وكل من اليهود والذين أشركوا.

ويستدل - كذلك - بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [الحج : ١٧].

أما الآية الأولى : ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً ﴾ فلها سبب نزول منصوص عليه في كتب التفسير فهي تصف طائفة - فعلا - بكت من خشية الله وهم النجاشى وقومه. ومع هذا الخصوص الذى يفهم من سبب النزول فنحن نشهد - كذلك - للحق وللحق وحده أن النصارى الصق مودة بالمؤمنين، وأكثر جوارا ومساعدة، وأن منهم كثيرين وكثيرين يتوادون ويتحابون مع المسلمين ويتبادلون فيما بينهم صنائع المعروف وهذا هو الغالب على أبناء الشعوب المسيحية، وعندنا هنا فى مصر أروع الأمثلة على تلك المودة إذ لا تفرقة ولا تمييز، وفى كثير من المواضع تلاصق الكنيسة المسجد وكل منا يعبد الله حسب عقيدته. وأفراح المسلمين تعج بجيرانهم النصارى، وأفراح النصارى يشترك فيها جموع من المسلمين. يتبادلون التهانى فى المناسبات الطيبة، ويتعازون فى المصائب ويواسي بعضهم بعضا.

نحن لا ننكر ذلك أبدا، ولا ندعى أن صلتنا بالنصارى مثل صلتنا باليهود ولا ندعى أن قلوب كل النصارى موغرة ضد المسلمين. كل هذا باطل ومدعيه مجانب للحقيقة.

وإنما الذى ننكره ونواجهه بكلمة الحق هو أن يحاول فريق من أى منا مسلمين أو نصارى ليعكر هذا الصفو، ويذرع العداوة والبغضاء بين أبناء الملتين. وهذا ما يفعله

بعض رجال الكنيسة فى بعض الأحيان . فالعلاقات بين عامة المسلمين وعامة المسيحيين – هنا فى مصر بالذات – طيبة إلى أبعد الحدود، ولكن حين يصدر مقال أو كتاب، أو نشرة تهاجم عقيدة المسلم فإن على رجل الدين الإسلامى أن يتصدى لها دافعا الحججة بالحجة والفكر بالفكر. ونحن نقول ما نقول صراحة وعلنا ولا ندرى ما يقال من قبل بعض رجال الكنيسة إلى الشعب المسيحى، وبعضه يوغر صدورهم نحو جيران لهم مسلمين آمنين لا يضمرون دينهم شرا لأحد بل وصاهم بحسن المعاملة وأن لا يفتنوا أحدا فى دينه .

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ و ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ .

ونحن نتمنى أن يلتزم كل منا حدوده فلا يعتدى على عقيدة الآخر. فالفتنة نائمة لعن الله موقظها .. ولا يسعنا فى هذا الصدد إلا أن نقول لكل مخالف لنا فى العقيدة أو الرأى :

« اعترف لنا بحقنا فى الحياة نعترف لك بذلك الحق. أمنا على حاضرنا ومستقبلنا لا نجد طريقا لمعادتك ».

أما الآية الثانية ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا ﴾ .. إلخ فلا حجة للبابا فيها فإن تمييز النصارى عن بقية الطوائف المذكورة فيها لا يفهم منها أبداً أن الإسلام يقر النصارى على ما هم عليه من عقيدة التثليث وانكار رسالة خاتم النبیین، ثم يعتبرهم فريقا متميزا ثابتاً على الحق أو موحدین لأن الآية إنما ذكرت تلك الطوائف وهم الذين آمنوا. واليهود – والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا، لأن كل طائفة منها عقيدة تخالف الأخرى وقد قدم المؤمنین على بقية الطوائف، لأنهم هم وحدهم الذين صدقوا بما أنزل الله على سائر رسله، ثم عدد بعدهم بقية الطوائف على أساس اختلاف عقيدة كل طائفة عن الأخرى فهم مختلفون مجتمعون :

مختلفون فى كنه العقيدة. فعقيدة اليهود غير عقيدة الصابئين، وعقيدة هؤلاء الصابئين غير عقيدة المجوس وغير عقيدة النصارى إلخ.

ومجتمعون حيث أنهم جميعا يجمعهم وصف واحد وهو مخالفة للحق الكلى الذى يجب أن يتبع. فالكفر كله ملة واحدة.

وحرصاً من الإسلام على حسم الجدل بين هؤلاء الطوائف، وترك التخاصم الجدلي فوضت الآية الكريمة أمر الفصل بينها إلى الله يوم القيامة «إن الله يفصل بينهم» .

أتدرى لماذا؟ لأن الخلافات الدينية الكبرى لا يملك الفصل فيها أحد في هذه الدنيا، لأن العثور على حكم مجرد غير ممكن فيها. فإذا اختلف يهودى ومسيحى فهل يحتكما إلى مسلم؟ كلا. لأن كلا منهما يفترض فيه خصومة فحكمه - إذن - غير مقبول .

وكذلك لو اختلف اليهود والمسلمون لدى نصرانى، أو اختلف المسلمون والنصارى لدى اليهود. فإن الشعور بالخصومة لا يكاد يفارق أحداً ممن ذكرنا . . وبناء على هذا فإن «الحكم المجرد» فى الخلافات الدينية الكبرى القائمة بيننا لا يمكن العثور عليه فى حياتنا الدنيا. ومن أجل هذا كله اختص الله نفسه بالنظر فى هذه القضية، فقولته وحده هو المسموع فيها، وحكمه وحده هو المقبول فيها وهو حكم مقرون بالنفاد مثوبة وعقوبة، فلنرجىء الفصل إليه وليكف كل منا عن أذى الآخر حتى نلقاه.

● مواجهة الدفع الثانى والدفع الثالث :

كان تصوير الدفع الثانى عند البابا هو أن بنوة عيسى لله - سبحانه - ليست بنوة جسدية تناسلية وإنما هى بنوة روحية كبنوة الفكر للعقل، ولن نطيل معه فى هذا الدفع لأن الفكرة المقيسة هنا، وهى فكرة بنوة عيسى لله - سبحانه - تختلف كل الاختلاف عن الفكرة المقيس عليها، وهى صلة الفكر بالعقل، وصلة حرارة النار ونورها بالنار. فعيسى عليه السلام مولود قطعاً لأم معروفة. حملت به كما يحمل النساء، ووضعته كما يضعن. وعيسى عليه السلام جسد وروح وعقل متميز تماماً عن أمه كما تميز الأطفال عن أمهاتهم. لكل منهم كيانه المستقل. يحس ويشعر ويأكل ويشرب ويصحو وينام ويتالم ويسعد. له بداية، وله نهاية. وهيكله الجسدى لم يبق بعد زواله.

بينما الفكر معنى من المعانى يدرك بالذهن وليس له صورة ولا شكل ولا لون ولا تميز يشغل به حيزاً من الفراغ . ومع هذا الفارق الجوهرى بين ما يريد إثباته البابا من بنوة عيسى لله - سبحانه - وبين الفكر من حيث صلته بمصدره العقل، فإن أحداً لم يقل أن الفكر ابن العقل وهو يعنى أنما يقول حقيقة إلا على ضرب من المجاز والتأويل .

وما يقال في صلة الفكر بالعقل يقال في صلة الحرارة والنور بمصدرهما النار؟ فليست الحرارة شيئاً غير النار وليست النار شيئاً غير الحرارة، ولكنهما متلازمان فبلوغ الحرارة درجة معينة تتولد عنه النار بحيث لا يدرى أيهما بنت الأخرى كما لا يدرى الفرخة بنت البيضة أم البيضة بنت الفرخة. والنور أمر اعتبارى وأن بدا له لون في الظاهر فليس له جسم ولا حجم ولا وزن.

ومع هذا كله فليست بنوة النار للحرارة، أو الحرارة للنار، أو النور للنار، ليست هذه كلها بنوة حقيقية كما يلزم من قولكم ببنوة عيسى لله - سبحانه - لأن في بنوة عيسى لله - سبحانه - فصلتم بين «الأقانيم» أو العناصر فصلاً واضحاً، وهو كذلك في الواقع. فالله ليس هو عيسى، ولا عيسى هو الله «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير».

وهذا يلزمكم بالتسليم بوجود «الصاحبة» لله - سبحانه - لأنها موجودة في الواقع - مريم أم المسيح - فلا تستطيعون التخلص منها وإن حاولتم فلن يقنع أحد بما تقولون، إلا أن يلغى ذلك «الأحد» عقله وفكره.

وكنا لا نريد أن نخرجك بكلام قاله أحد مرءوسيك الذى تصفونه في كتاباتكم بالكاتب القدير، وهو الأستاذ يسي منصور حيث يقول في كتابه: رسالة التثليث والتوحيد» ص ٢٦٠ كما نقل عنه الأستاذ محمد مجدى مرجان في كتابه المعروف^(١).

قال الأستاذ يسي منصور: «أن الروح القدس هو الأَقنوم الثالث فى اللاهوت وهو ليس مجرد تأثير أو صفة أو قوة، بل هو ذات حقيقي، وشخص حى (!) وأَقنوم متميز، ولكنه غير منفصل، وهو وحدة أقنومية غير أقنوم الأب وغير أقنوم الابن، ومساو لهما فى السلطان والمقام، ومشارك وإياهما فى جوهر واحد. وقبل هذا قال فى كتابه المذكور ص ٤٥ وما بعدها:

«إن الروح القدس هو الله الأزلى، فهو الكائن منذ البدء قبل الخليقة. وهو الخالق لكل شيء، والقادر على كل شيء، والحاضر فى كل مكان وهو السرمدى غير المحدود». وكلام الأستاذ يسي منصور الكاتب القدير يحمل تناقضين، أحدهما مع ما قد قررتموه أنتم فى تشبيه بنوة عيسى لله - سبحانه بكل من بنوتى الفكر للعقل والحرارة والنور للنار.

(١) الله واحد أم ثالث؟ (ص ١١٦).

وثانيهما مع ما قرره هو فى نصه السابق على هذا النص . وإليك البيان :

● أولاً - تناقضه معكم :

فى تمثيلكم بنوة عيسى لله - سبحانه - بينوة الفكر للعقل، والحرارة والنور للنار ذهبتم إلى القول بالوحدة « المعنوية » وهذا قولكم « والنار بنورها وحرارتها شىء واحد » .

بينما الكاتب القدير يخالفكم فى حديثه عن الروح القدس « الأقسام الثالث » يقرر أنه « ذات، وشخص حى » وأنه « متميز » وأنه « غير أقنوم الأب وغير أقنوم الابن » وأنه « مساو لهما فى السلطان والمقام » أى للأقنومين الأول والثانى . وبهذا التمييز والتشخص الحى، والمساواة فى السلطان والمقام لا يصبح لقولكم « والنار بنورها وحرها شىء واحد »؟! وليس هذا بالشىء الهين عند الفكر والعقل ألسنت معنا فى هذا الفهم؟!!

● ثانياً - تناقضه مع نفسه :

فالأستاذ يسى منصور أثبت فى النص المنقول عنه من ص ٤٥ من كتابة المذكور أن الروح القدس هو الخالق لكل شىء والقادر على كل شىء . مع أن هذا لم يسلم له لأن « الكلمة » صادرة عن « الآب » فهى له - أذن - وليست للروح القدس فأين ادعاء خلق كل شىء للروح القدس أذن؟ والآب هذا هو الذات . فهل هو ذات بلا روح؟! وإن كان الأمر - كذلك - فهل ترقى ذات لا حياة فيها فتصبح الالهة؟ وإذا كانت ذات روح فهل هى روح القدس؟ وإن كان الأمر كذلك فهل روح القدس هى الموجدة للذات لتقوم بها، وإذا كان الأمر كذلك فهل احتياج الروح القدس إلى الذات ضرورى . أن قال ضرورى نقل أن تلك الروح ليست ذات كمال مطلق لاحتياجه إلى ذات تقوم بها، وأن قال غير ضرورى كان خلق الذات عبثاً فلا يصح أن تكون الالهة .

وإن قال أنها روح أخرى غير الروح القدس قلنا . فلماذا أهملتم تلك الروح فلم تجعلوها اقنوماً رابعاً؟

وإذا كان الروح القدس مساوياً للأب والابن فى السلطان والمقام أليس وجود واحد منها « الأقسام الثلاثة » مغنياً عن وجود الأقنومين الآخرين وحتى هذا الذى يفلسفه الكاتب القدير يسى منصور من ادعاء التساوى بين كل من الأقسام الثلاثة يناقضه وينازعه واقع العقيدة عند المسيحيين كيف...؟!!

لأنهم جعلوا الله الآب مصدر العدل ..؟

وجعلوا الله الابن مصدر الرحمة؟

وجعلوا الله الروح مصدر النعمة؟

وعلى هذا فالله رقم واحد لا سلطان له فى مجالى الرحمة والنعمة؟

والله رقم اثنين لا سلطان له فى مجالى العدل والنعمة؟؟

والله رقم ثلاثة لا سلطان له فى مجال العدل والرحمة؟؟

الست معنا - يا سيادة البابا - فى هذا الفهم ..؟

وكذلك فإنهم غير متساوين فى المقام . فما دام الله الروح القدس هو الموجود منذ

البدء قبل الخليقة . فهو أعلى مقاما من الله الآب والله الابن . والله الآب أعلى مقاما من

الله الابن، لأن الله الآب هو الناطق، والله الابن هو « المنطوق » فكيف اذن يقال أنهم

متساوون فى المقام .

وبمراجعة جدول الاختصاصات المذكور أعلاه يتضح كذلك - أن الله الروح

القدس هو المتصرف فى كل الأمور، لأن العدل والرحمة جزءان من كليات النعم؟

ثم كيف يقال - بعد ذلك التمايز الذى أثبتته الكاتب القدير الأستاذ يسى

منصور - كيف يقال أنهم فى « جوهر » واحد .

ولا غرابة فى هذا الاختلاف الذى لا يكاد يستقر على قدم فإن البابا نفسه عاد

فناقض ما أثبتته فى صورتى ولادة العقل للفكر، وولادة النار لكل من النور والحرارة .

فبينما البابا يصرح بأن النار ونورها وحرارتها شىء واحد، توطئة لقبول فكرة التوحيد

الذى يقول بها مع اعتقاد التثليث . يعود فى نهاية المقال فيقول :

« فليس معنى كل ما قلناه أن القرآن والمسيحية شىء واحد . كلا . فهناك

خلافات جوهرية منها التثليث والتجسد ولاهوت المسيح وصلبه ومنها أسرار الكنيسة

والقرآن نفسه . »

أفليس هذا رجوعا عما حاول البابا إيهاهم القارىء من إمكان اعتبار المثلث موحدا .

ومن نفى التثليث الوثنى عن معتقد النصارى « المثلث »؟! سمه رجوعا، أو سمه

تناقضا، وبأى اسم سميته فإن مؤداه الذى لا يرتاب فيه ذو نظر أن التثليث إشراك .

كيفما فسر وعلى أى وجه وجهوه .

وأن التوحيد إيمان وبين التوحيد والتثليث، والاشراك والإيمان ما بين النور

والظلمات . فأتى يلتقيان !؟...!

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * الْحَقُّ
مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا
نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى
الْكَاذِبِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٩ - ٦٣] .

* * *

القسم الثانی

وثيقة : استحالة تحريف الكتاب المقدس

عرض ونقد

استحالة تحريف الكتاب المقدس .. !؟

أشرنا من قبل إلى هذا الكتاب، وقدمناه للقارىء، وأوجزنا الحديث عن محتوياته، والصلة بين كتاب « الاستحالة » وبين مقال البابا الذى قد واجهناه فى الصفحات السابقة وثيقة العرى. فقد تبنى الكتاب كل القضايا التى آثارها المقال، وأضاف إليها قضايا أخرى من اللون نفسه.

ومنهج كتاب « الاستحالة » هو منهج البابا نفسه :

فكل منهما عرض لعقائد تتفق وتختلف مع العقائد الإسلامية. وكل منهما سطا سطوا غير محمود على نصوص القرآن الحكيم محاولا أن يتخذ منها دليلا على صدق مدعاه من عقائد مرفوضة عقلا ونقلا. وأحيانا يتخذون من آيات القرآن الكريم نصوصا للتدليل على « تكذيب القرآن نفسه!؟ » أو الحكم على المسلمين بالكفر والخسران!؟!

وكل منهما يلجأ إلى نصوص من السنة المطهرة ليتخذ منها دليلا على « نقص » قائلها - ﷺ - وقصوره وضعة منزلته (!) هكذا سولت لهم أنفسهم ..!؟
ولم يكن رسول الإسلام - على حد تعبيرهم - هو وحده الذى تعرض لطعونهم وهجومهم. بل أن رسل الله كلهم : إبراهيم ، موسى ، وداود ... كل هؤلاء الكرام كانوا فريسة لكتاب « الاستحالة » فكلهم آثمون مخطئون. (!) بل أن البشرية كلها قد سقطت فى « كتاب الاستحالة » لأن أباهم آدم قد سقط (!) فلم يكن من بينهم « فاضل » أبدا فكلهم آثمون أولاد آثمين.
ولم يستثنوا من هذا العموم إلا « الرب يسوع » عيسى عليه السلام، وأمه وحواريه (!) .

ثم استلبوا نصوصا من القرآن العظيم وحاولوا أن يقيموا منها أدلة على صدق مدعياتهم، وهى كثيرة نخص منها ما يأتى :

(أ) سلامة الكتاب المقدس من التحريف واستمرار العمل به ..!؟

(ب) صلب المسيح فداء للبشرية من الأخطاء الموروثة ..!؟

(ج) أن اليسوع عيسى هو « الله » ..!؟

(د) أن اليسوع عيسى هو « الديان » ..!؟

(هـ) أن القرآن يبطل بعضه بعض ..!؟

(و) أن رسول الإسلام لم يأت بمعجزات !؟..!

(ز) أن عقيدة « التثليث » المسيحية معمول بها في الإسلام !؟..!

ثم استحدث كتاب « الاستحالة » طريقة لم يلجأ إليها البابا في مقاله لأسباب ظاهرة. وهذه الطريقة تتلخص في عمل « جداول » كل جدول منها أخضعوه لغرض خاص. وقد جاءت في الكتاب على الترتيب الآتي:

● جدول رقم (١) عقدوا فيه مقارنة بين رسول الإسلام من خلال نصوص قرآنية. وبين عيسى من خلال نصوص إنجيلية، وهما من النصوص التي تتحدث عن « الرسولين » وكان عيسى هو الصاعد بالطبع !؟..!

● جدول رقم (٢) قارنوا فيه بين النصوص القرآنية ونصوص إنجيلية تتحدث عن المسيح، محاولين إخضاع النصوص القرآنية لأهدافهم.

● جدول رقم (٣) لبيان المواضع التي اقتبس فيها القرآن الحميد من الكتاب المقدس « العهد القديم » ويعنون: التوراة !؟..!

● جدول رقم (٤) لبيان المواضع التي اقتبس فيها القرآن من الكتاب المقدس « العهد الجديد » ويعنون: الإنجيل !؟..!

● جدول رقم (٥) أثبتوا فيه نصوصا من القرآن يرفضها النصارى لاختلافها مع عقيدتهم.

وغير هذه وتلك فإن كتاب الاستحالة قد تجاوز كل حد في المغالطات والتجني التي لم يكن لها من باعث سوى الهوى، الذي حملهم على أن يستهتروا بكل قيم النقل والعقل. ترى ذلك واضحا في كل ما سطره وادعوه.

وغير خاف على القارئ أن بعض هذه الشبه التي أثارها الكتاب قد واجهناها في مناقشتنا السابقة. وها نحن الآن نعرض لبيان ما جاء في كتاب الاستحالة من زيف وخاصة تجرؤهم على النصوص القرآنية، واقحامها في مواضع هي غريبة عنها كل الغرابة !؟!

ونحن حين ندخل في حلبة هذا الحوار. ندخلها في ثقة غير خائفين من كساد تجارتنا. وأكرر فأقول: غير خائفين من كساد تجارتنا، لأننا لن نطرح في سوق الحوار والمجدل بضاعة زائفة أو مزيفة فنخشى بوارها. ولن نطرح في سوق الحوار والمجدل بضاعة مسلو به أو مغصوبة فنخشى افتضاح أمرنا من عثور مالكها « الحقيقي » علينا وعليها ولن نطرح في سوق الحوار والمجدل إلا بضاعة « أصيلة » هيمن صانعها على

« حمايتها » فلم تعبت بها أيدي « غلطة الإنتاج » ولم يغير من جودة « صنعها » تطاول زمان، أو تشعب مكان أو هوى كهان ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .
 بضاعة عتيقة أن حمد العتيق، متجددة أن طلب الجديد . طعمها هو هولم يتغير ولونها هو هولم يتبدل . وثوبها هو هولم يرث . مصنونة من هوس التقليد لوحدة « صانعتها » خزائنها ملأى لا تنضب وان كثر روادها . فيها من القديم أصله، ومن الجديد أسبقه . سابقت فسبقت . وحاورت فأنحمت . . وسيظل هذا حالها حتى يرث الله الأرض ومن عليها . وما عليها .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمَنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿ [فصلت : ٤٠ - ٤٢] .

● القضية الأولى - سلامة الكتاب المقدس من التحريف ، واستمراره !؟

لقد واجهنا فى مقال البابا هذه القضية . ورددنا للنصوص القرآنية التى قسرنا قسرا على مراده . وكان من الميسور أن نهملها عند مواجهتنا لما جاء فى كتاب « الاستحالة » من مغالطات . بيد أن توسيع الكتاب لهذه الدائرة، وقسره نصوصا قرآنية أخرى للتدليل عليها، ومزالق جديدة تورط فيها مؤلفه ومعاونوه . كل هذا حجب إلينا، أو قل أوجب علينا التصدى لها . حتى لا نذر شبهة واحدة قائمة فى هذا المجال .

وقد عرض كتاب « الاستحالة » هذه الفكرة موزعا لها على وحدات وهى :

● أولا - شهادة الإسلام أن الكتاب المقدس كتاب منزل من الله :

وشطر هذه الوحدة ثلاث شطرات :

أحدهما : خاصة بالتوراة « العهد القديم » واستدل عليها بما يأتى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا

مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٨] .

وقوله تعالى : ﴿ ... قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ

... قُلْ اللَّهُ ... ﴾ هكذا نقل كتاب « الاستحالة » والغرائب هذه الآية مع أن نص الآية

هكذا :

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا وَيَسْتَكْبِرُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام: ٩١] .

قارن - عزيزى القارىء - بين نص الآية كاملا كما ذكرناه وبين الصورة التى نقل بها « كتاب الاستحالة » والغرائب نفس الآية . وتسهيلا فقد وضعنا لك خطأ تحت النصوص التى أهملوها من الآية من أولها ومن وسطها وآخرها والقوم - هنا - يتحدثون عن « أمانتهم العلمية » وأن ما بين يديهم من توراة وإنجيل مصون لم يحرف . ثم هم أولاء يثبتون بيقين - أحبوا أم كرهوا - أنهم غير أمناء على « النصوص » وليست لها عندهم حرمة . فما وافق هواهم اثبتوه ، وما كان ضد هواهم أخفوه . ولا تظن - أيها القارىء - أن صنيعهم فى هذه الآية إنما حملهم على الاختصار والاقتصار على موطن « الشاهد » فهذا الظن مردود من وجهين :

الأول : أن المنهج المتبع فى مثل هذه المواقف أن يضع الكاتب سطرًا من النقط هكذا (...) لينبه القارىء على أن « هنا » حذفًا ليراجعه فى مظانه أن شاء . ومؤلف كتاب « الاستحالة » والغرائب ومعاونوه لم يفعلوا شيئًا من هذا . ولا نظن أنهم يجهلون !؟ .

والوجه الثانى : الآية اشتملت على « فقرات » تفضحهم فى نفس القضية التى يحاولون اظهار براءتهم فيها . ونفس تلك الفقرات هى التى حذفوها فصدر الآية المحذوف فيه ادانة صريحة لليهود بنكرانهم أن القرآن وحى .. ؟ . واستلوا على هذا القول الضال بأن الله لم ينزل وحيا على أحد من البشر . فكيف يقول محمد^(١) أذن أنه رسول موحى إليه .. ؟ .

فعلم الله رسوله أن يقول لهم : « من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى .. ؟ ! وهو بين أيديهم تجعلونه مجموعات تظهرون بعضها وتخفون بعضها . وهذا هو مدخل التحريف الذى يحاول الكتاب « الاستحالة » نفيه عن اليهود وعن التوراة . فالقوم - بناء على هذا - قصدوا حذف ذلك الحذف قصداً ، لأنهم أصحاب مصلحة فيه . فإين هى الأمانة العلمية عند هؤلاء - يا ترى^(٢) .

(١) صلى الله عليه وسلم . (٢) ثم تأمل بقية ما حذفوه منها لتزداد يقينا بما نقول .

وإذا كان هذا صنيعهم مع القرآن، وله حفاظه وحراسه. فما بالك بما بين أيديهم من نصوص وكتب هم أصحاب الكلمة فيها...؟! وصدق الشاعر الذي قال:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة
وان خالها تخفى على الناس تعلم
الشطرة الثانية: وهي خاصة بالزبور المنزل على داود عليه السلام واستدلوا فيها بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

ويقوله تعالى: ﴿.. وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

الشطرة الثالثة: وهي خاصة بالإنجيل. واستدلوا بالنصوص الآتية (١):

﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ [المائدة: ٤٧].

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾ [الحديد: ٢٧].

واستدلوا بالآية الآتية وصدروها بعنوان كالاتى:

● الإنجيل موحى به للحواريين (التلاميذ الاثني عشر):
أما الآية فهي:

وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى ﴿قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].

وقد أهمل كتاب «الاستحالة» والغرائب عجز الآية الذى بالبنت الأسود كما ورد فى الآية تحريف فوضعوا «للحواريين» بدل «إلى الحواريين» أما سبب إهمال عجز الآية فلا أظنه خافيا على أحد. وأما التحريف فلنكن حسنى الظن فنعزوه إلى «مجرد الإهمال» الخالى من القصد.

ثم أثبتوا بعد هذا عنواننا هو:

● التلاميذ يبشرون بالإنجيل، ويبلغون به العالم:
واستدلوا بقول تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا عَلِّمْنَا لِنَا أَلْكِتَابَ الَّذِي بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ وَلَا نُغَيِّرْهُ وَلَا نُنْجِسْهُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

﴿الْمُبِينُ﴾ [يس: ١٦ - ١٧].

(١) لن نكرر - هنا - ذكر الآيات التى ناقشناها فى مقال البابا إلا أن أضافوا إليها جديدا

لم يقله هو.

كما استدل على تنزيل الكتاب المقدس بعهديه بآيات منها قوله تعالى :
﴿ .. قل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم .. ﴾ هذا ما ذكره من
الآية . ونحن نذكرها بتمامها وهي :

﴿ فَلذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ
كِتَابٍ وَأُمرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمُ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١٥] .

حذف صدر الآية ، لأن فيه تثبيتاً للرسول عليه السلام ، وأمرًا بمخالفة أهواء أهل
الكتاب ، وبأن يعلن إيمانه بما أنزل من كتاب بحسب ما أنزله الله لا على ما هي عليه من
تحريف .

ثم حذف عجز الآية - كما تراه مخطوطا - وهو يظهر سمي صاحب الرسالة
عليه السلام إذ ينهى معهم الجدل بهذا التفويض الهادئ ﴿ الله يجمع بيننا وإليه المصير ﴾ .
والقوم في هذه النصوص كلها متمسكون بأن الكتاب المقدس منزل من عند الله
بعهديه القديم والجديد : التوراة والإنجيل . ونحن لا خلاف عندنا في أن كلا منهما
موحى به إلى موسى وعيسى عليهما السلام . ولكن إيماننا يختلف عن إيمانهم وفهمنا
لكل من التوراة والإنجيل يختلف عن فهم اليهود لتوراتهم ، وعن فهم النصارى
لعهديهما القديم والجديد ، واختلافنا مع النصارى في هذين معا أكثر عمقا من
اختلافنا مع اليهود . وإليك البيان :

فاليهود مقرون بأن التوراة نزلت على موسى من عند الله ، ويفهمون أن التوراة
هي الكتاب المنزل على موسى من عند الله .

أما النصارى فإنهم لا يؤمنون بأن الإنجيل وحي من عند الله نزل به جبريل عليه
السلام على عيسى عبد الله ورسوله . ولا يفهمون - تبعاً لذلك - أن الإنجيل هو
الكتاب المنزل من عند الله على عيسى عليه السلام . بل يؤمنون بأن الإنجيل كتاب لم
يتلقه عيسى عن وحي ، وإنما هو كلامه هو أملاه شفويا على تلاميذه الاثنى عشرة مرة ،
أو الأربعة كما تختلف وتضطرب آراؤهم في هذا المجال . وليس هو إنجيلا واحدا - كما
ينبغي أن يكون - وإنما هو أربعة أناجيل وهي : إنجيل متى ، وإنجيل مرقس ، وإنجيل
لوقا ، وإنجيل يوحنا .

وهذا الكلام ليس من عندياتنا بل هو عقيدتهم المجمع عليها . وما عليك إلا أن تفتح كتاب « استحالة تحريف الكتاب المقدس » فى طبعته الثانية فإنك سوف تجد فى النصف الأسفل من ص ٦٩ ما يلى بالحرف الواحد :

« ولذلك فالإنجيل ليس كما يتصور البعض^(١) أنه كتاب أوحى به للسيد المسيح؟ بل هو رسالة أعدها المسيح للعالم، ووعظ بها بقمه الظاهر. فالسيد المسيح لم يأخذ هذه الرسالة مكتوبة، كما أنه لم يكتبها، وإنما عملها شفويا لتلاميذه المختارين، وأرسلهم إلى جهات مختلفة لينشرونها^(٢) ويعلمون غيرهم، ولذلك دعوا رسلا، ووعدهم بالروح القدس ليعلمهم كل شىء، وقد أحدث هذا يوم الخمسين فأخذوا يبشرون الجميع بالإنجيل فى كل مكان، ويقدمون لهم رسالة الخلاص بما يلائم عاداتهم ولغاتهم. وحسب ارشاد الروح القدس لهم، فليس معنى هذا وجود أربعة أناجيل - كما يعتقد البعض - إنما هو إنجيل واحد له أربع صور لتكون الشهادة قوية » ...؟!
وهنا نقرر ما يأتى :

أولاً : أن الخلاف بيننا وبين اليهود أيسر من خلافنا مع النصارى فى فهم كل منهما لحقيقة كتابه . فنحن نؤمن بالتوراة، كما يؤمن بها اليهود . ولكن إيماننا بها منصباً على التوراة التى أنزلها الله على موسى لا التوراة المحرفة التى هى بين أيديهم . وفهم اليهود للتوراة لا يختلف عن فهمنا لها ما دمنا مقرين بأنها وحى من الله فى الجملة .

أما اختلافنا مع النصارى فصورته هى الآتية :

هم يؤمنون بإنجيل أو أناجيل غير موحاة من عند الله . بل هى كلام عيسى نفسه أملاه على حواريه . ونحن لا نؤمن بهذا اطلاقاً وإنما نؤمن بالإنجيل الذى أنزله الله على عيسى عليه السلام . إننا نؤمن بالفكرة والمبدأ فحسب . وإذا كان هذا هو فهم النصارى للإنجيل فأين هو الإنجيل الموحى به إلى عيسى . لقد أضاعوه - فعلاً - بناء على كلامهم هذا . فإيماننا إذن متعلق بذلك الإنجيل الذى أوحى الله به ولا يعلم أين هو إلا الله وحده . أما الإنجيل الذى أملاه عيسى شفويا فلا نؤمن به ولا نعترف به أبداً .

(١) المراد بالبعض هنا هم المسلمون .

(٢) فى العبارة خطأ نحوى آثرنا تركه كما هو للأمانة المطلوبة فى النقل، وصحة العبارة بعد التصحيح « لينشروها ويعلموا غيرهم » بحذف النون لأن الفعل منصوب بعد لام التعليل وهو من الأفعال الخمسة .

ثانيا : وكون الإنجيل رسالة شفوية « عيسوية » صرفة أملاها على تلاميذه بلغات مختلفة أو كتبها التلاميذ على هذا الوجه . فمظنة التحريف ما زالت قائمة على أصول ثابتة فعليهم أن يتقبلوا نتيجة ما قرروه بأنفسهم؟

ثالثا : وإذا كان هذا هو فهم النصارى للإنجيل . أنه غير موحي به من عند الله . فعلام أذن استشهادهم بالآيات السابقة والتي تنص على أن الإنجيل منزل من عند الله ودلت على هذا عناوينهم التي قدموا بها الآيات أليس هذا تناقضا عجيبا واضطرابا شنيعا يقعون فيه فى كتاب واحد، وصفحات متجاورات . ألغوا عقولهم أم توهمو أن عقولنا هي الملقاة!؟

لا يهمننا الأمر كثيرا الغاء عقولهم، أو توهم الغاء عقولنا . وإنما الذى يهمننا النتيجة التى بنى المصير إليها وهى أن القوم ليسوا على شيء فليراجعوا أنفسهم أن كانوا يبعون الحق . وأن يتجرعوه وأن كان مرأ مؤلماً .

رابعا : أنهم أحيانا يقولون أن الإنجيل موحي به إلى عيسى عليه السلام – وقد علمنا أن هذا ينافى عقيدتهم بحسب كلامهم – ثم يعوّدون فيقولون أن الإنجيل موحي به إلى الحواريين . والموحي هو الله . ويستدلون بآية ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ ﴾ وقد علمت أنهم لا يؤمنون بمبدأ الوحي « الإنجيلي » فعلام إذن هذا التضليل!؟

خامسا : وفى مسألة إحياء الإنجيل إلى الحواريين قالوا: « التلاميذ يبشرون بالإنجيل ويبلغون به العالم »^(١) . وهذه مبالغة ممقوتة ومردودة من وجهين . أحدهما أن الآية التى استولدوا منها هذه الفكرة الخاطئة ليس المراد منها « تلاميذ عيسى » . (بل أن المقصود بها رسل أرسلهم الله اختلف المفسرون فى اسمائهم . ويقوى هذا أن الله اسند رسالة هؤلاء الرسل إليه فقال : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ * قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ * قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَا بِالْبَلَاغِ الْمُبِينِ ﴾ . [يس : ١٣ - ١٧] .

فهؤلاء الرسل مرسلون من عند الله – كما ترى – من النص ، وليسوا هم تلاميذ عيسى . فما أضعف هذا الرأى الذى تمسكوا به . وعلى فرض أنهم تلاميذ عيسى فمدعاهم . وهو تبليغ العالم بالإنجيل ، مردود . لأن أولئك الرسل الثلاثة كانوا مرسلين

(١) انظر ص ٦٠ من كتاب الاستحالة .

إلى « قرية » وهى انطاكية على المشهور عند المفسرين . فهل تعتبر القرية مهما اتسعت
 إنها العالم؟ فما أضيق ذلك العالم المحصور فى « قرية » لقد كان القرآن أمينا حين قال :
 ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ فلم يضيف على « الواقعة »
 هالة من الزيف كما فعلوا . أنها « قرية » والقرية تظل محافظة علي مفهومها مهما مطها
 المطون، الذين يبنون من « الحبة قبة » كما يقال في المثل المعروف وهذا هو الوجه
 الثانى فى رد هذه المبالغة المدعاة .

وبقيت لنا كلمة قصيرة، ولكنها مهمة فى مسألة الوحي للحواريين . ذلك أن
 مؤلف كتاب « الاستحالة » ومعاونيه يحملون الكلمة « أوحى » على معناها الدينى،
 وهو انزال الوحي من السماء بكلام من عند الله علي رسول من رسله . وهذا المعنى
 مستبعد جدا فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي ﴾ .
 فليس الحواريون موحى إليهم بهذا المعنى . وإنما المراد من الوحي هنا هو المعنى اللغوى
 الذى هو الالهام النفسى غير المصحوب بكلام .

وقد ورد الوحي بهذا المعنى فى القرآن الحكيم مرات : منها مسألة الحواريين
 هذه . ومنها مسألة أم موسى :

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ .. ﴾ [القصص : ٧] .
 ومسألة النحل :

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذْ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ... ﴾ .
 ومسألة السموات :

﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا .. ﴾
 [فصلت : ١٢] .

فليس المراد من « الوحي » فى هذه المواضع هو المعنى « الدينى » بل المعنى
 « اللغوى » وبهذا يتقرر – أن الآية ليست حجة لمؤلف كتاب « الاستحالة » ومعاونيه .
 • ثوبنا أم ثوبهم ؟

ثم ينتقلون بعد هذا إلى أن القرآن يلومنا – نحن المسلمين – لأننا نؤمن ببعض
 الكتاب ونكفر ببعض، ويستدلون بقوله تعالى : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ
 بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... ﴾ [البقرة : ٨٥] .

مع أن هذه الآية حكاية لأهل الكتاب، وما زالت قائمة، إذ آمنوا بما وافق هواهم وكفروا بما عداه. هذا هو خصوص السبب في هذه الآية الكريمة. فإذا تجاوزناه إلى عموم اللفظ. فليس هذا ثوبنا نحن، لأننا نؤمن بكل ما أنزله الله من كتاب. وغيرنا هو الذى يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض. وقد كررنا هذه المسألة كثيرا فيما سبق. فما يريدون إذن؟

أيريدون أن يخلعوا ثوبهم ويلبسوه لنا؟ لا والله. ما هم خالعه ولا نحن لابسوه وباسعادتهم أن خلعه. ويا شقاءنا أن لبسناه..؟

ومن المضحك أنهم فى تمسكهم بأن الكتاب المقدس مصون لم يحرف ونحن نود أن لو كان الأمر كذلك - يستلبون نصا من القرآن الكريم وينصبونه شاهدا على صدق مدعاهم. والنص القرآنى الذى استلبوه هو :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

وهذا النص لم يرد به إلا القرآن العظيم، ونحن على رغم ضعف دعوى المدعى ثبت أمام القارىء أدلة يقينية على ما نقول. وإليك سياق الكلام الذى كانت الآية إحدى آياته : ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ * لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنظَرِينَ * إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الحجر : ٦ - ١٠] .

هذه الآيات تصور طرفا من الحوار الذى حدث بين مشركى مكة وبين صاحب الدعوة ﷺ. اتهموه بالجنون، وطلبوا منه أن يريهم الملائكة أن كان صادقا وكثيرا ما طلب كفار مكة أن يأتهم الرسول عليه السلام بالملائكة. ثم جاء خطابه من الله مباشرة فى الآية الأخيرة من هذه المجموعة ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ ﴾ أضف إلى هذا مطلع السورة نفسها - سورة الحجر - فقد كان :

﴿ أَلَمْ تَرَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴾ فالحديث كله عن القرآن، والمخاطب هو محمد عليه السلام. فليس المقصود من «الذكر» سواه حيث لم يجر ذكر هنا لا للتوراة ولا للإنجيل ولا للزبور. فعلى أى وجه يرى مؤلف كتاب «الاستحالة» ومعاونوه أن هذه الآية مقصود منها الكتاب المقدس..؟!

أن مدخلهم إلى «استلاب» هذه الآية هو كلمة «الذكر» لأن القرآن عبر بها عن كل من التوراة والإنجيل والزيور في غير هذا الموضع. لأن كلمة «الذكر» من حيث هي صالحة لإطلاقها على أى كتاب منزل. وتبين قرائن الأحوال أو الأقوال خصوص المراد منها كما فى هذه الآية.

ولكن مخرجى كتاب «الاستحالة» تشبثوا بظاهر الكلمة «الذكر» وأحاطوا عنقها بكل قواهم ليقسروها قسرا كريها على مرادهم المدفوع. وهم بلا أدنى نزاع يعلمون أنها ليست لهم.

وقد جاء الذكر مراداً منه القرآن فى القرآن كثيرا، نكتفى منه بهذه الآيات :

﴿ ذَلِكْ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران : ٥٨] .

﴿ أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ ﴾ [الأعراف : ٦٣] .

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل : ٤٤] .

﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٥٠] .

إن نصيب القرآن من إطلاقات «الذكر» يفوق بعشرات المرات نصيب ما عداه من الكتب المنزلة . فعلام هذا التجنى وأنتم تعلمون !؟

وصدق رسول الله ﷺ : «إذالم تستح فاصنع ما شئت» هذا دليل النقل . فما

هو دليل الواقع ؟

الواقع يقول : أن هذا النص لم يرد به إلا القرآن بدليل حفظه من التحريف والتبديل على مر العصور . حتى الآن . وما بعد الآن ، وليس المراد به غيره بدليل ما أصابه من تحريف وتبديل واختلاف . هذه هى شهادة الواقع طردا وعكسا . وحين يتعاضد الواقع والنقل على شىء ، فليس للأوهام بقاء ؟!

● وشبه أخرى مدفوعة :

وذكروا قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ ﴾

[السجدة : ٢٣] .

وزعموا أن المعنى : فلا تكن فى شك من لقاء كتاب موسى . وهذا وهم باطل فقد اطلعت على أقوال مفسرى القرآن الكريم فلم أر منهم واحدا قال بهذا مع كثرة اختلافهم حول مرجع الضمير . فريق منهم يقول من «لقاءه» يعنى لقاء موسى يوم

القيامة، أو ليلة المعراج فهل مخرجو كتاب الاستحالة أعلم بأسرار القرآن ومعانيه من أئمة المسلمين وعلمائهم؟!
ويذكرون قوله تعالى: ﴿.. لَأُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ..﴾ [الأنعام: ١١٥] ويعلقون عليها فيقولون:

«وقد أثبتنا أن الكتاب المقدس هو كلام الله» يعنى: كيف يبدل وهو كلام الله والقرآن يقول: ﴿.. لَأُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ..﴾؟! أى كلمات الله.
هذا ما قالوه. ونقول:

أنكم أثبتتم أن الكتاب المقدس، وخاصة عهده الجديد «الإنجيل» ليس وحيًا بل هو من كلام عيسى. وعلى هذا فليس للإنجيل في هذا الاستدلال - على فرض صحته - نصيب. فابن عباس يفسر «كلماته» بأنها مواعيده. ووعده ووعيده. وفسرها فتادة فقال: «الكلمات هي القرآن لا مبدل له لا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون»^(١). وعلى كلا الاحتمالين فلا دليل لهم فى الآية.

وآخر ما نواجهه فى هذا الفرع من شبه «الاستحالة» ما ذكره فى ص ٦٣ منه فقد ذكروا قوله تعالى:

﴿فَإِن كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٢) وقالوا بعدها:

«فلو كان الكتاب المقدس قد حرف فكيف يرتضى رسول الإسلام لنفسه أن يسأل قوما حرفوا كتابهم»؟

ونقول: لم يرتض رسول الإسلام فعلا أن يسأل قوما حرفوا كتابهم بل قال: «لا أشك فلا أسأل» هذه واحدة. والثانية:

لم يرد القرآن من خاتم النبيين أن يسأل وإنما هو تعريض بأهل الكتاب بأنهم يعلمون حقيقة أمره، ومع هذا فقد كفروا به، وهذا نوع من الأساليب البلاغية الرفيعة لا يعرفه إلا البيان الرفيع المعجز.

ويقولون فى نفس الموضوع: فلو حدث تحريف فى جزء من الكتاب المقدس ألم يكن من الأجدر أن يشير الإسلام إلى ذلك وأن ينبه الناس ويحرم عليهم هذه الأجزاء المحرفة؟

(١) تفسير القرطبي (ج ٧ ص ٧١).

(٢) سبق توجيه هذه الآية.

ونقول : لا .. ثم لا . فقد أغناهم القرآن بهديه عن كل ما سبق عليه فلم تعد لهم حاجة في سواه . بل يكفي أن يشير إلى تلك الوقائع للاتعاض . وللاتعاض فحسب . لا تذكروا الكتب السوالف قبله جاء الصباح فأطفأ القنديلا .. نعم جاء الصباح .

● القضية الثانية : قضية الفداء والكفارة ..!؟

هذه « القضية » مما زاده كتاب « الاستحالة » عما ورد في مقل البابا من أفكار وقضية أو فكرة الفداء والكفارة في معتقد النصارى تقوم على التصورات الآتية :
(أ) أن آدم أبا البشر قد سقط سقوطاً أديباً بعصيان « الله » وأكله من شجرة الخير والشر هو وزوجه حواء في الجنة . رغم تحذير ربهما لهما . وبهذه المعصية فسدت الطبيعة البشرية كلها . وتعثر النوع البشرى عشرة لم يقل منها . ودخلت الخطيئة - عن طريق آدم - إلى العالم . واستحق الناس بهذه الخطيئة الموت ..!؟

(ب) ورث بنو آدم تلك الخطيئة عن أبيهم ، فلم يسلم منهم أحد قط . الجميع زاغوا حتى الأنبياء والمرسلين - قبل وبعد عيسى - نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وداود ، وسليمان ونبي الإسلام .

(ج) حبس الإنسان بين مطلبى العدل والرحمة ، وهما مطلبان مختلفان

تماماً ..!؟

وأصبحت البشرية تبحث أو هي في حاجة لمخلص يفديها ويكفر عنها

خطيئتها ..!؟

(د) وفي ملء الزمان ظهر الله في الجسد (!) لمحبه الفائقة ، وجال يصنع خيراً - يعنون عيسى - ثم مات على الصليب فداء للبشرية ، وإتماماً لمطلبى العدل والرحمة . ثم قبر - يعنى دفن تحت الأرض - وقام من بين الأموات وصعد إلى السموات ..!؟
هذا هو معتقدهم ، وليس لنا سلطان على أحد فيما يعتقد . ولكن حين يتعدى حدوده ، ويزعم أن الإسلام يؤيدهم فيما يعتقدون ، فإنه لمن حقنا . بل ولمن أقدم واجباتنا أن نتصدى له بكل ما نملك من حق وبرهان لنكشف زيفه وأباطيله وأوهامه التي استمات في الصاقها بالإسلام . دين الفطرة والعقل وهو منها برىء برىء !!

وقد انتهج مخرجو كتاب الاستحالة في تعديهم على الإسلام هذا المنهج .

● عصيان آدم وسقوطه الأدبي :

وراحوا يذكرون من الآيات ما سجله القرآن الأمين حول هذه الواقعة كما راحوا

يستولدون منها ما شاء لهم هواهم من أوهام وافتراءات ضد الخلق جميعا رسلا وأنبياء وغير الرسل والأنبياء. ونحن نؤمن في حدود ما ذكره القرآن عن قصة آدم وزوجه حواء. ولكننا نختلف معهم - النصارى - في كل النتائج التي رتبوها عليها. ونذكر هنا ما لم يجزئ الخصم على ذكره من نهاية قصة آدم عليه السلام.

لقد عصى آدم ربه - نعم عصاه - ولكن معصيته لم تتجاوزة هو وزوجه شريكته في المعصية. لم تتجاوزهما إلى أحد من بينهما لسببين يفحمان كل متجن مختلف.

أحدهما : لأن عدل الله في خلقه وإثابته المطيع، ومجازاته العاصي، جعل الخطيئة، أي خطيئة هي مسئولية مرتكبها وحده، لا يسأل عنها أحد سواه، ولا يعاقب عليها أحد إلا أياه. ولا تنتقل بالوراثة إلى بنيه الأذنين أو الأبعدين. وهذا هو العدل الإلهي الحق، كما جاء به النقل، وصدقه العقل. وبهذا جاء القرآن صوت الحق المصون، فقال فيما قال :

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ وقال :

﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ وقال :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ وقال :

﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ وقال :

﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ وقال :

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ .. ﴾ ولو شئنا لعددنا هنا عشرات الآيات التي تقرر في

إمتاع واقناع مبدأ العدل الإلهي الحق، الذي تتقبله النفوس وهي راضية، وتسلم به العقول وهي مطمئنة لا يساورها شك، ولا تقلقها أوهام.

وثاني السببين : أن خطيئة آدم وحواء لم تكن ضربة لازب بهما، بحيث يصح القول بتوارثها بين أبنائهما وذرياتهما، فالقرآن الأمين، الذي أكثرتم من ذكره للتدليل على «الادانة» قد أنهى المشكلة، من أساسها. وأنتم تعلمون ذلك جيدا. فلا شك أنكم قرأتم القصة في جميع نصوصه. ولكن على طريقتكم في الكتب السماوية. أبرزتم ما وافق الهوى، وأخفيتم ما لم يوافق. ونحن ذاكرون - هنا - ما أخفيتموه، إحقاقا للحق. ونأسف إذا تسبب ذلك في إحراجكم. لأننا ما قصدنا الإحراج. وإنما

قصدا الحق وحده، والحق كالماء يروى ويغرق، وكالنار يضىء ويحرق. تلك هي طبيعته التي ليس لنا حيلة فيها.

● صوت الحق يعلن البراءة :

وصوت الحق أعلن البراءة فى خطوتين اثنتين إحداهما تلت الأخرى وانتهى كل شىء من تلك الخطيئة إلى الأبد :

أما الخطوة الأولى فهى تندم آدم وحواد على ما بدر منهما واستغفارهما ربهما مخلصين معترفين له، وله وحده بأنهما قد أساءا إلى أنفسهما وطلبا منه العفو والمغفرة ويسجل صوت الحق هذه الخطوة فى أقصر كلمات وأدلها وأبلغها فيقول حاكيا عن آدم وحواء ما كان منهما :

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

[الأعراف : ٢٣].

وأما الخطوة الثانية : فقد كانت تكرما من الله الغنى الحميد على آدم وزوجه واستجابة لندائهما إياه الذى تقدم فى الخطوة الأولى. وفى هذه الخطوة يقول صوت الحق :

﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ٣٧]

لقد تاب الله على آدم وأثبت نص البراءة فى كتاب خالد يُقرأ صباح مساء حتى تقوم الساعة. فأين هى الخطيئة الموروثة إذن !؟

وإذا انتفت الخطيئة الموروثة فما هى حاجة البشر إلى الفداء !؟ وعلام يقحمون

القرآن بين حيلها وهو من كل ذلك برىء ..!؟

ويقول مخرجو كتاب « الاستحالة » :

الإسلام يشهد لقضية الفداء ..؟ (سبحان الله ..؟ .. وكيف ..!؟)

إنهم يذكرون قصة الذبيح إسماعيل ولد إبراهيم شيخ الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه. وعندما يتوصلون إلى قوله تعالى ﴿ وَقَدِينَاهُ بِذَّبْحٍ عَظِيمٍ .. ﴾ فإن لسان حالهم يقول : فداء .. امسك كلمة فداء. ويتطوع لسان مقالهم فيقول ما يأتى بالحرف الواحد :

فمن النصوص والتفاسير - يعنون الإسلامية - نجد الآتى :

١- الإعلان عن مبدأ الفداء .

٢- الإعلان عن كيفية إنابة الفدية عن المفدى بها .

٣- كيفية اعتبار ما تم كأنه تم للمفدى نفسه بالفعل!؟

٤- إعلان عن طريقة الفداء وهي الذبح . وفى هذا كله اتفاق مع العقيدة

المسيحية!؟

٥- الإشارة إلى ما يجب أن تكون عليه الفدية من العظمة والكرامة ..»^(١) .

هذا ما أردت أن أثبتته للقارىء هنا لأسأل هذا السؤال :

ما علاقة فداء إسماعيل بما يؤمنون هم به من فكرة فداء تختلف كل مقوماتها

عما ذكروه ؟

أن قصة ذبح إسماعيل اختبار عملى من الله لإبراهيم عليه السلام، وإسماعيل إذ ذاك كان وحيداً . فلما هم إبراهيم عليه السلام بذبح ولده . وأطاع الولد جاء الفرج من الله ففدى إسماعيل بذبح عظيم .

وصار نجاح إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فى تلك « المحنة » مضرب الأمثال فى طاعة المخلوق للخالق، كما صار وفاء إبراهيم بما رآه فى منامه مضرب الأمثال فى الوفاء مهما ثقلت مؤنه وسجل القرآن الأمين هذا الموقف الرائع لإبراهيم عليه السلام فقال : « وإبراهيم الذى وفى » .

وصار وفاء إسماعيل بوعدده مضرب الأمثال فى هذا المجال وسجله له القرآن الأمين

فقال :

﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾

[مريم : ٥٤] .

هذا ما يقره الإسلام فى قصة إبراهيم وابنه، ويقف عند هذا الحد منها فلا

يتعداه .

فما علاقة هذه القصة بما تقولونه إذن؟ فالحق، والحق نقول : ليست بينهما علاقة أبداً يا سيادة . المجرد أن القرآن قال « فديناه » تدخلون على الإسلام ما هو منه برىء . . . تريثوا يا قوم وآمنوا بما شئتم وأقيموا عليه ما أحببتكم من أدلتكم . ودعوا القرآن فأنكم حين تفتحون هذا الباب لا تستطيعون الوقوف أمام حججه وبراهينه القواطع . دعوه .. دعوه .. دعوه .. لو تكرمتم ..!؟

(١) كتاب الاستحالة (ص ٧٤) .

ويقول مخرجو كتاب الاستحالة :

● شهادة الإسلام بأن ربنا يسوع المسيح هو الله !؟.. !
هكذا والله قالوا. وبالضلال ما قالوا : ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ .

ويقدمون بين يدي هذه « الفرية الشنيعة هذا الهراء » :
« مما سبق يتضح أن الإسلام يشهد لسقوط آدم (!) ولقضية الفداء، وأن الفادى الوحيد هو السيد المسيح المعصوم من كل عيب، المنزه عن كل خطأ، والذي له حق الشفاعة » !؟..
ويتطوع مخرجو الكتاب فيشرحون الخطوات التي « صعدت » المسيح « الاها » وهي :

(أ) الإسلام يشهد بأزلية المسيح لأنه كلمته !؟..

(ب) الإسلام يشهد للسيد المسيح بأنه روح من الله !؟..

(ج) الإسلام يشهد للولادة العجيبة للسيد المسيح !؟..

(د) الإسلام يشهد للقب السيد المسيح الفريد !؟..

(هـ) الإسلام يشهد للسيد المسيح بعلم الغيب !؟..

(و) الإسلام يشهد للسيد المسيح بالقدرة على الخلق وإقامة الموتى !؟..

(ز) الإسلام يشهد للسيد المسيح بأنه الديان !؟..

هذه هي الخطوات التي استولدها « إلهية » المسيح عبد الله ورسوله، والقارىء يلحظ أن كل خطوة منها الصقوها بالإسلام، ولو كان الأمر - كذلك - لكننا أولى منهم بهذه العقيدة . ولكن الإسلام دين الفطرة والتوحيد مقامه « الثريا » من هذا الكفر والأشراك الظاهر يحاولون تلطيف صفاء الإسلام بهما والقارىء يعلم أننا ناقشنا هذه الأوهام فى مواجهتنا لمقال البابا . ولا بأس هنا أن نناقش الجديد فيها وهي :

● مسألة اللقب الفريد .

● مسألة الأزلية المدعاة .

● مسألة الغيب .

● مسألة « الديان » وبعد الفراغ من مناقشتها نسمعهم من براهين الإسلام

المتشكلة فى آى القرآن الحكيم ما يبدد كل ظلام . ويدفع كل باطل مهما تراكمت سحبه بعضها فوق بعض .

أولاً - دعوى أزلية (١) المسيح :

إن استخراج الحقائق من النصوص مثل استخراج النتائج من الأرقام تماماً فنحن نسلم لمن يقول أن $3 + 2 = 5$ ، لأن مجموع الرقمين (٣ ، ٢) هو في الواقع كذلك . ولكننا لا نسلم لمن يقول أن $3 + 2 = 6$ أو $4 = 6$ لأنه في العملية الأولى تجاوز حقيقة الواقع، وفي العملية الثانية قصور عن حقيقة الواقع . وكل من التجاوز والقصور خطأ في الاستنتاج .

وكذلك النصوص لا تتحمل أكثر من « الوقائع » أو « المعطيات » التي تدل عليها بحكم وضعها أفراداً وتركيباً .

فإذا أخبر مخبر بأن أ هو أبو ل . وفحصنا الواقع فوجدناه، كما قال، فإننا لن نسلم لمن يزعم أن هذا التركيب بعينه (أ هو أبو ل : ل) معناه أن (أ ، هذا هو ابن « ل » لأن للتركيب دلالة باعتبار وضع المفردات فيه على نسق مخصوص وهذا « الزاعم » مهما ألح علينا في قبول استنتاجه فهو غير مصدق عندنا بناء على ما استقر لدينا من خبرات سابقة عن هذه المفردات باعتبارها مفردات، وباعتبارها موضوعاً في تركيب على هذا النسق المخصوص .

ومخرجو كتاب « الاستحالة » وهم يدعون أزلية المسيح عليه السلام لم يكن لهم دليل لا استيلادها من مفردات وضعت في تراكيب لغوية . ولتلك المفردات دلالة في نفسها . ودلالة كلية في التركيب الذي وضعت فيه . وليس من دلالتها الأفرادية ولا التركيبية ما يكون مؤداه النهائي : « أزلية المسيح »؟! فكيف - إذن - استخراج مخرجو كتاب الاستحالة هذه المقولة ..؟! تعالى معي نناقش مقدماتهم التي استولدوها هذه « المقولة » الغريبة .

ذكروا قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۗ ﴾ .
وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ۗ ﴾ ثم قالوا :

(١) الأزلى هو الذى لا بداية له، وهو القديم المطلق، ويقابله: الحادث وهو الذى سبق وجوده عدم . والأبدى هو الذى لا نهاية له . والقدم المطلق والأبد المستمر لا يكون إلا الله سبحانه ، فهو الأول بلا بداية . والآخر بلا نهاية . ولا يشركه في هذا أحد .

« فالإسلام شهد بما تؤمن به المسيحية، حيث يدعو المسيح بكلمة الله ». ثم قالوا: « حاول بعض المفسرين تأويل هاتين الآيتين ليصبح معنى الكلمة هو اللفظ^(١). وليس هذا هو المعنى الحقيقي، لأن القرآن سبق وقال في بشارته زكريا بميلاد يحيى ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران : ٣٩] (٢).

ثم قالوا: « فالكلمة الذي هو من الله وصدق به يحيى هو السيد المسيح ». وقولوا: « الكلمة الذي جاء ذكره في بشارة زكريا مسمى تعنى ذكر عاقل كائن قائم بذاته^(٣). وقد أوضح القرآن ذلك بجلاء في قوله « بكلمة منه اسمه » ولم يقل: « كلمة منه اسمها »، لأن الكلمة المقصود منها اللفظ أو النطق تكون مؤنثاً مما يؤكد أن مقصود الكلمة ليس اللفظ أو النطق بل شيئاً قائماً بذاته » ثم انتهوا من هذا النحت الذي دمت منه أظافرهم إلى هذه المقولة:

« وهذا يؤكد لنا أزلية المسيح، لأنه كلمة الله، وله صفة القدم كبقية صفات الله مثل العلم، الحياة، الكلام ».

ويرد فون قائلين « واضح من قول القرآن ﴿ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ﴾ أى أن هذا الكلمة كائن قبل أن يلقى إلى مريم » كتاب الاستحالة ص ٩٠.

فليتأمل معنى القارىء أيا كان نوع ثقافته هل فى هاتين الآيتين اللتين استشهدوا بهما ما يؤدى، ولو بأضعف الوجوه، إلى القول بأزلية المسيح أى مساواته لله – سبحانه – فى خصائص الوجود الذى لم يسبق بعدم قط وما علاقة بشارة زكريا بيحيى بهذا الموضوع. وحتى لو كان المعنى أن كلا من يحيى وعيسى عليهما السلام يصدق بعضهما الآخر فى دعوى الرسالة. فهل معنى هذا التصديق أن عيسى كائن أزلى مساو لخالقنا وخالقه فى الوجود؟!

ومخرجو كتاب « الاستحالة » غير راضين بأن يقول مفسرو القرآن المسلمون أن معنى « كلمة الله » هو قوله لعيسى: كن. فكان بلا واسطة لقاح من ذكر ويصرون

(١) يقصدوا لفظ « كن » من قوله تعالى: ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

(٢) هذا هو نص الآية صحيحاً وهم نقلوها هكذا ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّ اللَّهَ بَشَّرُكَ ﴾ ١٢؟

(٣) نقلنا هذه العبارة كما جاءت فى كتاب الاستحالة (ص ٨٩) بما فيها من أخطاء لغوية

ونحوية.

على أن معنى الكلمة هنا - هو عيسى بدليل أن الله قال : « اسمه » ولم يقل « اسمها » إلخ .

فلنمض معهم حتى نهاية الشوط، فنقول لهم : سلمنا لكم بأن المقصود منها - فعلا - هو عيسى . فهذا ليس بمحظور عندنا . بل أن من المفسرين من قال به . ومع تسليمنا لكم به فما هو بنافعكم شيئاً فيما تحاولونه من القول بأزلية المسيح ومساواته لله - سبحانه - في خصائص وجوده .

فاللغة فيها شيء اسمه « المجاز » يا سادة، وهو هنا يسمى « مجازاً مرسلًا » علاقته السببية . أى تسمية الشيء بسببه . فلما كانت كلمة « كن » سبباً في إيجاد عيسى بلا واسطة « أب » سمى عيسى بها تذكيراً بعظمة قدرة الله . وليس لكم مع هذه التسمية أدنى شبهة في قولكم بأزلية « عيسى » فما رأيكم في هذا الكلام يا من تنتحون الكلمات بأظافركم لتستولدوها ما ليس له بحاملة . أن فاقد الشيء لا يعطيه أبداً ونسوق لكم قول الشاعر الآتى :

ومكلف الأيام ضد طباعها

متطلب في الماء جذوة نار

ونسألكم هل من يطلب جذوة نار في أعماق الماء أو حتى على سطحه عاثر على بغيته .. ؟ هذا هو مثلكم وما تطلبون ؟
وكفانا وكفاكم هذا وإنا لنأمل أن يهدينا الله وإياكم سبيل الهدى والرشاد .
وصدقوني أنني أقولها بكل إخلاص .

● **ثانياً : دعوى اللقب الفريد :**

هذه الدعوى تحمل الرقم الرابع في كتاب الاستحالة بين عداد المؤهلات التي سردوها توصلاً إلى القول بأن عيسى (عبدالله ورسوله) هو « الله » تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

وذلك أنهم رأوا القرآن يطلق على عيسى عليه السلام أسمى، ووصفين وكنية . فالاسمان هما : عيسى والمسيح . والوصفان هما : كلمة الله، وروح منه والكنية هي : ابن مريم .

وقد بينا في مواضع متعددة سابقة المراد من « كلمة » « روح » بياناً لا يخرج من وصف بهما عن « مفهوم البشرية والرسالة » . أما عيسى، وابن مريم فلم يتعلق بهما لمخرجي كتاب الاستحالة، أى غرض، ولهذا أهملناهما سيرا على المنهج الذى توخينا

فى هذه «المواجهة» وهو أن لا نثير قضية أو فكرة لم يثيروها هم فى وثائقهم . أو على حد قول العرب : « يضع الهناء مواضع النقب»^(١) ولا نضعه فى الموضع الذى لم تظهر به علة .

أما الذى تظاهروا له فهو كلمة «المسيح» وسموها : لقباً فريداً لعيسى عليه السلام وقالوا فى ذلك :

« ويلاحظ أن النص القرآنى يقول : « اسمه المسيح » ولم يقل يسمونه المسيح مشيراً بذلك إلى تقرير التسمية من الله دون علاقة البشر بها . ولسنا فى حاجة - هذا كلامهم - إلى القول بأن اللقب انفرد به السيد المسيح وحده فى القرآن دون بقية الأنبياء ، مما يدل على امتياز السيد المسيح الخاص ، واعتراف الإسلام له بهذا الامتياز ، ويدل - أيضاً - على أن العمل الذى قام به هو عمل فريد يفوق أعمال الأنبياء والرسل بأسرهم . وأنه يرتفع عن طبقة البشر أجمعين . وليس هناك إلا كائن واحد لا سواه يسمو على الجميع . ألا وهو « الله » الذى هو يسوع المسيح له المجد » أ - ه كتاب « الاستحالة » والغرائب (ص ٩٢) .

• عزيزى القارئ :

أرجوك أن تقف وقفة قصيرة أمام هذا الكلام . ثم اسأل نفسك كم عملية توليد تمت فيه ؟

فإذا لم يكن لديك فراغ فاسمعنى إذن ، ثم قارن ما أقوله بما قالوه ، وستجد نفسك تقول : صحيح والله .

ونحلل المسألة كأنها معادلة من معادلات الرياضه فنقول :

الغرض : عيسى - عليه السلام - له لقب فريد فى القرآن .

البرهان : اسم المسيح عيسى بن مريم . الله هو الذى سماه وليس البشر . وهذا امتياز اعترف به الإسلام له ، وهو امتياز بدل على تفوقه فى أعماله على جميع الأنبياء والمرسلين ، بل يسمو فوق البشر جميعاً . وليس هناك من يسمو على البشر إلا واحد هو الله .

المطلوب : ربنا يسوع المسيح هو الله .!؟

أليس - كذلك - أخى القارئ . حمانا الله وإياك من الردى .. فأول خطوة فى

(١) الهناء بكسر الهاء : داوئ يداوى به الجرب الذى يصيب الإبل . والنقب : هى مواضع ظهور الجرب فى الجلد . وهو مثل عربى قديم .

هذا السلم هو «اللقب الفريد» تولد عنه امتياز فى الصفات وتولد عنها امتياز فى الأعمال، وتولد عنه تفوق على الأنبياء والمرسلين، وتولد عنه تفوق على البشر كلهم ثم .. كان التولد الكبير فأصبح عيسى هو الله...؟!!

أهذا منهج علمى استدلالى يقنع من له ذرة من عقل. أم هو اعتساف لا حساب فيه لعقل ولا لضمير؟

● عنزة ولو طارت؟!!

قرأت فى عهد قريب من الطفولة قصة فى كتاب لا أذكر - الآن - عنوانه ولا موضوعه ومؤدى القصة أن صديقين كانا يتجولان فى أحد الحقول، وكان أحدهما إذا رأى رأيا لا يرجع عنه ولو قامت عشرات الأدلة على بطلانه، وبينما هما يسيران أبصرا من بعيد سوادا فى ناحية من الحقل. فقال أحدهما أنه صقر. وقال الثانى: أنها عنزة. ولم يلتقيا على رأى. فلما اقتربا من «السواد» أبصرهما فطار فى الفضاء ناجيا بنفسه. فقال من قال: أنه صقر لصاحبه. ألم أقل لك إنه صقر؟! قال صاحبه: لا. بل هى عنزة؟ قال له صاحبه ألم تر أنه طار فى الفضاء هل العنزة تطير. قال: نعم (!) عنزة ولو طارت؟! ولكى أكون صادقا فى إحساسى وأنا أتأمل فى غرابة الاستدلال الذى سلكه مخرجو كتاب الاستحالة - هنا - فإنى تذكرت هذه القصة. ولم اتردد فى إثباتها كما ترى. فبين الموقفين نسب وصلة...؟!

● وهل انفراد عيسى به فعلا؟

وبعد هذا كله. هل انفراد عيسى عليه السلام بما يقولون من تسمية الله له. أم أن الله سُمى «غيره» كما سماه...؟! وقبل أن نجيب على هذا نقول:

أن انفراد عيسى عليه السلام بـ «المسيح» مع تسليمنا بهذا لا يفهم منه أبدا أن له طبيعة غير طبيعة «البشرية» وهذه التسمية «المسيح» لها نصيب من يمن النبوة والرسالة لا ينكره إلا مكابر، وحاش أن نبخس نبيا ما له من الفضل والكرامة. وبعض الأنبياء تدل أسماءهم على مناقب دلالة مباشرة. فإبراهيم مثلا، اسمه مكون من كلمتين هكذا: آب - راهام ومعناها بعد: أبو الجمهور. لأن آب هى «آف بالعبرية بمعنى «آب» وراهام معناها الجمهورية بالعبرية أيضاً. وأبوة الجمهور منقبة عالية لا تنكر ولا يستهان بها.

أما أن الله قد سمي «المسيح» ولم يسمه البشر. فهذا لم ينفرد به عيسى عليه السلام فخاتم الأنبياء عليه السلام قد سماه الله - كذلك - وجاء هذا على لسان عيسى عليه السلام وهو يبشر به بنى إسرائيل كما حكى عنه القرآن الأمين ﴿ ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾ فمن أخبر عيسى باسم خاتم الأنبياء قبل أن يوجد إلا الله عن طريق الوحي . هذه واحدة .

وقد أخرج البخارى في صحيحه عن عطاء بن يسار - والبخارى ممن قد استشهدتم بروايته - قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما . فقلت أخبرنى عن صفة رسول الله ﷺ فى التوراة فقال : والله أنه لموصوف فى التوراة ببعض فى صفته فى القرآن « يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للآمين أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ... » وشاهدنا فيه أن الله « سماه المتوكل » كما سماه « أحمد على لسان عيسى عليه السلام » .

هذه واحدة . والثانية :

فإن القرآن الكريم قد تحدث عن يحيى عليه السلام فأضفى عليه فى هذا المجال « مجال التسمية » ما لم يصفه لا على عيسى ، ولا على محمد عليهم جميعا صلوات الله وسلامه .

فقد اشترك يحيى مع عيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم فى أن الله قد سماه كما سماهما . فقال سبحانه :

﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ ۖ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ ﴿ اسمه المسيح عيسى ابن مريم ﴾ فما يقال عن هذا يقال عن ذلك سواء بسواء .

ثم انفرد يحيى عليه السلام ، عنهما صلى الله عليهما وسلم بقوله تعالى فى شأنه : ﴿ لم نجعل له من قبل سميا ﴾ ولم تأت هذه « الشهادة » فى القرآن لنبى غير يحيى عليه السلام .

فهل يقال - بعد هذا - أن عيسى عليه السلام انفرد بأن الله سماه ولم يسمه البشر . وإذا ثبت أن شأن يحيى فى هذه المسألة كشأن عيسى ، حتى مع طرح زيادته - أى يحيى - عليه - أى عيسى - عليهما السلام . أفليس من الإنصاف أن يعاملا معاملة واحدة . ما دامت هذه التسمية من الله لهما قد ثبتت بدرجة واحدة . فلماذا

نخلق من حبثها قبة في جانب أحدهما. ونهدم في الوقت نفسه «قبة» الثانية. ويكفيها من هذا أن نقرر بما لا يدع مجالاً للشك أن مخرجى كتاب «الاستحالة» لم يكونوا منتهجين في استدلالهم. وما هذا بالشيء الهين؟!..

● ثالثاً: مسألة علم الغيب :

وعمدة مخرجى كتاب «الاستحالة» فى هذه المسألة ما جاء فى قوله تعالى : ﴿ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ونحن معهم مؤمنون بأن عيسى عليه السلام كان كذلك، ولكن إنما فعل ما فعل بإذن الله ولم يفعله من عنده. فهى معجزة أیده الله بها كما أید كل رسله وأنبيائه بما عليه آمن البشر.

وليست منقبة أو معجزة الإطلاع على الغيب خاصة بعيسى عليه السلام. لأن القرآن الذى استشهدوا به فى أثباتها لعيسى عليه السلام يقر أن الله سبحانه وتعالى يطلع بعض رسله على شىء من الغيب تأييداً لهم وتشبيهاً للمؤمنين، والزما بالحنة للصادين عن دعوة الحق.

فقد جاء فى قوله تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ [الجن : ٢٦ - ٢٧] بل أن القرآن ليذهب أبعد من هذا، ويبين أن الجن كانت قبل الإسلام تسترق السمع من السماء، ولهذا فشا الاشتغال بالكهانة. فلما جاء الإسلام لم تستطع الجن استراق السمع ولا الاطلاع على الغيب. وفى هذا جاء قوله تعالى : ﴿ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَابًا * وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا ﴾ (١) [الجن : ٨-٩] . وأمام هذا الوضع الجديد اضطرت الجن حين حيل بينها وبين الاطلاع على الغيوب ولم يعلموا له سرا. وحكى عنهم القرآن الأمين قولهم فى هذا ﴿ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن : ١٠] ومبعث عيسى عليه السلام كان قبل مبعث محمد ﷺ بأكثر من ستمائة عام : فلنتأمل؟!..

(١) وما زالت الشهب حتى الآن تتقاذف فى الفضاء لرحم الشيطان كما أخبر بذلك القرآن. وأهل الريف يشاهدون ذلك كثيراً.

● رابعاً : دعوى أن اليسوع عيسى هو الديان (١) !؟

أن قوما يدعون أن إنسانا ما هو «الله» (!) ، ليس بغريب عندهم أن يصفوه بعد ذلك بما يشاءون من الأوصاف التي لم يصف بها «الموحدون» إلا الله الواحد القهار، الذى ليس كمثله شئ. وعلى هذا فلن ندهش عندما يقول مخرجو كتاب «الاستحالة» والغرائب أن اليسوع عيسى هو «الديان»؟! . فلهم أن يقولوا ما شاءوا وأن يعتقدوه. وكل إناء بالذى فيه يتضح كما يقول الشاعر ولكن ليس لهم أن يلصقوا أقوالهم وعقائدهم بمن هم يخالفونهم فى تلك الأقوال والعقائد مخالفة عميقة الغور، وهم - فى نفس الوقت - يملكون عشرات الأدلة بل معاتها من النقل الموثق، والعقل المستنير، والالهام الفطرى يردون بها تلك «العقيدة» الملصقة، ويبرهنون على بطلانها كيفما يصورها دعواتها.

أن مخرجى كتاب «الاستحالة» والغرائب يقولون - ويا لشناعة ما يقولون- .

● «إن الإسلام يشهد للسيد المسيح بأنه الديان»!؟

هذه الفرية التى سولت لهم أوهاهم أن يخطوها بأيديهم إذا رحلت تبحث عن صلة الإسلام بها - عندهم طبعاً - تجدها عبارة مقتطعة من حديث شريف لا تزيد كلماتها على عشر كلمات. وإليك نصها مع مدخلها :

« روى البخارى فى الجزء الثالث ص ١٠٧ (لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن

مريم حكما مقسطا) .»

وكأنى بمخرجى كتاب «الاستحالة» والغرائب يلغون عقولهم، وعقول من توقعوه قارئاً لكتابهم. فيعلقون على هذه الفقرة المقتضبة ويقولون بالحرف الواحد ونثبت كلامهم بما فيه من أخطاء :

« وفى هذا دليلاً كافياً على أن السيد المسيح فى مجيئه الثانى سيكون ديانا

عادلاً»^(٢) ثم يقولون بعد هذا :

« وهذا هو إيماننا المسيحى كما جاء بالإنجيل المقدس «لأن الآب لا يدين أحداً،

بل قد أعطى كل الدينونة للابن»^(٣). ويرد فونه بقولهم حكاية عن عيسى: « وهأنا أتى سريعاً ومعى أجرى لأجازى كل واحد كما يكون عمله» .

(١) الديان هو الله وحده، لأنه يثيب الطائع ويعاقب العاصى !؟..

(٢) انظر ص ٩٣ من كتاب «الاستحالة» .

(٣) يعنون : أن الآب «أى الله» قد تنازل للابن «يعنى عيسى» عن كل ما له من سلطات

إلهية (١؟) .

وإذا كانت هذه « الدعوى » من الشناعة بحيث لا يصدقها عقل فإن لنا وقمير
عندها، واحدة مع النص الإسلامى الذى حرفوه فى اللفظ والمعنى : أما فى اللفظ
فبالحذف . وأما فى المعنى فبتحميل العبارة ما ليس فيها وأما الوقفة الثانية فمع النص
الإنجيلى بشقيه :

● وقفتنا مع النص الإسلامى :
فى القرآن الكريم آية تقول : ﴿ لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا
ما تقولون ﴾ .

ومعناها : أن الإسلام كان يمنع من أداء الصلاة ما دام المرء فى حالة سكر، وهذا
كان قبل تحريم الإسلام الخمر تحريماً كلياً قاطعاً . ولكن بعض « المتحذلقين » يوردون الآية
هكذا - أحيانا - : ﴿ ولا تقربوا الصلاة ﴾ . !؟ ليتخذوا منها دليلاً على تحريم
الصلاة نفسها . وذلك لأنهم حذفوا من الآية جزءاً هو الذى ينصب عليه النهى .

وعلى هذا المنوال ، من الحذلقة والجدل العقيم ، سار مخرجو كتاب الاستحالة .
فحذفوا من النص ما هو ضدهم ، وأثبتوا الجزء الذى تراه ثم ولدوا منه معنى غريباً عنه
كل الغرابة . لأن نزول المسيح عليه السلام ، كما جاء فى كل الآثار ، إنما هو أمر وناه على
شريعة خاتم النبيين ، وليس له دور أكثر من هذا فلا هو رسول جديد بشرع جديد ،
ولا هو ديان ولا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا . وأقرأ معنى ما ثبت فى صحيح مسلم وغيره
عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

« قال رسول الله ﷺ لينزلن عيسى ابن مريم حكما عادلا ، فليكسرن الصليب ،
وليقتلن الخنزير ، وليضعن الجزية » ..

فعدالة عيسى عليه السلام تكون باقرار شريعة خاتم الرسل ، فيبدأ بتحطيم
الصليب ثم قتل الخنزير ثم وضع الجزية على كل من يأبى الأذعان للدين الحق الذى هو
الإسلام . وقد جاء فى بعض الروايات : « وليقتلن النصارى إلا من آمن به » يعنى على
الوجه الحق عن كونه عبد الله ورسوله .

هذا هو القول الحق . ولكن « الاستحاليين » أساءوا إلى النص الإسلامى من جهتين
كما ترى : حذفوا منه ما يبطل ما هم عليه . وهذا تحريف فى اللفظ ثم حملوا العبارة
غير ما تعنيه . وهذا تحريف فى المعنى ! ..

● ووقفنا مع النص الإنجيلي :

رأيت - عزيزي القارئ - أنهم في النص الإنجيلي بشقيه قد نقلوا عن المسيح نفسه - حسبما هو لديهم من الإنجيل - أنه هو نفسه الديان، وأن أباه - حاشا لله - قد تنازل له عن هذه السلطة ليفصل هو بين الناس فيثيب الطائعين، ويعاقب العصاة، لأنه سيجيء وأجرته معه (!) .

وليس لنا هنا كلام طويل معهم، ولكننا نثبت أمام القارئ نصا إنجيليا آخر من إنجيل يوحنا الذي نقلوا عنه النص الأول الاصحاح الخامس فقرة (٢٢) كما اثبتوها هم والنص الآخر الذي سننقله نحن ليوحنا، يناقض تماما ما قرروه هم من هذه الدعوى « المثارة هنا » وفيه يقول يوحنا هم هذا :

« وأن سمع أحد » كلامي ولم يؤمن، فأنا لا أدينه، لأنى لم آت لأدين العالم، بل لأخلص العالم » إنجيل يوحنا الاصحاح الثاني عشر (٤٨) فهنا يقرر المسيح أنه لم يأت ليدين العالم، بل ليخلص العالم من « الادانة » فكيف ساغ ليوحنا - أذن - أن ينقل عن المسيح قولين متناقضين، أحدهما صاعد والآخر نازل ؟

وكيف ساغ لمخرجي كتاب الاستحالة أن يؤمنوا ببعض الكتاب الذى لديهم ويكفروا ببعضه؟ هل اطمأنوا إلى أن أحدا لم يقرأ لهم كما قرأوا هم القرآن ورضوا منه مَرْضُوا، وسخطوا على ما سخطوا .

وبعد هذا كله . هل لكتاب الاستحالة نصيب من الاحترام والتقدير عند من لهم أدنى المام بالبحث العلمى المجرد والفهم النزيه ...؟! .

● خامساً : دعوى أوحدية المسيح فى الشفاعة !! .

إننا لا نختلف مع أصحاب كتاب الاستحالة فى جواز الشفاعة للسيد المسيح . لأن الشفاعة - كما تقدم - تكون لكل مؤمن صالح . فما بالك بالأنبياء والمرسلين ولكن شتان ما بين شفاعة وشفاعة .

ولكن الذى نختلف معهم فيه أمور حول تلك الشفاعة . منها طريقة الاستدلال عليها من النصوص الإسلامية، ومنها كيفيتها التى صوروها بها . ثم ما بنوه على هذه الشفاعة من محال .

فقد عمدوا إلى أقوال بعض المفسرين حول قوله تعالى فى وصف عيسى ﴿ وَجِئْنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ حيث فسر بعضهم وجأته فى الآخرة بالشفاعة فى قومه

من به منهم - فى حينه - من أنه عبد الله ورسوله . عمدوا إلى ذلك القول فبنوا عليه هذه المقولة :

«وبعد أن تأكد لنا أن السيد المسيح هو شفيع البشر. فهذا دليل جديد على صدق عقيدة الفداء والكفارة» .

«... وحيث أن الإسلام قد خص السيد المسيح وحده (؟!!) بالشفاعة دون سواه مع أنها حق من حقوق الله كما جاء فى سورة السجدة ﴿ مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِّن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾ وجاء فى سورة الزمر ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ ﴾ ثم قالوا : «لذلك نجد أن السيد المسيح وحده هو الذى يستطيع أن يوفى ذبيحته مطلبى العدل والرحمة»^(١) وان سألتهم كيف توصلتم إلى تقرير هذا قالوا لك : « ألم يقل القرآن » قل لله الشفاعة جميعا « أى لله وحده . والله هو المسيح ، والمسيح هو الله . وهو المطلوب ..!؟ .
أما الأنبياء الآخرون فلا شفاعة لهم لأنهم ليسوا «الله» بهذا المنطق الغريب والاستخفاف بقيم العقل واللغة ، والاستخفاف بالله - نفسه - يتوصل مخرجو الاستحالة إلى هذه المقولة المرفوضة بكل مقياس ، وبلا أى مقياس . ثم يقولون ويا لكفر ما يقولون :

« فمن يكون السيد المسيح الذى شهد له الإسلام بأنه يحيى الموتى ؟ «أليس هو الله الحى القيوم الحى المميت الأزلى الذى أنشأها أول مرة»^(٢) .

سبحانك ربي . سبحانك . فانت القائل وقولك الحق الذى لا يزول ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة : ٧٢] .

وأنت القائل :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة : ١٧] يا قوم

(١) كتاب الاستحالة (ص ٧٧) .

(٢) نفس المرجع (ص ٩٣) .

كفى هذيانا وسفسطة وفيقوا لأنفسكم، واطلبوا الحق من مصادره فإن اردتموه مخلصين تهتدوا .

ولو أنكم راجعتم أنفسكم - بصراحة لكنتم أول الغاضبين عليه . إنكم تقولون أن عيسى هو الله الأزلى الحي القيوم الذى أنشأ العظام أول مرة . فإين كان حين خلق آدم وجميع الأمم التى عرفت الوجود قبله . ومن أنشأ أمه الذى استقر في رحمها تسعة أشهر، ومن ؟ ومن ؟

هل تميزون أن المعلول يتقدم على علته، والمسبب على سببه؟! أن قلت نعم عرفنا من أنتم . ثم سالناكم :

لماذا لم يتقدم وجود النهار على شروق الشمس؟ والليل على غروبها . والحرارة قبل إشعال النار، وسماع الصوت قبل النطق به ومئات الأمثلة من ذلك؟! بل ونسالكم لماذا أتبعتم على غلاف كتابكم هذا الترتيب « وهيب عزيز خليل؟ أليس لأن خليلا أبو عزيز، وعزيزا أبو وهيب . فخليل وجد قبل عزيز وعزيز وجد قبل خليل لعلاقة تقدم العلة على المعلول، والسبب على مسببه . فلماذا - إذن - لم يتقدم وهيب على عزيز مع احتفاظ وهيب بينوته لعزيز، ولماذا لم يتقدم عزيز على خليل مع احتفاظ عزيز أيضاً بينوته لخليل وأنتم اعتقدتم أن عيسى هو « الله » فكيف اتسع رحم مريم لعظمة الله، وهل ترضون « الله » أن يمكث فى هذا المكان بين الأخلاط والقاذورات تسعة أشهر ثم يبدأ حياته طفلاً . ومن كان على عرش الله حين كان هو فى بطن مريم . وكيف تسول لكم أنفسكم أن « الله » تصلبه اليهود ويموت وهو مكتوف الأيدى معصوب العينين لو كان « الله » تعالى عما تقولون علوا كبيرا - كما تصورونه لأنفسكم وللناس لانصرفنا عنه ولعبدنا اليهود مكانه لأنهم - علي حسب ما تقولون - أقوى منه وأعظم .؟! .

وأنتم تقولون أنه جاء ليفدى بنفسه البشرية . أجل . فلماذا كان يختبئ من اليهود وهم يحاولون القبض عليه . ولماذا يضطرب وهو فى قبضة عدوه . هل الله يخاف . ولماذا طلب من الآب - كما تقولون فى إنجيل يوحناكم - أن ينجيه من تلك الساعة . وإذا كان هو « الله » أوحى « ابن الله » فلماذا لم ينجه من الصلب؟! أن إلها يفرط فى دم ابنه ووحيده لغير قادر، ولغير مؤتمن على حماية الآخرين الذين هم غير أبنائه « الناس الغرباء »؟! .

ولنغض الطرف عن كل ما تقدم . فما هو ذا المسيح قد صلب - كما تزعمون - فلماذا لا نبرأ من كل خطايانا التى جاء ليخلصنا منها . علام الحساب إذن؟ وعلام ينزل

آخر الزمان ليكون هو «الديان» ومعه أجرته يعطى كل واحد حسب عمله. يشيب الطائع، ويعاقب العاصي. علام هذا كله ما دام هو قد أوفى بذبيحته مطلبى العدل والرحمة كما تقولون؟! أم أن دم ابن الأب ووحيدته قد ذهب هدرًا؟! يا خسارة..؟! ونكرر إليكم - اختصارًا لهذه الجولة التي لن نقف لو أرخينا العنان نسألكم عن غرائبكم - نكرر إليكم ما سمعته أسلافكم ولم يجيبوا عليه حتى الآن وما بعد الآن :

عباد المسيح لنا عندكم

سؤال عجيب فهل من جواب؟!؟

إذا كان عيسى على زعمكم

إلاها قويا عزيزا يهاب؟!؟

فكيف اعتقدتم بأن اليهود

أذاقوه بالصلب مر العذاب؟!؟

وكيف اعتقدتم بأن الاله

يموت ويدفن تحت التراب؟!؟

سؤال عجيب فهل من جواب

هل من جواب

من جواب

جواب؟

القرآن : المسيح لم يصلب، وإنما شبه لهم.

الاستحالة : لا .. صلبوه؟! صلبوه «فعلا»؟!؟

يقرر القرآن الأمين، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه القول الفصل في عداة اليهود لنبي الله ورسوله عيسى عليه السلام، وأنهم حينما ضاقوا به أجمعوا على صلبه والخلاص منه، وأعدوا لكل شيء عدته. ولكن كيف يتسلمونه، وهو - باعتراف الإنجيل - كان يتخفى منهم بين تلاميذه، وفي أماكن مختلفة؟

وإنجيل يوحنا يؤكد في أكثر من موضع بأن أحد تلاميذه، وهو يهوذا اسمعان الاسخريوطي كان يضمم الشر لأستاذه (عيسى عليه السلام) وأن عيسى نفسه كان يدرك أن يهوذا هذا، سوف يسلمه لأعدائه. وكان عيسى، كما جاء في إنجيل يوحنا يسمى يهوذا: الشيطان. ويلوح لتلاميذه بهذا. وإلى هنا تقف نصوص الأناجيل.

تكتفى بأن يهوذا شيطان، وأنه سلم المسيح لأعدائه. ثم صلب المسيح بين اثنين، ودفن في القبر، ثم قام في اليوم الثالث من بين الأموات. وتراءى لأمه وتلاميذه ومحبيه، وأخبرهم أنه صاعد إلى السماء. بعد أن مجد الأب ابن الإنسان!؟

والقرآن على منهجه في تقرير « جوهر » الحقائق فيما لا يحتاج إلى تفصيل قد حسم مادة الخلاف في : هل صلب اليهود عيسى عليه السلام أم لم يصلبوه؟ فيقرر أنهم لم يصلبوه، وليس في هذا تبرئة منه لليهود. بل أن الله - سبحانه - حين هموا بصلب رسوله عيسى من غير ذنب جناه أوقع شبهه - شبه عيسى - على تلميذه الخائن الذي مكن اليهود منه. فصلبوا ذلك التلميذ ظانين، أو معتقدين أنه عيسى ونجاه الله - نجي عيسى - من كيدهم، واختفى عيسى بعد ذلك من الوجود لأن الله رفعه إليه، حيا أو بعد أن توفاه لم يبين القرآن هذه النهاية بالتفصيل، وكل قول فيها فهو احتمال لا يقين فيه. هذه هي عقيدة المسلم، يستقيها من أوثق مصادر الوحي وهو القرآن الأمين إذ جاء فيه قوله تعالى :

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٧ - ١٥٨]. ولكن من هو الذي وقع عليه الشبه يهوذا أم غيره. علم ذلك عند الله. هذا هو الحق الذي يقرره القرآن الحكيم في نهاية عيسى عليه السلام، ولكن أنظر إلى « أمناء الإنجيل » كيف يقفون عند هذا النص المحكم على طريقتهم في أمانة النصوص الموحى بها :

« أن القول بأن المصلوب هو يهوذا الأسخريوطى أو شخص آخر لهو في الحقيقة تجديف - يعنى سيرا ضد الاتجاه الطبيعي - صريح على الله القدوس الذى تحدث عنه الكتاب المقدس (١) وأيضاً القرآن بكل جلال وهيبة، لأن معنى ذلك أن الله خدع البشر بأن غير من شكل يهوذا إلى شكل السيد المسيح المبارك. وبذلك تسبب فى ضلال ملايين البشر. وحاشا لله العظيم القدوس من هذا الكذب والادعاء - يعنى ما يقرره القرآن الحكيم فى الآيتين السابقتين - فهو صادق أبداً بل هو أصدق الصادقين » كتاب « الاستحالة » والغرائب ص ٨٣ .

أن الذى قاله القرآن - عند أمناء الإنجيل - كذب وادعاء!؟ هكذا والله يتناولون فى غير مسكة من ضمير أو عقل .

ويعضون فى ترهاتهم وأراجيفهم وكأنهم أحسوا بالخرج أمام من يقرأ كلامهم هذا. فراحوا يمهّدون له بما يترفع عنه صبية المكاتب. فيقولون: أما عن النص الوارد فى سورة النساء ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ﴾... فإن هذه الكلمات التى يراها البعض ضد الإيمان المسيحى بالصلب هى فى الواقع دليل على الصلب (!؟) ولكنها تكذيب لليهود فى قولهم «أنا قتلنا المسيح» لأن اليهود لم يقتلوه ولم يصلبوه... فالرومان هم الذين نفذوا الحكم بصلب السيد المسيح... ولما كان اليهود هم أصحاب الشكاية ضده خول لهم بأنهم قتلوا المسيح وصلبوه» الاستحالة (ص ٨١) ...!؟؟

تأمل هذا التجنى الشنيع على نص واضح الدلالة على المراد منه. ولكن أمناء الإنجيل أبوا إلا أن يتأولوه هذا التأويل. وكلامهم كان يكون له وجه لو كانت القضية هذا: «من قتل المسيح وصلبه؟؟ فيكون الاستفهام عن الفاعل بعد الاقرار بوقوع الفعل؟»

وليست القضية كذلك. ولكن القضية هى: «هل قتل المسيح وصلب؟ وهى استفهام عن أصل الفعل وقع أم لم يقع. فإذا كان الجواب بعد ذلك ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ﴾ كان نفياً لوقوع الفعل أصلاً حالة كونه واقعا على مفعوله، وهو المسيح عليه السلام؟»

القرآن ينفى وقوع القتل والصلب أساساً، وهذه هى القضية، وليست كما يصورها أمناء الإنجيل قضية فرعية. إذن فلا وزن أبداً لما أرادوا أن يطمسوا به الحقيقة التى هى معتقد المؤمنين الخالصاء.

ومن حق القارئ علينا أن نقول: أنهم ذكروا بجوار هذا أن يهوذا الاسخريوطى الذى يقال أنه وقع عليه شبه المسيح فقتل وصلب كان موجوداً ساعة قبض اليهود على المسيح وقام يهوذا بتقبيل المسيح مع بقية تلاميذه وبنوا على هذا - يعنى أمناء الإنجيل: كيف يقال إذن أن يهوذا هو الذى قتل وصلب!؟

ونجيب: لا يهمننا - يا سادة - أن يكون الذى وقع عليه شبه المسيح هو يهوذا أو غيره فقولوا ما شئتم. هذه واحدة. والثانية: أنكم تنقلون هذا عن إنجليكم ونحن لا نثق فى هذا الإنجيل، تلك هى عقيدتنا كما أنكم لا تثقون فى القرآن وترمونه بالكذب والادعاء. وتلك عقيدتكم. فليتحمل كل منا تبعه عقيدته أمام الديان الحق، الله فاطر السموات والأرض وخالق كل شىء ومولاه. رب هارون وموسى وعيسى ومحمد عليهم صلوات الله أجمعين.

﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ .

● سادساً : دعوى القرآن يبطل بعضه بعضاً ..؟! .

تحدث البابا في مقاله المتقدم فقال : أن القرآن لم ينسخ التوراة ولا الإنجيل . وقد وجهنا هناك هذه الفكرة بما لا يدع مجالاً للريب . أما كتاب الاستحالة فقد عاد يكرر ما قاله البابا شنودة هناك ، وذكر ما لم يذكره . لأن كتاب الاستحالة لم يقتصر على نفي « النسخ » عن التوراة والإنجيل . بل صعد الدفاع إلى هجوم سافر فقال بعد حديثه عن استحالة نسخ القرآن للكتاب المقدس :

« وهذا خطأ يظلمون به أنفسهم ، والقرآن أيضاً (!) حيث أنه لم ترد في القرآن أى إشارة إلى نسخه الكتاب المقدس ، لأن النسخ المذكور في القرآن خاص بالقرآن نفسه ، أى أن بعض آيات القرآن تبطل بعضها البعض » .. (ص ٩٦) .

ثم يقول :

« فالنسخ في القرآن لا علاقة له بالكتاب المقدس ، كما صرح بذلك أكبر علماء الإسلام كالإمام الأسيوطى الذى قال : « أن النسخ مما اختص به الله هذه الأمة » أى الأمة الإسلامية » (ص ٩٧) .

ثم أخذ يعدد بعض الآيات التى اقتضت حكمة التشريع الإسلامى أن يضمنها أحكاماً جديدة ليرفع بها حكماً أو أحكاماً سابقة وردت فيها نصوص قرآنية . وبعد هذا يقول :

« وعلى ذلك فالنسخ خاص بالقرآن ، وقد جاء النسخ فى ٢٥٠ نصاً منه ، وليس له شأن بالكتاب المقدس . كما قال السيد المسيح له المجد » :

« فإننى الحق والحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحداً أو نقطة واحدة من التاموس حتى يكون الكل » ص ٩٨ .

أن جانب الهجوم فى كتاب « الاستحالة » هو الجديد فى هذه النقطة . ولهذا سنقصر الحديث عليه اكتفاء بما قدمناه فى مواجهة مقال البابا .

ولست فى حاجة إلى أن أذكر القارئ إلى أن مخرجى كتاب « الاستحالة » قد خصصوا النسخ الوارد فى القرآن الحكيم بالإبطال . وهو تخصيص له هدف عناهم ، علماً بأن النسخ فى اللغة له عدة معان . منها النقل والتحويل ، ومنها الإزالة ومنها الإبطال والنقض .

ولكنهم غضوا أبصارهم عن النقل والتحويل، والازالة، وتمسكوا بالمعنى الثالث وهو الابطال والنقض. وهذا لديهم مطلوب ما دام المتحدث عنه هو القرآن...؟! (١)

وصنيعهم هذا يذكرنا بقول ابن الرومي وهو يتحدث عن المزاج النفسى فى الحكم على الشىء بأحكام مختلفة تبعا لذلك «المزاج» من الرضا والسخط، وفى هذا يقول ابن الرومي وما أجمل قوله :

تقول هذا مجاج النحل تمدحه

وأن تعب ملت ذا قبيء الزنابير

ثم أن المعول عليه فى العلوم والفنون هو اصطلاحاتها لا المعنى اللغوى، لأنه عام والمعنى الاصطلاحى الفنى خاص. فبماذا - إذن - عرف العلماء النسخ؟ سواء أردنا منه نسخ الإسلام لما قبله من شرائع، أو النسخ الوارد فى الإسلام وهو ما يتعلق ببعض أحكامه هو. لعلماء الأصول فى ذلك مذهبان :

أما أحدهما فهو : «رفع الحكم الشرعى بطريق شرعى متراخ عنه» .

وأما ثانيهما فهو «بيان انتهاء حكم شرعى بطريق شرعى متراخ عنه» .

ومعنى الرفع أن المشرع يقدر حكما فى مسألة مخصوصة لفترة مخصوصة من الزمن، فراعى فيها أحوالا خاصة يدرکہا المشرع خلال تلك الفترة. فإذا انقضت الفترة المخصوصة انتهى العمل بحكمها ثم أثبت المشرع حكما آخر يناسب جميع الأحوال التى تستجد بعد .

ويلاحظ أن التعريف الثانى أوثق صلة من الأول بهذا البيان الذى بيناه وسواء كان النسخ رفع حكم واحلال آخر محله، أو كان انتهاء حكم وابتداء حكم آخر فإنه لا يسرى أثره على صحة العمل بالحكم المنسوخ فى حينه .. بل أنه يسلم بصحتها سواء كان الحكم الثانى إجازة أو منعا . ونضرب لذلك مثلا :

قوله تعالى : ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء: ٤٣] من هذا النص يفهم جواز شرب الخمر - وهى كذلك كانت - لأن المنهى عنه هو تأدية الصلاة فى حال السكر . أما السكر نفسه فمسكوت عنه، وهذا يؤدي إلى أن السكر فى نفسه لم يكن محظورا واستمر العمل بهذا فترة فى صدر

(١) أنظر أن شعت : مقاييس اللغة لابن فارس (٥/٤٢٤/٤٢٥) . وأساس البلاغة

(ج٢/٤٣٨) لسان العرب (ج٤ باب الخاء فصل النون) وترتيب القاموس (ج٤ ص ٣٦٢) .

الإسلام وحين جاءت اللحظة المناسبة لتحريم شرب الخمر لم يتردد الإسلام لحظة واحدة في اتخاذ قرار التحريم، فنزل قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿﴾ [المائدة: ٩٠-٩١] ومنذ تلك اللحظة أصبحت الخمر محرمة إنتاجا وتجارة وشربا. وليس معنى هذا أن من كان ينتجها أو يتاجر فيها أو يشربها قبل قرار التحريم كان آثما. لا. بل أنه كان يزاول عملا مباحا ينوى المشرع حظره في الوقت المناسب، لحكمة يقدرها المشرع العليم الخبير بمصالح عباده آجلها وعاجلها. وتلك الحكمة في هذا المثال نوجز الحديث عنها في الآتي:

١- كان الإسلام يقرر من أول يوم بدأ فيه نزول الوحي تطهير المجتمع من المفساد والموبقات في العقيدة والسلوك. ومنها شرب الخمر والقمار. ونظرا لأن مصالح الناس قد ارتبطت بهذين المصدرين (الخمر والقمار) كمورد للرزق، وكان هذان المصدران من أكبر العوامل الاقتصادية في محيط الفرد والجماعة. فإن الإسلام قد هادنهما في أول الأمر حتى يتهدأ الجو لوجود بديل عنهما يتكسب منه الناس حتى لا تضار موارد رزقهم. ثم بدأ الإسلام نفسه ينبه الناس إلى إتخاذ ذلك البديل. ووقف من الخمر أربع وقفات كانت الرابعة هي القاضية. وبيانها كالآتي:

الوقفة الأولى : وتمثل في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ [النحل : ٦٧] فقد وصف الله فيه الرزق بأنه « حسنا » ولم يصف « السكر » بل أهمله ففهم الناس أن هذا « السكر » ليس حسنا. وإلا لقال « حسنين » وكان هذا الفهم سببا في تخوف منتجي الخمر وتجارها وشاربيها. وبدأت تساؤلاتهم نحوها تتكرر، فذهب المؤمنون إلى صاحب الدعوة ﷺ يطلبون منه أن يبين لهم في الخمر بيانا شافيا.

الوقفة الثانية : وكانت تمثل في قوله تعالى الآتي إجابة على ذلك السؤال : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا ... ﴾ [البقرة : ٢١٩] .

وقد هزت هذه الآية مراكز الخمر هزا عنيفا، ذلك لأن القرآن الحكيم قد بير للسائلين أن الخمر فيها إثم كبير، وفيها منافع للناس، ولكنه بدأ ببيان الأثم ووصفه بأنه كبير. ثم عاد فقارن بين الأثم والمنافع وقرر أن الأثم أكبر من المنافع ومعنى هذا أن الخمر والميسر وإن اشتملا على «منافع» فهما من المضار، لأن الإنسان لا يسعى نحو أمر ضرره أكبر من نفعه وهو يعتقد أنه رابح. فما دام حساب الخسارة أكبر من عائد الربح فالعملية خسران لا ربح فيها.

وهنا بدأ كل من يعتمد على إنتاج الخمر أو الاتجار فيها يبحث عن بديل آمن لرزقه خاصة وأن سوق العرض والطلب قد فقدت الكثيرين من «عملائها» لإعراض الناس عن تعاطي الخمر طلبا للسلامة من الآثام.

الوقفه الثالثة : ويمضى التشريع الإسلامى فى توضيق دائرة الخمر تمهيدا لإلتخاذ القرار النهائى فيها. فيروى أن أحد أصحابه عليه السلام وقف يصلى إماما بالناس فى صلاة جهرية، فقراً قوله تعالى:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ قرأه هكذا :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ فنزل قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾

[النساء : ٤٣] .

وكانت هذه ضربة مؤلمة للخمر وإن لم تكن القاضية، ذلك لأن المسلم مطالب على وجه الشدة بأداء خمس صلوات فى اليوم والليلة موزعة على نظام دقيق: فأثر ترك شرب الخمر حرصا منه على سلامة «الصلاة» وبذلك فقدت الخمر أعدادا هائلة من أصدقائها وشاربيها. كما بدأ السعى لدى منتجيها وتجارها بترك الاشتغال بها. واستحداث وسائل أخرى للعيش أكثر أمنا من هذه الموارد التى يحاصرها الإسلام حيننا بعد حين. ومن يدرى ما الذى سيتخذه نحوها من مواقف فى المستقبل. ثم جاءت الضربة القاضية وهى :

الواقفة الرابعة : ها هو ذا الجو قد تهيأ، والأنظار أخذت تتحول إلى مصادر أخرى للرزق يقرها الإسلام ولا يعاديها كهذه. وأصبح كل شىء صالحا لأن يكر الإسلام كرتة القاضية على «أم الخبائث» وأترابها من الميسر «القمار» والأنصاب والأزلام^(١). وتمثلت الكرة الأخيرة فى قوله تعالى :

(١) الأنصاب : حجارة كانوا يذبحون عندها للأصنام، والأزلام أقداح كانوا يستفتونها

عند أسفارهم فيتفألون أو يتشاءمون.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ
الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴾ [المائدة : ٩٠].

وبهذا أوصد الإسلام كل أبواب الشرور والأضرار الخلقية والاجتماعية حول
موائد الخمر والميسر، ولكن بلا ضرر ولا ضرار. وهذا من سماحة التشريع الإسلامي
وحكمته، فلم يصدم المجتمع بتحريمهما فجأة وبغير تمهيد وإنما ترفق بهم شيئاً فشيئاً.
فجمع بين مصالح الناس العاجلة، وبين مقاصد التشريع العليا في حكمة وإتقان. هذه
ميزة من مزايا التشريع الإسلامي ولكن أمناء الإنجيل يابون إلا أن يسموا هذا «إبطال»
وأنه خاص بالقرآن، لأن آياته - حسبما يزعمون - يبطل بعضها بعضاً!؟

إننا لا ننكر أن في شريعتنا نسخ أحكام بأحكام تساويها في الدرجة والحكمة
بل أننا نعتز بهذا النسخ. لأنه ميزة تشريعية نحن نعرف «قيمتها» بل أن رجال القانون
من غير المسلمين قد لهجوا بالثناء عليها^(١).

والذي نحب أن يفهمه أمناء الإنجيل هو :

أولاً : أن هذا النسخ كان خاصاً بعصر نزول القرآن . أما بعده فليس هناك قوة
أو سلطة في الأرض تملك أن تحلل ما حرمه الله ورسوله، أو تحرم ما حرمه الله ورسوله .

ثانياً : أن هذا النسخ ليس «إبطالا» كما صورتموه، إذ لو كان كما تقولون لأخذ
الله كل شارب خمر قبل قرار التحريم، ولعاقب كل لاعب ميسر قبله - كذلك - ولكن
الله عفا عما سلف قبل قرار التحريم. وعلى هذا - يا سادة - فإن حكم الجواز الذي
كان سارياً قبل قرار الحظر كان صحيحاً، ثم انتقل الحكم من الجواز إلى المنع
التحريمي . وهذا هو معنى النسخ لا الإبطال الذي ادعيتموه . فهو - أى الإبطال - وإن
كان أحد دلالات المعاني اللغوية لكلمة «النسخ» فليس وارداً هنا . ولكي تتأكدوا من
صحة ما نقول نذكركم بأن من معاني النسخ في اللغة تدوين الكتب من الرقاع أو من
الذاكرة، وكانت كلمة «النسخ» تعنى معنى «الكتابة» والرواية إلى عهد قريب .

ثالثاً : ولو كان معنى النسخ «الإبطال» كما تقولون لكانت الآيات «المنسوخة»
ملغاة من المصحف . ولما علم بها أحد . ونؤكد لكم أن القرآن ليست فيه آية واحدة

(١) ليس صحيحاً أن النسخ خاص بالقرآن ، بل هو واقع في كل الشرائع السماوية من آدم
الى عيسى عليهما السلام . بل إن المسيحية أكثر الشرائع نسخاً ولنا دراسة موثقة ستصدر قريباً
بإذن الله في هذا الشأن .

منسوخة حكما وتلاوة. وإنما قد تنسخ الآية حكما وتبقى فى التلاوة. وهذا هو شأن النسخ فى القرآن الحكيم مع ندرته .

وإذا سألتهم: وما الفائدة من تلاوة أو بقاء نص انتهى العمل بالحكم الذى يفيدُه هو؟ ونجيب فنقول:

(أ) أن كلام الله كله سواء ما تعلق به حكم أو ما لم يتعلق به حكم فإنه يتعبد بتلاوته ويغذى القلب والروح.

(ب) وفى بقاء تلك الآيات المنسوخة تذكير بذلك المنهج الفريد الذى سلكه القرآن فى التشريع أبان عصر النزول، وذلك من مظاهر رحمة الله بعباده. ولترتبط كل واقعة بحكمها وملابساتها. ومن أجل هذا نزل القرآن نجوما حسب الوقائع على مدى ثلاث وعشرين سنة، ولم ينزل دفعة واحدة كما هو الحال فى التوراة والإنجيل.

(ج) وفى بقاء تلك الآيات المنسوخة الحكم أكبر معين على معرفة تاريخ التشريع الإسلامى وأطواره التى سار فيها. وهذه أيضاً ميزة لم يعرفها أحد لنفسه سوانا، وهذان الأمران: التذكير ومعرفة تاريخ التشريع الإسلامى وأطواره من أبرز مظاهرنا الحضارية. فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون.

وهأنتم قد علمتم صحة الرأى عندنا فى مبدأ النسخ الذى تدعونه «إبطالا» فتعالوا – الآن – نعرض عليكم نصوصا من أناجيلكم، نحمل معنى «الإبطال» الذى وصفتم به بعض نصوص القرآن. لتنبؤنا بصحة الرأى عندكم فيها وإلا الزمناكم – ونحن لابد فاعلون – بالنتائج التى تؤدى إليها عقلا ومنطقا.

أولا – جاء فى إنجيل يوحناكم (٣٢ / ٥) أن المسيح قال: «إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى ليست حقا».

وجاء فيه (١٥ / ٨) قول المسيح أيضاً: «إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق» فما رأيكم يا سادة:

هل الآية الثانية نسخت الأولى أم لم تنسخها؟ فإن قلتم نسختها فقد لزمكم القول بأن الإنجيل يبطل بعضه بعضا كما قلتم عن القرآن. أليس كذلك يا قوم...؟! وإن قلتم لم تنسخها لزمكم واحد من أمرين لا ثالث لهما. أحدهما أن المسيح كان لا يدرى ما يقول فثبت هنا ما ينفى هناك؟!!

وإن قلتم، أن المسيح لم يقل الأولى، أو لم يقل الثانية لزمكم التسليم بالتزديد والتحريف فى كلامه. وهذا هو الأمر الثانى...؟!!

وإن قلت ليس هذا إبطالا قلنا لكم فأنتم - إذن - جائرون حيث لم تعدلوا بين القرآن وبين الإنجيل فاختلف الحكم عندكم والظاهرة المحكوم فيها واحدة ..؟!
ثانياً - وجاء في إنجيل يوحناكم أيضاً (٢٣/٥) قول المسيح «لأن الاب لا يدين أحدا بل قد أعطى كل الدينونة للابن» وجاء فيه قوله (٤٨/١٢) : «وأن سمع أحد كلامي فلم يؤمن فأنا لا أدينه، لأنى لم آت لأدين العالم . بل لأخلص العالم» فما رأيكم يا سادة .

فى الآية الأولى الآب أعطى الابن كل الدينونة . وفى الآية الثانية الابن لا يدين أحداً، لأنه جاء ليخلص العالم .

هل تقولون بتحكيم الآيتين . هذا باطل . أم تقولون إحداهما نسخت الأخرى فهذا إبطال على مذهبكم . أم تقولون إحداهما ليست للمسيح فهذا تبديل وتحريف . فاختاروا لأنفسكم ما يحلو . وأن كان فى الواقع ليس فيما تختارون حلو قط . ونكتفى بهذين النصين الآن، ولنا عودة ..

● سابعاً : رسول الإسلام لم يأت بمعجزات . وهو خاص بالعرب ..؟! .

ويمضى مخرجو كتاب الاستحالة فى مزاعمهم فيدعون : أن رسول الإسلام لم يأت بمعجزات قط . وأن رسالته خاصة بالعرب فحسب، فليس رسولا لبني إسرائيل ولا لغيرهم من الشعوب ؟!

وكعادتهم فى الاستدلال التعسفى راحوا يسوقون نصوصا من القرآن الحكيم ليؤيدوا بها مدعياتهم وأوهامهم غير عابئين بما تحمله تلك المدعيات من باطل وزيف . وها نحن أولاء نورد ما قالوه ونرده بالدليل الذى لا قدرة لباطلهم على الوقوف أمامه وإن طلبوا له وزمروا .

● أولاً - دعوى عدم المعجزات (١) :

جاءت هذه الفرية فى كتاب «الاستحالة» ص ١٢٢ حين عقدوا مقارنة بين موسى عليه السلام ومحمد ﷺ، فقالوا أن موسى عليه السلام صنع معجزات، أما رسول الإسلام فلم يصنع معجزات (!) وهذا بشهادة القرآن ؟!

(١) سنكتفى هنا برد أدلتهم أما المناقشة التفصيلية فسنرجئها إلى حين مواجهتنا الوثيقة الثالثة لإثارتهم فيها شبيها مختلفة وسلوكهم مسلكا قبيحا فى الافتراء والتهميم، فموعدنا على الصفحات الأخيرة من هذه المواجهة .

ثم يعمدون إلى ثلاث آيات من القرآن الحكيم .

﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ﴾ [الإسراء : ٥٩]
وقوله تعالى :

﴿ وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم
مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون ﴾ [البقرة : ١١٨] .
وقوله تعالى :

﴿ وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه ﴾ [الأنعام : ٣٧] .

والحق - كما يبدو - من أدنى تأمل أن مخرجى كتاب « الاستحالة » ليس لهم
دليل فى هذه الآيات الثلاث . وذلك لما يأتى :

الآية الأولى تنص أن الله - سبحانه - اقتضت حكمته الاقلال من إرسال
الآيات المادية ، لان الأمم السابقة كانت كلما جاءتها آية من ربهم اعرضوا عنها ، وكذبوا
بها . وأملى عليهم الشيطان أن يقولوا إنما هى سحر مبین . وذهب قتادة وابن جريج فى
معنى هذه الآية فقالا : أن الآيات التى أشار الله إليها هنا هى الآيات التى اقترحها
كفار مكة وليس المراد جنس الآيات . فال فيها للعهد الذكرى . فقد ورد أنهم طلبوا
منه أن يحول لهم جبل الصفا ذهباً ، وأن ينحى الجبال من حولهم . فأنزل الله جبريل
عليه السلام ليقول للنبي ﷺ : أن شئت كان لقومك ما طلبوا فإذا لم يؤمنوا عجل
الله بعذابهم ، وإن شئت استأنيت عليهم - يعنى تمهلهم - فقال عليه السلام : بل
استأنى بهم .

وفى نفس الآية ذكر الله له مثلاً من ثمود قوم صالح حيث ارسل الله لهم « الناقة
مبصرة فظلموا بها » ولم يؤمنوا فاهلكهم الله .

وهذا المعنى ، وهو إمساك الآيات لتكذيب الناس بها ، قد كرر كثيراً فى القرآن
الحكيم ومنه قوله تعالى :

﴿ وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر ثم لا ينظرون ﴾
[الأنعام : ٨]

وقوله تعالى :

﴿ ولو أنزلنا عليك كتاباً فى قرطاسٍ فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا
إلا سحرٌ مبين ﴾ [الأنعام : ٧] .

وقوله تعالى :

﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ * وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرَجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ [الحجر : ١٣ - ١٥] . هذه هي حكمة الله في إمساك الآيات التي يطلبونها . أن كفرهم وعنادهم سواء لديه جريان الآيات وإمساكها . وأحرى بمخرجي كتاب الاستحالة أن لا ينسبوا إلى رسول الإسلام عجزا في مجال الآيات والمعجزات ، وعليهم أن يساءلوا الله الحكيم الخبير لم كانت حكمته كذلك . ولا أظن أنهم يتهيبون مثل هذه المواقف . فقد خاضوا - معه - ما هو أكبر جراءة وإثما .

أما الآية الثانية وهي قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ .. ﴾ فهم المعنيون بها . يهودا ونصارى . وإليك سياق الآيات لتكون على يقين مما نقول :

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ * بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ * إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ * وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَّلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة : ١١٦ - ١٢٠] .

فمن هم يا ترى الذين قالوا اتخذ الله ولدا؟ أليس هم النصارى فى ادعائهم بنوة عيسى لله . واليهود فى ادعائهم بنوة عزير له تعالى عما يقولون علوا كبيرا . ومن هم الذين طلبوا من موسى أن يروا الله جهرة . أليس هم اليهود أهل الكتاب . ثم من هم الذين لا يعلمون وقد تشابهت قلوبهم أليسوا هم أهل الكتاب . أن المفسرين لم يشركوا مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى فى هذه الأوصاف إلا مشركى مكة . إذ جمع بينهم جميعا الكفر والإشراك بالله ؟..

ثم من هم اليهود والنصارى الذين لم يرضوا عن نبي الإسلام إلا إذا اتبع أهواءهم وما هم بمتبع . أليسوا هم أصحاب موسى وعيسى عليهما السلام وأصحاب التوراة والإنجيل .

يا قوم: أن محمدا عليه السلام ليس متهما بالعجز في مجالات الإعجاز كما تدعون. ولو أنكم استعملتم عقولكم لعزفتم عن ذكر هذه الآية دليلا على ما تقولون. فالآية تحمل في صدرها ما يبطل دعواكم. فتأملوا هذا الصدر جيدا:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ...؟! ﴾ فهل قول الذين لا يعلمون حجة يتمسك بها عاقل إلا الذين لا يعلمون...؟! ثم تعالوا معنا إلى الآية الثالثة:

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ ذكرتم أنتم هذا الجزء من الآية ولم تجرؤوا على ذكرها كلها. وها نحن نذكر ما أهملتموه:

«... قل إن الله قادر على أن ينزل آية، ولكن أكثرهم لا يعلمون» فمن هم الذين قالوا هذا القول؟! أنهم هم لم يتغيروا. الذين لا يعلمون وقد سبقت هذه الآية آية أخرى لا شك أنكم قرأتموها وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ أن هذا الفريق الأحمق الذي تقص الآية الكريمة قصته وتحكى قوله، إنما سأل سؤال عنيد متجبر. فبين يديه آيات لم ينتفع بها، ومنها هذا القرآن الذي أقروا له بالفضل وخروا بين يديه وواعجازه. فلو أن هذا الفريق أراد لنفسه الهداية لآمن على ما بين يديه من آيات. ولكنه سادر في غيه. ولو أن الله اتبع أهواءهم فأنزل آية كما طلبوا لقالوا بعدها كذلك: لولا أنزل عليه آية من ربه. ولما توقف عند حد ما دام الشيطان هو وليه الحميم.

أفليس من الحكمة أن يهمل هذا الفريق ولا يستجاب له ليراجع نفسه؟! أم أن الاسترسال معه في أوهامه كان هو المطلوب من سيد المرسلين أن يفعله معه وأن يدعو ربه من أجله.

لا يا قوم. إن الفاعل هو الله. والله ليس متهما لا في فعل ولا في ترك.. هذه عقيدتنا عقيدة الحق:

يا حاكمي وحكيمي أفعالك الكل حكمة

ولنتوقف - الآن - عند هذا الحد في موضوع المعجزات. فلنا فيه جولة أخرى سيأتي حينها إن شاء الله.

● ثانيا: دعوى قصر الإسلام على العرب؟!.

مواقف أهل الكتاب من الإسلام وكتابه ورسوله لا تخرج عن واحد من أمرين.

أحدهما الرفض والإنكار الكلى . وثانيهما حصره فى العرب دون غيرهم من خلق الله . أما الموقف الأول فهو الموقف الأصلى عندهم يهودا ونصارى . فاليهود لا يعترفون إلا بشريعة موسى عليه السلام ، وينكرون رسالة كل من عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ولهم فى ذلك فلسفة عجيبة، فهم يقولون لو جاز أن الله يرسل رسولا بشريعة، ثم يرسل رسولا آخر بشريعة أخرى ناسخة للأولى للزم من ذلك أن الله موصوف بالبذاء : أى أنه حين أرسل الرسول السابق كان يقدر أن مصلحة الناس فى تلك الشريعة التى بعثه بها، وعند التطبيق تظهر عيوب فى تلك الشريعة، ويبدو لله نظام آخر يصلح عليه أمر الناس، فما يلبث حتى يلغى الشريعة الأولى ويقرر الشريعة الثانية وهكذا . وهذا يلزم منه القول بأن الله « جاهل » سبحانه - وإلا لقرر من أول الأمر ما هو صالح لكل الأحوال . واستنادا على هذا الفهم العقيم انكروا تعدد الشرائع . فلا عيسى رسول، ولا محمد رسول صلى الله عليهما وسلم . ونفس الموقف يقفه النصارى من الإسلام، لأن عيسى عندهم هو آخر الأنبياء، وقتله وصلبه هو الذى خلص البشرية - على زعمهم - من كل الخطايا والآثام . ولكنهم يعترفون بشريعة موسى عليه السلام فى الوقت الذى ينكر فيه اليهود رسالة عيسى ونبوته ويرمونه بكل نقص .

أى أن النصارى يؤمنون بمن كفر بعيسى ورسالته، وهم اليهود ويكفرون بمن يؤمن بعيسى ورسالته، وهم المسلمون . وإلى هذا المسلك العجيب يشير الإمام البوصيرى فى همزيته فيقول :

آل عيسى عاملتم آل موسى
بالذى عاملتكم به الحنفاء
لو جحدنا جحدكم لاستوينا
أو للحق بالضلال استواء^(١)

أما الموقف الثانى، وهو شر مثل الأول، ولكن بعض الشر أهون من بعض، فإنه موقف محاباة ومجاملة لا عقيدة . وهو الرأى الذى يقول أن محمدا رسول، ولكن رسالته خاصة بقومه العرب دون غيرهم .

(١) أى آمنتم بشريعة موسى وهم بكم مكذبون وكفرتم بشريعة محمد ﷺ وهم بكم مؤمنون وكان الأخرى بكم لو انصفتم بعض الانصاف لامنتم بشريعة محمد عليه السلام من باب المعاملة بالمثل ولو أننا عاملناكم بمعاملتكم فكفرنا بكم لكننا مثلكم مستوين، ولكن هل يستوى الحق والباطل .

وتسألهم : ما دليلكم ؟

فيجيبونك : القرآن ؟، وتقول لهم : وكيف ؟ فيقولون لك : ألم يقل القرآن في سورة إبراهيم الآية الرابعة منها : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ .. ﴾ وكذلك كان رسول الإسلام عربيا من العرب، لغته لغتهم، وعاداته عاداتهم وكتابه عربى .

« وعليه فرسول الإسلام ليس لبنى إسرائيل . بل هو - كما يقول القرآن - خاص بالعرب فقط » كتاب الاستحالة (ص ١٢٣) ويقولون : « فهل بعد ذلك يرسل الله لبنى إسرائيل نبيا من غير أمة العهد والنبوة - يقصدون إسرائيل - نبيا غريبا عنهم وعن جنسهم وعن لغتهم وعن أخلاقهم وعن دينهم . ويدعون أن هذا مناف للعدل الإلهي إذ كيف يرسل رسولا لانا لا يعرفون لغته فلا يفهمون ما يقوله هذا النبى ، ثم بعد ذلك يحاسبهم ويعاقبهم ..؟! »

هذه هى شبههم التى تذرعوها بها حين اضطروا للاعتراف برسالة رسول الإسلام ﷺ . أنها رسالة خاصة بالعرب، وللعرب وحدهم ..؟!
أجل هذا كلامهم . وسيظل كلاما، ما لم نتعرض له، فإذا تعرضنا له لو كان وجه النهار لاسود .

فلنناقش أولا شبه الإثبات (١) :

(أ) أما دليلهم النقلى، وهو الآية الكريمة التى ذكروها : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ .. ﴾ فلا حجة لهم فيها، لأن معنى الآية « وما أرسلنا » من قبلك « من رسولٍ إلا بلسان قومه » ورسول الإسلام وإن كان مرسلا بلسان قومه . فإنه لم يكن خاصا بهم كما تدعون . وسنبين لكم هذا بعد قليل فى براهين نفى ما تدعون .
(ب) وأما دليلهم العقلى، وهو كيف يرسل الله رسولا إلى قوم لا يعرفون لغته فلا يفهمون ما يقول ثم يعاقبهم الله على مخالفته؟!
وهذا الذى تقولونه مردود . والذى يرده العقل نفسه . ثم الواقع الذى لا ينكره أحد إلا مكابر .

أما العقل فإنه لا يعترف بأن تعلم لغة ما لرجل يتكلم بغيرها مشكلة عويصة تمنع التفاهم بين طرفين . فما أسهل تعلم اللغات . ومنذ القدم كان العالم يعرف نظام

(١) إنما سميناهما شبه « الاثبات » لأننا ناقش القضية على أساس أنهم يدعون إثبات قصر الإسلام على العرب، والواقع أن هذه القضية كاذبة وهما هنا نفى مدعاهم .

الترجمات، فيكفى أن يوجد في أمة رجل واحد يعرف مع لغته لغة أخرى، فيقوم بدور الوسط الناقل من لغته إلى الأخرى ومن الأخرى إلى لغته. وبهذه الطريقة كانت تنقل رسائل الخاتم ﷺ إلى رؤساء وملوك الأمم التي لا تعرف العربية مثل الفرس، والروم، وبهذه الطريقة كان يدور الحوار بين رسل الخاتم ﷺ ووفوده وبين من يرسله إليهم من قادة الشعوب وزعمائها خارج جزيرة العرب أما بنو إسرائيل الذين عاصروا الدعوة، فلم يكونوا يجهلون لغة العرب، بل كانوا فيها مثل العرب أنفسهم حديثا وكتابة. والتاريخ يحدثنا وهو صادق أن اليهود كانوا يقرأون التوراة للعرب بالعبرية، قبل البعثة، ويفسرونها لهم بالعربية. وكانت صلتهم بالعربية أبان البعثة وبعدها أوثق شأننا من ذي قبل. لا حبا في الدين ولكن ليتمكنوا من دس الأخبار والآراء إلا من عصم الله منهم فأمن وصلاح أمره.

والخلاصة: أن العقل لا يقركم على أن اختلاف اللغات مشكلة، تستعصى على كل الحلول فإذا كنتم حتى الآن تصرون على قولكم. فليس من حركم أن تدعوا أن عيسى عليه السلام عندنا والرب يسوع عندكم أرسل الحوارين ليبشروا العالم بالإنجيل، ويبلغوه له. فهل كان العالم وما يزال يتحدث بلغة الإنجيل التي تجهلون أنتم أصلها وما هي؟ هل هي اليونانية أو العبرانية أو السريانية أو السيروكلدانية، كما تجهلون المترجم من هو ما لغته التي كان يتحدث بها وهل هو ثقة فيها أم غير ثقة. وأحيانا تختلفون في واضح الإنجيل نفسه...؟! فلماذا ترون لأنفسكم ما لا ترونه لغيركم والواقعة التي اختلف حولها حكمكم واحدة؟! هذا هو رد العقل عليكم.

أما الواقع فيقول: أن اليهود وجميع أهل الكتاب فهموا مقاصد الإسلام في عصر النزول وجادلوا صاحب الدعوة وحاوروه، ولم يستعص عليهم فهم شيء في الكتاب المنزل من عند الله هدى وبيانا لكل شيء.

ثم حين خرج الدعوة من جزيرة العرب يدعون الأمم إلى الإسلام، وفتح الله عليهم فتحا مبينا فإن الوثائق التاريخية تحدثنا أن اللغة العربية كانت أخت الإسلام في الانتشار وإقبال الناس عليها. وأرجعوا أن شئتم إلى كتاب أخ لكم في العقيدة هو الدكتور جوستاف لوبون فسترون فيه عجبا، وكتابه هو «حضارة العرب» ثم أرجعوا كذلك إلى كتاب «جورجى ريدان» تاريخ آداب اللغة العربية، وهو ثقة لديكم فيما كتب، وراجعوا عصر الترجمات في العهد العباسي فسترون عجبا أيضا، وستجدون أخوة لكم في النصرانية كاسحق بن حنين كان لهم باع طويل في مجال الترجمات من وإلى اللغة العربية.

لقد كتب الله النصر للغة كتابه الحكيم . فأكلت اللغة الفارسية في الشام وفارس وأكلت اللغة القبطية في مصر . وأنتم الآن تتحدثون العربية كلغة وطنية وقومية ولا صلة لكم بلغتكم الأولى . لغة الآباء والأجداد . أليس كذلك فأين ذهبت تلك اللغات إذن . ابتلعتها لغة الإسلام حتى تقام الحجة على كل إنسان .

هذا هو الواقع يا قوم فتعالوا إلى كلمة سواء لا نعبد إلا الله، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله . فليس في قلوبنا غل لأحد، ولا نحن حاملون بمدينة فاضلة ليس فيها إلا رنين « النواقيس » ولكن صدرنا رحب وأرض الله فيها ما يسد حاجة كل العباد . والدين للديان وحده .

أما أدلة النفي، أى نفي مدعاكم أن رسول الإسلام رسول للعرب خاصة فنقلية وعقلية كذلك .

فالأدلة النقلية كثيرة نذكر لكم منها ما يأتي :
قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبا : ٢٨] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .
وقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ

كُلِّهِ ﴾ [الفتح : ٢٨] ، [الصف : ٩] .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ ﴾ [النساء : ١٧٠] . وقوله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فِتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُلِ أَنَّ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة : ١٩] وخرج الإمام مسلم أن الرسول الخاتم قال :

« والذي نفسى بيده، لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم لم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار .»

فما رأيكم فى هذه النقول . أتقولون أنها غير ملزمة لكم، لأنها قرآن وسنة؟! إذا قلت ذلك قلنا لكم :

ولماذا استشهدتم بهما حين ظننتم أنهما يؤيدانكم فى صدق مدعياتكم . فقولكم إذن هناك مرفوض . فإما أن تقبلوا الحق كله ، وإما أن ترفضوه كله . فإن أبيتم

إلا هذا قلنا لكم من هو الذى يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض إذن . نحن أم أنتم
نتبئونى بعلم إن كنتم صادقين!؟

أم تقولون أن العرب وحدهم هم الناس، وأنهم وحدهم هم العالمون لأن نص
الآيات يقول: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ ويقول: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً
لِّلْعَالَمِينَ ﴾ فإذا رضيتم بأن تخرجوا أنفسكم من «الناس» ومن «العالمين» فمن أنتم
إذن؟ وحينئذ فلا كلام لنا معكم، لأن كلامنا مع «الناس» فحسب. ولكن ما رأيكم فى الآية الأخيرة ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ
لَكُمْ... ﴾ .

ألستم أنتم أهل الكتاب يا قوم!؟ فأين المفر إذن!؟ لقد حاصر الحق الباطل من
كل جهة فأين تذهبون.
بل نستطيع أن ننقل لكم نصوصا من أناجيلكم غفلت عنها أصابعكم فلم
تخفوها. وفيها دلالة على ما نقول:

فمن هو المعزى الذى يمكث فيكم إلى الأبد. وهذا نصه فى إنجيل يوحناكم
(١٧/١٤).

« وأنا أطلب من الآب فيعطىكم معزيا آخر ليكمث فيكم إلى الأبد »!؟
وقال فى شأنه أيضاً: « ٢٦/١٤ » وأما المعزى روح القدس الذى سيرسله الآب
باسمى فهو يعلمكم كل شىء ويذكركم بكل ما قلته لكم^(١).

أتقولون أن المعزى هنا هو روح القدس الذى منحه المسيح لتلاميذه. إن قلتم هذا
وأنتم قائلوه لا محالة قلنا لكم هل روح القدس ذاك كان واحدا أم متعددا بتعدد
التلاميذ؟ فإن قلتم واحدا قلنا لكم: فيمن حل روح القدس من التلاميذ الاثنى عشر
فيكون هو خليفة المسيح ويكون الآخرون أدعياء عليه من بعده؟ وإن قلتم كان متعددا
قلنا لكم: الآن خرجت عقيدتكم من التثليث إلى ما هو أضعاف التثليث فعلام القول
بالتثليث إذن؟

وهب أننا سلمنا لكم بكل هذه الفروض فهل أحد التلاميذ أو هم كلهم باقون
معكم إلا الأبد أم أنهم ذهبوا كما يذهب كل مخلوق، وعادوا قافلين فى نفس الطريق
التي جاءوا منها :

(١) ننقل هذه النصوص على «علاقتها» لا لاننا فى حاجة إليها ولكن لمجرد تذكير الخصوم
بما يرونه لديهم «مسلمًا» وإن تأولوه على غير وجهه!؟

« منها خلقناكم ، وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة أخرى » .
وكفانا هذا من أدلة النقل التي لا تخلو من العقل . فتعالوا إلى أدلة العقل التي لا تخلو من النقل :

ولنتفق من الآن على مقدمة نلتقى عندها نحن وأنتم يا أهل الكتابين . وهي « أننا جميعاً نؤمن بأن عدالة الله تقتضى أن يبين للناس الطريق الموصلة إليه ببيان العقائد الصحيحة . وطرق العبادات والمعاملات ، والتشريعات التي تحدد الجائز والممنوع والحلال والحرام . والواجب وغير الواجب فى كل ما يعرض لنا فى هذه الحياة سلماً وحرماً . فى الداخل والخارج أو بعبارة أوضح : برنامج السلوك العام والخاص . وبعد هذا البيان يحاسب الله الطائع ويعاقب العاصى أن شاء » هذه هى المقدمة التى ندير عليها ما يأتى من حوار بغية الوصول إلى الحق ، والحق وحده .

فهيا انثروا كتابكم المقدس بعهديه . وقسموه إلى :
آلهيات - نبوات - سمعيات . شرائع - نسك وعبادات ، فلسفات كونية . ثم
ضموا إلى هذا التراث النظرى التجارب العملية التى صنعت ما يسمى بالتاريخ
الكنسى .

ونحن من جانبنا ننشر قرآنا وما تولد عنه من مصادر تشريع . ثم نقسمه إلى
نفس الأقسام التى قسمتم إليها كتابكم مع ملاحظة جداول الزيادة أو النقص حسبما
يسفر عنه المنهج المتبع فى التقسيم .

هذه هى الخطوة الأولى . أما الخطوة الثانية فتعالوا :
أولاً - نقارن بين « المعطيات » هل هى متساوية عندنا وعندكم أم أن أحدنا
سيكون أبقى من الآخر؟ فإذا لم نتساو وكنتم أنتم الأبرز فسوف نعترف لكم . وإذا كنا
نحن الأبرز فعليكم أن تعترفوا لنا . أما إذا تساونا فليكن أساس المفاضلة هو « الكيف »
وليس « الكم » .

ثانياً - ننظر فيما لديكم وفيما لدينا أيهما أمس رحماً بالعقل والفترة وأقدر
على توجيه الحياة من الآخر ، وأعم نفعا للناس جميعاً ، وأوفى بحاجة البشر فى الحياة
فى العلاقة بين :

الإنسان وربه . الإنسان وأخيه . الإنسان ونفسه ، الإنسان وزوجه وولده ثم تحديد
ما هو واجب ، وما هو حق . ثم تحديد طرق الفصل فى الخصومات وتحديد طرق
الكسب المباح ، والكسب الممنوع ، وتنظيم علاقة مجتمع بآخر : فى السلم فى الحرب
.. إلخ .. إلخ .

فإذا أسفرت المقارنة عن وفاء كتابكم المقدس في إقامة الحياة على سنن الحق والعدل سلمنا لكم بأنكم أهل كتاب تستطيعون أن تروودوا المجتمعات نحو الأنفع والأصلح. ولا نطالبكم بشيء.

أما إذا ثبت أن كتابكم المقدس بعهديه قاصر كل القصور عن مواجهة الحياة - ونكتفى هنا بوصف القصور فقط - فعليكم أن تسلموا لنا، بل للحق الذي شرعه الله ليكون هو الرائد والموجه والمرشد، لا لشيء في أنفسنا فنحن طلاب حق. ولكن لأن الله أودع فيه خوالص وحيه. فهو طبعة الوحي الأخيرة. بعدها جفت الأقلام، وطويت الصحف. فتعالوا نحكم عقولنا، ونجرد أنفسنا من كل هوى. ونبحث أى الطرق تؤدى بنا إلى الله فإذا ظفرنا به فلعنة الله على المعوقين.

● ثامناً - دعوى سريان التثليث في الإسلام !؟

من أكذب الأكاذيب أن يقال أن الإسلام يشايح عقيدة التثليث كما هي عند النصراني يوجه مباشر أو غير مباشر. هذه أكذوبة مفضوحة أنى وجدت وكيف وجدت.

ومما هو معلوم للعامة قبل الخاصة أن الإسلام هو دين التوحيد الخالص، والتجريد والتنزيه على صورة رائعة لا تعرف في غيره من الأديان والنحل والمذاهب قديمها وحديثها. أن التوحيد في الإسلام هو المثل الأعلى، وعقيدة المسلم فيه كما يستقيها من القرآن والسنة المطهرة هي أرقى عقيدة في «الله الواحد الأحد، الذى لم يلد، ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد» ليس كمثلته شيء وهو السميع العليم. واحد لا شريك له في ملكه. واحد في حقيقته، واحد في صفاته، واحد في أفعاله أول بلا بداية، وآخر بلا نهاية، قدرته فوق كل القدرات، وإرادته فوق كل الإرادات. مدبر الأمر في السموات والأرض، أمره نافذ، وحكمته بالغة يعطى ويمنع، ويعز ويذل. ويرفع ويخفض، ويغنى ويفقر، ويهدى ويضل. ويحيى ويميت، بيده مقاليد الأمور وإليه مراجعها، وهو الغنى الحميد. كل شيء يسبح بحمده، ويسجد له بالغدو والآصال. له المثل الأعلى، وله الأسماء الحسنى عالم الغيب والشهادة جامع الناس ليوم لا ريب فيه، يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء وما هو بظلام للعبيد.

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ

اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ [الحشر: ٢٢ - ٢٤] . ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ
وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آلِلَّهُ خَيْرٌ أَمَا يُشْرِكُونَ ﴾ .

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ
بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلِلَّهُ مَعَ اللَّهِ؟ ﴾ .

﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ /

﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ
الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ...!؟ ﴾ .

﴿ أَلِلَّهُ مَعَ اللَّهِ؟ ﴾ .

﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ أَلِلَّهُ

مَعَ اللَّهِ؟ ﴾ !؟

﴿ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ .

﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ .

أَلِلَّهُ مَعَ اللَّهِ؟ ﴾ !؟

﴿ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

﴿ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلِلَّهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا

بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [النمل: ٥٩ - ٦٤] .

﴿ أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ * لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا

فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ * لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾

[الأنبياء: ٢١ - ٢٣] .

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لُدَّهِبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ [المؤمنون : ٩١] .
 ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم : ٨٨ - ٩٥] .

هذا غيظ من فيض من دلائل التوحيد الفطرى فى كتاب الإسلام، وتلك هى مائدة المسلم التى يستمد منها غذاء طيبا لروحه وقلبه وعقله ومشاعره ووجدانه . أنه دين أخص خصائصه التوحيد المقام عليه أقوى البراهين، المستقى من مرآة الكون المجلوة، المائل أمام النظر فى كل حركة، وفى كل سكون، وفى ذرة من ذرات الوجود . ومع هذا النور الأبلج الوضاء يزعم - ويا لسوء ما يزعم - كتاب « الاستحالة ومخرجه أن عقيدة التثليث واضحة أو هى من الأمور الواضحة فى الإسلام . هكذا والله يقولون، ثم يتوارون وراء زيفهم أو يوارون زيفهم فيقولون، ولكن بطريق غير مباشر^(١)؟! »

يا سبحان الله ..؟! القوم يريدون أن يجعلونا « مثلثين » من الدرجة الثانية بعد أن احتلوا هم « المركز الأول » فى التثليث . أو يجعلونا « مثلثين جنباء » بعد أن حازوا هم قصب السبق فى « الشجاعة » فأعلنوا وأسررنا ..؟!
 وإن شئت أن تضحك من الأعماق فتعال أسمع ما قالوه عن « تثليث الإسلام » فى فن « الكوميديا » الاستحالية الحديثة .

● وإليك النصوص :

١ - البسملة المسيحية كالاتى : « بسم الآب، والابن، والروح القدس » والبسملة الإسلامية : بسم الله، الرحمن، الرحيم .
 هذا هو النص المسرحى الكوميدى الاستحالى الحديث . فانظر الآن إلى المخرج القدير كيف أخرجه، مع ملاحظة أنتى سأنقل النص كما هو غير مصحح لما فيه من أخطاء لغوية ونحوية مشيرا إلى موضع الخطأ بخط ثقيل .

(١) كتاب « الاستحالة » (ص ٢٣١) .

يقول المخرج :

« وهاتين البسملتين هما صورة طبق الأصل من بعضهما (!) فالمسيحية تعرف الاقنوم الأول بالأب، بينما الإسلام فيعرفه بالله، والمسيحية تعرف الاقنوم الثاني بالابن، بينما يصفه الإسلام بالرحمن ... أما الاقنوم الثالث الذى تعرفه المسيحية باسم الروح القدس فإنه يوصف فى الإسلام بالرحيم «...!؟»

وهنا يتخيل المخرج أن جمهوره قد استرسل فى ضحكاته، ومتع نفسه بمتعة فنية رائعة، فاسترسل المخرج فى « تغريب » ادائه طلبا للمزيد من الاعجاب فاستمع إليه وهو يؤدى هذه « اللقطة » الهوجاء :

« .. وعلى هذا نجد أن عدد حبات السبحة التى يتم تسبيح اسم الله القدوس بها هو ٣٣ حبة، بينما نجد أسماء الله الحسنى هو ٩٩ اسما عبارة عن ٣٣ حبة للعادل (الاقنوم الأول) و ٣٣ حبة للرحمن (الاقنوم الثانى) و ٣٣ حبة للمنعّم أو الرحيم (الاقنوم الثالث) «!؟» كتاب الاستحالة (٢٢٢) .

ثم يلتفت غبطة المخرج البارِع وهو على خشبة مسرحه « الهوائى » ويخاطب أحد المسلمين قائلاً^(١) :

« أليست هذه أقوال علماءكم؟! كما أننى أتساءل مع الذين يقولون بأن المقصود بذكر الله الرحمن الرحيم هو التأكيد . أننى أسأل من يقول بذلك ولماذا لم نكتفى بالقول باسم الله الرحمن فقط؟! أليس المثنى توكيد؟! أو لماذا لم يكونوا أربعة أو أكثر فنقول باسم الله الرحمن الرحيم العليم الرؤوف العادل .. إلخ . لماذا نكتفى مثل النصرارى بذكر ثلاثة فقط؟! كتاب الاستحالة (ص ٢٢٢) .

انتهى الفصل الأول من كوميديا المسرح « الهوائى » الاستحالى الحديث . وكان من اليسير - أخى القارىء - أن نهمل كل ما ورد فيه من هراء وزيف وباطل ولكن آثرنا أن نقول - هنا - كلمة لتلايق أحد شبابنا فريسة هذه الأوهام الغريبة . فنقول ومن الله الواحد التوفيق :

غريب ما يقوله هؤلاء من تشابه الإسلام للمسيحية فى تثليثها وشركها ووثنيتها . فنحن نقول بسم الله، الرحمن الرحيم . هكذا بدون توسط حرف العطف

(١) الكاتب هنا يناقش الدكتور أحمد شلبى الأستاذ بدار العلوم حول عبارة وردت فى كتابه « مقارنة الأديان » .

«الواو» فنذكر «الله» ثم نصفه بوصفين: احدهما الرحمن والثاني الرحيم . والوصف هو ما قام بموصوف . ومعلوم - بدهاة - أن الوصف ليس له تحقق فى الخارج بل هو قائم بموصوفه . وعلى هذا فإذا ذكرت «شخصاً» محمداً مثلاً ثم أجريت عليه ما يستحقه من أوصاف فقلت : محمد الفقيه اللغوى الناقد الزاهد الكريم .. أن كان شخص اسمه محمد كائناً فى الواقع كذلك . فإن معك فى هذه العبارة ذات واحدة هى «محمد» وخمسة أوصاف هى ما ذكرت .

وهذا لا يعنى وليس من معانيه التعدد فى الذات . بل هى ذات واحدة موصوفة بعدة أوصاف هى وموصوفها «شئ واحد» .

أما النصارى فيقولون : «باسم الآب ، والابن ، والروح القدس» فيوسطون حرف العطف «الواو» بين الآب والابن ، وبين الابن والروح والعطف بالواو - كما هو معلوم لصبية المكاتب - فضلاً عن العلماء والباحثين يقتضى المغايرة . أى مغايرة المعطوف للمعطوف عليه . فإذا قلت جاء الكاتب والشاعر والقصاص . كان معنى هذه العبارة أن الجائى ثلاثة هم كاتب وقصاص وشاعر .

أما إذا قلت جاء الكاتب الشاعر القصاص . فيكون الجائى واحداً موصوفاً بهذه الأوصاف الثلاثة . والسرف فى هذه التفرقة بين المعنيين هو وجود حرف العطف «الواو» كما علمت .

ومن هذا يتبين لك أن العبارة المسيحية : «باسم الآب ، والابن ، والروح القدس» تفيد أن المسمى به ثلاثة «شخص» آب + ابن + روح لأن عبارتهم من باب «عطف الذوات» وليست من باب «عطف الصفات» فهم إذن «مثلثون» وإن ادعوا التوحيد . والتفسير الواقعى عندهم لهذه العبارة تفيد ذلك بوضوح . فالله الآب شخص مستقل لأنه وجد قبل الابن ضرورة . والابن شخص مستقل . أما الروح القدس فهى شخص مستقل كذلك والدليل أنهم يعتقدون أن عيسى بعد قتله وصلبه على زعمهم . وهب تلاميذه الروح القدس فهى فيهم إلى الأبد ، وإلا فمن يصدق أن أبا الولد هو الولد نفسه ، والولد هو الآب .

إن كتاب الاستحالة يحمل غلافه اسم : وهيب عزيز خليل . فهل يصدق أحد إذا قال : أن وهيباً وعزيزاً شئ واحد . فعزيز هو وهيب لأنه ابنه وهيب هو عزيز لأنه أبوه . هل يصدق العقل هذه الدعوى . دعوى الاتحاد الكمى والكيفى بين الأبوة والبنوة ، والبنوة والأبوة . ورحم الله المعرى حين قال :

هذا كلام له خبيء معناه ليست لنا عقول

لا . بل لنا عقول . ومع العقول نقول نفرق بهما بين الحق والباطل أما مسألة التوكيد الذى يثيرها مخرجو الكتاب . فمن الذى قال لهم أننا نريد من الرحمن الرحيم التوكيد .؟! لا .. أبدا .. نحن لا نريد منهما توكيدا يا سيادة «المخرج» ولكننا نبدأ أعمالنا وعباداتنا باسم الله والله وحده . ورغبة فى نجاح مقاصدنا وقبول عباداتنا نشنى على «الله» الأحد فنقول : الرحمن الرحيم . وهما نعتان أو وصفان لله ، والله هو الاسم الأعظم أما الثمانية والتسعون اسما الأخرى فهى فى الواقع «صفات» وليست أسماء . فليس لله فى الحقيقة غير اسم واحد هو «الله» وسميت صفاته الثمانية والتسعون «أسماء» من باب المجاز لأن الاسم من خصائصه الثبوت والدوام ، والصفة من خصائصها المفارقة ، ولما كانت صفات الله لها من ثبوت مواهبها وآثارها ما للأسماء ، سميت أسماء لهذا المعنى ، ولهذا يفصل بينها وبين الاسم الحقيقى بأنه الاسم الأعظم وهو «الله» والدليل على ما تقول أن كل أسماء الله بعد الاسم الأعظم «الله» كلها مشتقة مثل : القوى العزيز الوهاب الكريم . والمشتقات صفات فى الأصل .

فنحن يا سيد لا نريد من الرحمن الرحيم التوكيد بل نريد التبرك والتيمن وهما وصفان لله من ثمانية وتسعين وصفا . والدليل أيضا أننا نقول فى إعراب هذه العبارة : الرحمن نعت أو صفة ، والرحيم نعت أو صفة لله كذلك . ولو كنا نريد التوكيد أو التعدد فى الذوات يا سيد لأعربنا كلا من الرحمن والرحيم بدلا . فلا تزج بنفسك فى لجة لم تحسن السباحة فيها .

نحن لا نريد التوكيد ، ومع هذا فنحن بعيديون كل البعد عن «مثلثكم» بأضلاعه المختلفة . أما لماذا لم نقل : بسم الله الرحمن . فنكتفى بالثنى . أو لماذا لم نقل : «باسم الله الرحمن الرحيم العليم الرؤوف ..» كما تقول أنت . فتعال نقل لك : أننا نقول : باسم الرحمن .. ونقول باسم الله الرحمن الرحيم العليم الحكيم الخبير الأول ، والآخر الظاهر ، الباطن .. إلى نهاية الشوط . نقول ما نقول ومع هذا فنحن موحدون يا سادة وليست بيننا وبينكم صلة فى «مثلثكم» فاجتنبونا واعتقدوا ما شئتم وإياكم والتمسح فينا . كونوا شجعانا واستقلوا برأيكم والله وحده يفصل بيننا وبينكم . ولكى تطمئن أكثر من أننا لا نقف عند الاثنتين فى الشناء على ربنا الواحد الأحد فاقرأ معى هذه الآية :

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ
الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وأرجوك أن تعد الصفات التي نثني بها
على الله الواحد - كما علمنا هو في كتابه - إذا عدتها فستجدها ثمانية والموصوف
بها واحد لا شريك له. فهل نحن أذن «مثنون» يا قوم اتقوا الله فينا وفيكم. فقد قبح
الله اللجاج.

أما حكاية حبات السبحة، فهي لطيفة جداً، ومسلية جداً. لكنها فارغة من كل
مضمون.

لأن المسلم - يا سادة - يقول وهو يسبح ربه سواء كانت معه سبحة أو لم
تكن، يقول :

سبحان الله ثلاثا وثلاثين مرة .

والحمد لله ثلاثا وثلاثين مرة كذلك .

والله أكبر ثلاثا وثلاثين مرة أيضاً .

فهو يسبح «الله» ويحمد «الله» ويكبر «الله» ثم يقول في النهاية لا إله إلا الله
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. يبدأ موحداً، وينتهي
موحداً، ويموت موحداً، ويبعث موحداً لم يعرف في حياته قط أن يقسم ثروة
«التسبيح» بين آب وابن وروح أنه لا يعرف إلا الله الواحد الذي ليس كمثلته شيء المنزه
عن الصاحبة والولد !؟

أما الفصل الثاني من «كوميديا المسرح الهوائي الاستحالي الحديث» فهو
وإن كان أقصر عرضاً من الفصل الأول. فإنه عسر الهضم جداً. وقد صورته المخرج
فيما يأتي :

«عندما يقسم الشخص المسلم فيما يقسم؟ أنه يقول : والله العظيم ثلاثة لماذا
لم يقل والله العظيم والله العظيم ويكتفى، أى والله العظيم اثنين بدلا من «ثلاثة» والله
العظيم أربعة و خمسة . وإذا كان المقصود هو التوكيد فإن الأفضل في هذه الحال أن
نردد بدلا من ثلاثة القول بأعداد أكثر كثيرا لضمان التوكيد . ولكن المعنى الصحيح
في القول : والله العظيم ثلاثة هو :

«والله للآب» و «والله للابن» و «والله للروح القدس» لذلك قيلت : والله العظيم
ثلاثة . أى والله لله ، و ، والله للرحمن ، و ، والله للرحيم كتاب الاستحالة ص ٢٢٢ .

انتهى النص المسرحى الهوائى الاستحالى الحديث ..!؟

وبادىء ذى بدء ألفت نظر القارىء إلى الخطوط التى وضعناها تحت كلمات العدد كلها : ثلاثة، واثنين، وأربعة، وخمسة. وقد سبق أن اصطللنا على أن هذه الخطوط ترمز إلى خطأ لغوى أو نحوى، وهو كذلك هنا. والمطلوب الآن أن نتعرف وجه الخطأ ثم وجه الصواب الذى ينبغى أن يكون، وهذا التصحيح مهم جدا هنا. والحق يظهر من معنى ومن كلمة كما يقولون.

السيد المخرج أو السادة المخرجون الذين أخرجوا هذا العمل قالوا فى النص السابق «والله العظيم ثلاثة» وصحة العبارة «والله العظيم ثلاثا» والفرق بين خطئهم وصوابنا أن المعدود فى الجملة مؤنث هو «مرة» واحدة المرات، وما دام المعدود مؤنثا فيجب تذكير العدد معه، أى يحذف تاء التانيث فيقال : «ثلاث» ولا يقال ثلاثة. لأن تانيث لفظ العدد هكذا «ثلاثة» يقتضى أن المعدود مذكر. ومعنى هذا فإن المسلم وهو يقول : «والله العظيم ثلاثا» إنما يريد الإشارة إلى عدد المرات التى يقسم فيها. فكلمة «ثلاثا» عنده عوض عن : «والله العظيم، والله العظيم، والله العظيم» وليس المراد للمسلم - بدهاءة - أن يشير إلى عدد من يقسم به لأنه هو واحد لا شريك له. وذلك التعدد بالنسبة للمسلم لا يقع إلا فى وهم مريض !؟

هذه واحدة. أما الثانية، فنقول فيها للسادة المخرجين أن المسلم ليس بلازم عنده أن يقول «والله العظيم ثلاثا» بل كثيرا ما يقول : والله العظيم فلا يثنى ولا يجمع، وأن ثنى أو جمع ثلاثا أو أربعا أو خمسا أو حتى ستا^(١) فليس فى عقيدته آب، ولا ابن، ولا روح قدس. وإنما يعنى الله الواحد الأحد الفرد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. فعلام هذا «التمسح» إذا عجزتم أن تقنعوا شبابكم بما تروجون فلا تتوقعوا أنه سوف يقتنع بما تقولون عندما «تلصقونه» بالإسلام وهو منه براء. فالإسلام قادر على أن ينفى عن نفسه الخبث كما تنفى النار خبث الحديد ..؟

اعتمدوا على مصادركم فيما تعتقدون. فالعقائد لا تستعار ولا ترقع. فهل رأيتمونا نؤيد رأيا عندنا، أو نقوى عقيدة بما ليس فى مصادرنا الموثوق بها. أن الإسلام يعترف لكل مخالف فيه بحرية الاعتقاد، وحرية العبادة، ولكنه لا يسمح ولن يسمح أن

(١) تصل صور القسم فى الإسلام إلى «خمسین مرة» وهذا ما يسمى فى الفقه الإسلامى بالقسمامة فى بعض صور القتل. فهل يصبح الآباء والأبناء وأرواح القدس المقسم بها خمسین فتكون النتيجة خمسین إلآها؟

يستدل بحق فيه على باطل فى سواه. ما جاء هو إلا للتحذير منه وبيان سوء المعبة فيه..!؟

وننتقل للفصل الثالث من نفس المسرحية. وعنوانه زواج وطلاق..!؟
يقول المخرج :

« الزواج والطلاق فى الإسلام يتم باسم الله الرحمن الرحيم، ومعلوم أن الطلاق فى الإسلام يتم بالثلاثة .. لماذا يتم بالثلاثة . لماذا لا يكون أكثر أو أقل من ثلاثة. أن ذلك يرجع إلى أن زواجنا المسيحى يتم باسم الآب والابن والروح القدس. وأن ذلك نقل إلى الإسلام مع بعض التعديلات» ص ٢٢٣ .

وهنا يقول المخرج أى كلام، أى شىء وله العذر فقد أجهد نفسه فى الفصلين الأول والثانى، فأصابه اعياء شديد من فرط اخلاصه فى الأداء. وكلامه هنا ينبىء عن تلك الحالة السيئة التي وصل إليها. وقدما قالوا: ما فيك يظهر على فيك ولا غرابة فالكوميديا - عموما - غايتها الاضحاك ووسيلتها الهذيان ..!؟

الزواج والطلاق فى الإسلام يتم باسم الله الرحمن الرحيم!؟ من أين له هذا الكلام؟! أتنبئنا بما لا نعلم من شريعتنا؟! رحم الله مالكا والشافعى وأبا حنيفة وابن حنبل فقد ترأسوا مراكز الفتيا ورادوا ميادين الاجتهاد وخرجوا من الدنيا وهم لا يعلمون هذا العلم الغزير. قل باسم الله الرحمن الرحيم تصبح زوجا، ثم قل باسم الله الرحمن الرحيم تفقد زوجا. فلا إيجاب ولا قبول، ربما ولا مهر ولا شهود ثلث تزوج، ثم ثلث فتطلق..!؟

وهذا التثليث انتقل من المسيحية إلى الإسلام مع بعض التعديلات!؟ بم نسمى هذا الكلام؟ نسميه هذيانا، أو هراء، كل هذا كثير عليه. فليبق هكذا بلا اسم. والليالى من الزمان حبالى // مثقلات يلدن كل عجيب ..!؟ ومتى انتقل يا سيادة المخرج؟ وبأى وسيلة نقل كان. الخفيف أم الثقيل أم هو نقل «هوائى» استحالى؟ ومن منا دفع تكاليف النقل؟ نحن؟ لأ ثم لا. أتدرى لماذا. لأنه لم يصل شىء إلينا، ولن يصل. وأن وصل طردناه شرطردة. وهانت قد جربت. ندفع عن حقنا كل باطل. ولا نتمسح فى ركاب أحد عقيدتنا حياتنا، وحياتنا عقدتنا، بيضاء نقية ليها كنهارها. خالصة من أوضار الشرك، نقية من رجس الشيطان. دليلها فيها. وبرهانها منها. والله حاميتها والحق راعيها.

ثم تعالى معى - أخى القارىء - إلى الفصل الرابع وهو عبارة عن مقارنة بين ما يسمى بالعمودية فى المسيحية، وبين الوضوء فى الإسلام، وبقدرة غير قادر أصبح الوضوء «تعميد المسلم» استغفر الله - لأنه - أى الوضوء - مأخوذ عن العمودية . ولكن - كما يقول المخرج - مع بعض التعديلات (؟!) ومما يقوى هذا «التمسح» أن الوضوء يتم باسم الله الرحمن الرحيم . . وقد علمت عزيزى القارىء أن المخرج يابى إلا أن يتخذ من الله الرحمن الرحيم رمزا لخرافة التثليث عندهم . فإذا كان هذا هو دليلهم على تلك الخرافة فإن حالهم ومثلهم حال من يستضىء بمصباح جار لا سلطان له عليه فكيف يصنع إذا أطفأ جاره مصباحه، أو أحكم غلق النافذة المطلة عليه، ثم تركه يهيم فى ظلماته وظلامه !؟!

وها نحن أولاء قد بينا مرات أن ما نقوله نحن من الثناء على الله الرحمن الرحيم ليس بنافعهم شيئاً . لأن الفرق بين ما نقوله نحن ونعتقده وبين ما يقولونه هم ويعتقدونه فرق ما بين النهار والليل، والنور والظلمات فلا صلة البتة بين الله الرحمن الرحيم، وبين آبهم وابنه وروحهم القدس ولا صلة البتة بين طهارتنا فى وضوئنا وبين معموديتهم وغطساتهم، فقليلاً من «الانضباط» يا سادة، وخذوا ما عندكم أودعوه . ودعوا ما لله لله .

أما الفصل الخامس والأخير من كوميدى المسرح الهوائى الاستحالى الحديث فقد جمع إلى غرابة التصور شناعة الجهل باللغة وأعرابها واستولدوا فيه نهاية فصولها كلها على ذينك الأساسين: غرابة التصور، وشناعة الجهل .

وننقل للقارىء ما قالوه حرفياً فى هذا الفصل الخاتم:

«يقال فى الإسلام صلى الله ...»^(١) وعندما تعرب كلمة صلى الله باللغة العربية نجدها فعل متعدى . لا بد أن يكون له مفعول به، وعندما تعرب كلمة الله نجدها فاعل ... وكما قلنا لا بد أن يكون للفعل صلى مفعول به . لأنه فعل متعدى . فالى من يصلى الله . أن الشخص يصلى دائماً إلى الأعلى . إلى الأقوى ليأخذ منه قوة . الله عندما يصلى فلن يصلى . هل هناك أحد أقوى من الله . حاشا . فلن أذن يصلى الله ... أن هذا واضح أشد الوضوح فى الثالوث المقدس (؟!) فعندما صلى السيد المسيح له المجد كان هو المصلى . وكانت الصلاة موجهة إلى الآب «المصلى إليه» وكانت

(١) يقصد «صلى الله» !؟

الصلاة هي الروح القدس نفسه الذي يصل بين الابن والآب . أى أن الله الآب « مصلى إليه » الله الابن « مصلى » الله الروح القدس « الصلاة نفسها » ص ٢٣٤ .
والآن لا أملك إلا أن أقول :

« اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا . ولغيرك لا تكلنا يا أرحم الراحمين » .
أن الدعاء برفع البلاء هنا واجب .. واجب، واجب، واجب .. واجب .
لأن هذا القول الشنيع « تكاد السموات يتفطرن منه، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هدا » .

أما غرابة التصور، وشناعة الجهل باللغة وإعرابها فإليك بيانها فى إيجاز :
يقول مخرجو كتاب الاستحالة أن الفعل « صلى » فعل متعد، وهذا جهل فاضح فى اللغة التى يكتبون بها . فهذا الفعل فعل « لازم » يكتفى بمرفوعه فلا يحتاج إلى مفعول به كما يقولون، ومن حق الفعل اللازم أن يخرج عن لزومه ولكن بواسطة حرف الجر فيقال مثلا فى الفعل « وقف » وهو لازم « موقوف عليه » إذا أردنا تعديده إلى مفعول . ومن المؤسف حقا أن مخرجى كتاب الاستحالة حين أرادوا التوصل إلى مفعول الفعل « صلى » قالوا: « مصلى إليه » وهذا يدل على أن الفعل « صلى » لازم ولكنهم حتى مع هذا لم يتنبهوا إلى حقيقة الفعل، وهذا يؤكد ما قلناه من جهل اللغة لدى مخرجى الكتاب . وسبب ذلك الجهل معروف هو الزهد فى اللغة العربية عندهم، لأنها ترتبط تاريخيا بما يرفضه المخرجون وهو الإسلام .

ولا غرابة فى ذلك فالذى يجعل الواحد ثلاثة من اليسير عنده أن يصبح المتعدى لازما واللازم متعديا .

هذا من حيث شناعة الجهل باللغة وإعرابها وما كان أغناهم عن هذا الخلط لولا التمسح والانتقياذ وراء الأوهام، وتصيد ما حسبوه سندا وما هو بسند !؟
أما غرابة التصور فتراه فى هذه الافتراضات :

المصلى له : الله الآب .. !؟

المصلى : الله الابن .. !؟

الصلاة : الله الروح القدس .. !؟

ثلاثة للهات !؟ أى والله الواحد الأحد الذى لا شريك له خالق كل شىء واحد مصلى، وواحد مصلى إليه، وواحد هو الصلاة نفسها !؟ أى عقل يعير هذا الهراء اهتماما .. !؟

ومما يزيد هذا التصور الغريب غرابة أن هناك قطيعة بين الله الآب، والله الابن، ولهذا فإن الله الروح القدس «الرجل الطيب المصلح» يقوم يوصل الله الابن بالله الآب؟! أى والله الواحد الأحد هكذا قالوا. وإليك قولهم بالحرف الواحد :

« وكلمة يصلى معناها يتصل فيمن يتصل الله. أن هذا واضح أشد الوضوح في الثالث المقدس. فعندما صلى السيد المسيح له المجد كان هو المصلى، وكانت الصلاة موجهة إلى الله الآب المصلى إليه، وكانت الصلاة هي الروح القدس نفسه الذى يصل بين الابن والآب ... » كتاب الاستحالة (ص ٢٢٣).

تأكدت أختى القارىء أن هناك قطيعة بين الله الابن، والله الآب مهمة الله الروح القدس (رقم ثلاثة) أن يصلح بين الابن وأبيه. نحن لم نقل هذا عليهم، ولكنهم هم - أعنى مخرجى كتاب الاستحالة - الذين قالوه عن أنفسهم .. فهل هذا كلام تنبى عليه عقيدة تقنع أحدا مهما كان نصيبه من الرعى والإدراك.

وأعود فأذكرك بأمر خطير جدا، وهو أن كاتبهم القدير، كما يسمونه - الأستاذ يسى منصور، سبق أن نقلنا عنه فى غير هذا الموضوع أن هؤلاء الثلاثة الآب والابن والروح القدس متساوون فى السلطان ..؟! هذا نقلناه عنه هناك. وتعليقا عليه نقول :

صدقناكم - جدلا - أن هؤلاء الثلاثة متساوون فى السلطان. فلماذا أذن يصلى الله الابن لله الآب. أليس فى هذا نقض لقضية التساوى التى تؤمنون بها. أليس هذا ظلما من الله الآب لله الابن حيث يستعبده بالصلاة وهو مساو له فى السلطان!؟

والله الروح القدس، ألم تقولوا أنه ذات لها كيان مستقل وأن كانت غير منفصلة عن الجوهر الإلهى. فكيف تصبح الذات صلاة والصلاة معنى من المعانى أو هى الأصح عبادة فيها دعاء وترتيل.

ثم ألم تقولوا أن الروح القدس هى السيد المسيح عند ردمكم على من قال أن الروح القدس هى رسول الإسلام.

أو كم تقولوا أن الروح القدس هى « المعزى » الذى وعد به السيد المسيح تلاميذه بعد صلبه وقتله - كما تزعمون - فانظروا كم تفسير فسرتم به الروح القدس ونحن نعرض عليكم حصيلته نقلًا عما وعيناه مما كتبتم وقلتم « وإليكم البيان :

(أ) الروح القدس هو الله الأزلى خالق كل شىء وقادر على كل شىء ..

(ب) الروح القدس هو السيد المسيح ..

(ج) الروح القدس هو المعزى الذى وعد به السيد المسيح ..

(د) الروح القدس هو الصلاة التى تصل بين الآب والابن ..

فمن من هؤلاء هو الروح القدس يا سادة . فهذه أربع تفسيرات له : واحد للأستاذ يسي منصور فى كتابه « التثليث والتوحيد » وثلاثة لكم فى كتابكم الاستحالة . ومن يدرى فلعل هناك تفسيرات أخرى لم نطلع عليها . أو اطلعنا ونسيناها . أن هذا الكلام الذى تقولونه إن دل على شىء فإنه يدل على أنه ليس وراءه شىء ؟! وددنا أن نفهم ولكن .!؟..

* * *

أباطيل المقارنات

أشرنا من قبل إلى أن مخرجى كتاب الاستحالة لجأوا أحيانا إلى جدولة أفكارهم التى يدينون بها رسول الإسلام تارة، ويدينون بها الإسلام تارات أخرى أو قل : يتهمون فيها رسول الإسلام والإسلام نفسه من خلال أوهام اصطنعوها واستولدوها من النصوص القرآنية، وما كتبوه فى أناجيلهم . وحينا آخر لا يسعفهم النص القرآنى فيلجأون إلى إثبات أقوال مقتضبة لبعض المفسرين وكان هدفهم المسيطر على كل ما سطره هو « تعرية رسول الإسلام ﷺ من كل فضل، هذا إذا كانت الموازنة بين رسول الإسلام، وبين عيسى عليهما صلوات الله وسلامه . مع إجلال عيسى (عليه السلام) واضفاء ما ليس هو له عليه !؟

أما إذا كانت الموازنة بين القرآن والإنجيل أو التوراة فالنجس والادانة والتعرية من نصيب القرآن (!) والفضل والجلال من نصيب التوراة والإنجيل طبعاً (!) .
وإذا كانت الموازنة بين الإسلام والمسيحية فالويل كل الويل للإسلام، والحق كل الحق مع المسيحية طبعاً آخر (!) .

هذا هو سلوك مخرجى كتاب الاستحالة فى جدولة أفكارهم . وها نحن أولاء نعرض أمام القارئ نماذج من تلك الجداول كاشفين عما فيها من زيف وباطل كشفها لا زيف فيه ولا باطل .

وقبل أن نبدأ عملنا فى هذا الفرع أرجو من الأخ القارئ أن يستشعر هاتين الحقيقتين :

أولاهما : أننا حين نناقشهم فى شأن ما جاء فى هذه الجداول فإننا نقارن بين رسول الإسلام ﷺ وبين عيسى الذى يصورونه هم فى أناجيلهم لا عيسى الرسول النبى الذى يصوره القرآن، والفرق بين عيسى القرآن وعيسى الإنجيل كبير جدا!؟!

وثانيتها : وحين نقارن بين القرآن والإنجيل أو الإسلام والنصرانية فإنما نقضد الأناجيل التي بين أيديهم، ولأ نقصد الإنجيل الذي أوحاه الله إلى عيسى القرآن ولا النصرانية التي أقرها إنجيل عيسى القرآن، بل النصرانية التي عليها القوم الآن . وهذا احتراس تمليه علينا عقيدتنا التي تحترم كل رسول وكل وحى وكل ملة نزل بها وحى .
والآن نبدأ عملنا وبالله التوفيق .

نماذج من الجدول الأول :

تجد هذا الجدول على ص ١٢٥ من كتاب الاستحالة، قدموه بقولهم : « والجدول التالي يوضح أقوال العهد الجديد « الإنجيل » عن رب المجد يسوع المسيح، وأقوال القرآن عن رسول الإسلام، وهو يشغل ثلاث صفحات، كل صفحة شطروها شطرين من أعلى إلى أسفل . وجعلوا الشطر الأيمن خاص برسول الإسلام، والأيسر خاص بعيسى الإنجيل . ثم قسموا كل شطر إلى مستطيلات أو مربعات حسب طول النص وقصره . وكان أول نص من القرآن مع أول نص إنجيلي هكذا :

ما قاله القرآن عن رسول الإسلام : ما قاله الإنجيل عن المسيح :

(أنا والآب واحد) يوحنا

٣٠ / ١٠ والهدف من ذكر هذا الكلام

أن عيسى الإنجيل هو وآبوه واحد فليس

هو - إذن - من البشر ...

﴿ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾

[فصلت : ٦] والهدف من ذكر هذا

النص أن رسول الإسلام بشر فليست

له ميزة إذن عليهم

العمل والملاحظات :

النص الذي ذكره في جانب رسول الإسلام جزء من الآية المشار إليها وإليك

نصها كاملا :

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاستَقِيمُوا إِلَيْهِ

وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾ .

أما ما ذكره في جانب عيسى الإنجيل فيحمل رقم ٣٠ وهو آية كاملة من إنجيل

يوحناهم الاصحاح العاشر .

وأرجو القارئ أن يتلو الآية القرآنية تلاوة متأنية فاقهه . ثم يقرأ النص الإنجيلي .

فإنه سيجد هيبة الوحي وجلاله وصدقته في النص القرآني الحكيم . أما عبارة الإنجيل

فهى لا تخرج عن كلمة «معاملة ومحابة» نردها كثيرا حين يريد أحدنا أن يجامل صديقاله فيقول : أنا وأنت واحد، أو أنا وهو واحد . تبعا لحضور المخاطب أو غيبته . ليس كذلك !؟

هذه ملحوظة أولى : أما الملحوظة الثانية فإننا نسأل فيها مخرجى كتاب الاستحالة لماذا لم تذكروا النص القرآنى كاملا كما ذكرتم النص الإنجيلى كاملا !؟ فقد وضعتكم كل بضاعتكم فى كفة فلم تبخسون بضاعتنا ولا تضعونها كاملة فى كفتنا؟

أنا نسألكم ولا نريد جوابا لأنه معروف لنا، ولا بأس أن نذكره هنا لتعلموا أننا ندرك سبب هذا البخس، وهو أنكم لا ترضون أنه أن يكون – رسول الإسلام موحى إليه، ولا تحبون أن تسمعوا أن الله واحد، لأنه عندكم ثلاثة ولأن الآية تدعو بالويل على المشركين . هذا هو الجواب، ونحن نعذرکم فى حذف بقية الآية لأن قول الله فيها: ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ ﴾ بيدد فى ثوان قولكم «أنا والأب واحد» أليس كذلك يا أمناء الإنجيل .

ونموذج آخر :

ما قاله القرآن عن رسول الإسلام : ما قاله الإنجيل عن السيد المسيح :
(قال له يسوع اذهب يا شيطان متى ١٠ / ٤)
﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنَّةِ ﴾
يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا
أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ
مُنذِرِينَ ﴿ [الأحقاف : ٢٩] .

العمل : وردنا على هذه المقارنة موجز جدا . وخلصته من هو المتفوق فى هذه المقارنة محمد رسول الإسلام ﷺ . أم عيسى الإنجيل . رسول الإسلام أثر فى الشيطان تأثيراً عظيماً حيث جعله يستمع القرآن وينصت إليه ويؤمن به . ثم يذهب إلى قومه وينذرهم .

وعيسى الإنجيل قال للشيطان: اذهب يا شيطان . وهنا احتمالان، أحدهما أن يمثل الشيطان لكلام عيسى الإنجيل فيذهب، ولكن حين ذهابه فهو شيطان لم تتغير

طباعه . والاحتمال الثاني أن لا يمثل الشيطان لأمر عيسى ، وفي هذه أيضاً فهو شيطان . وهو على كل حال شيطان امتثل فذهب . أم لم يمثل فبقى ولم يذهب .
أما محمد عليه السلام فقد اهتدى به الجن وآمن وصاروا يدعون قومهم إلى الحق . ما رأيكم في هذا ؟! أليس حقا يا قوم .

النموذج الثالث :

ما قاله القرآن عن رسول الإسلام : ما قاله الإنجيل عن السيد المسيح :
«إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ»
[الزمر : ٣٠] .
«أنا حي فأنتم ستحيون»
(يوحنا ١٤/١٩) .

العمل : النص القرآني يقضى بأن كل حي سوف يموت نبيا كان أم غير نبى ، حيوانا أو طيرا ، مؤمنين وكافرين ، فلا ينجو من الموت أحد .
أما النص الإنجيلي فيحتمل معنيين ، أحدهما افتراضى تقديرى ، والثانى قريب منه وهما : أما أنه يعنى أن عيسى الإنجيل يعد أتباعه بأنهم لم يموتوا أبدا . وهذا هو الافتراضى التقديري بحسب مدول العبارة لفظا . والثانى أنهم سيحيون حياة هداية وتكريم .

وعلى كلا الأمرين فمخرجو كتاب الاستحالة مخطئون كل الخطأ فى هذه المقارنة لأنهم أن اختاروا المعنى الثانى وهو حياة الهداية والتكريم فلا تصح المقارنة لأن النص القرآنى فى واد ، والعبارة الإنجيلية فى واد آخر . والمعروف أن المقارنة تكون بين متماثلين . وهذا هو وجه تخطئتهم على هذا المعنى .. وأن أرادوا المعنى الثانى وهو أن أتباع عيسى الإنجيل لن يموتوا أبدا فإن جسامه خطئهم فيه تهتمز منها رواسى الجبال . لأننا نرى أتباع عيسى الإنجيل يموتون كما يموت أتباع محمد وموسى عليهما صلوات الله وسلامه ويموتون كما يموت كل الناس ولم نر نصرانيا واحدا منح الخلود فلم يمت . أن قانون محمد عليه السلام ، وهو « أنك ميت وأنهم ميتون » هو الذى يطبق عليهم وليس قانون عيسى الإنجيل الذى يقول : « أنا حي فأنتم ستحيون »!؟

إن الخاسر الوحيد فى هذه المقارنة ليس هو الإسلام ولا رسول الإسلام ولا المسلمين ولا القرآن . بل الخاسر الوحيد هو مخرجو كتاب الاستحالة ، وعيسى الإنجيل .. ولو أن مخرجى كتاب الاستحالة فكروا قليلا قبل عقدتهم هذه المقارنات لعرفوا عنها لأنها ضدهم وليست لهم .

نماذج من الجدول الرابع (١):

تمهيد : كلمة « الإنجيل » الآن لها دالتان: الأولى إسلامية وهى أن الإنجيل هو الكتاب الذى أوحى به الله إلى عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام. وهو فى جوهره لم يختلف عن الكتب السماوية من الدعوة إلى التوحيد وهداية البشر. والثانية نصرانية وهى تعنى الأناجيل الأربعة التى تنسب لمتى ومرقس ولوقا ويوحنا. وهى تصور السيد المسيح بصورة تختلف كل الاختلاف عن:

(أ) منهج الرسل والأنبياء فى الدعوة إلى الله.

(ب) ما يقرره القرآن عن عيسى عليه السلام.

والفرق كبير جدا بين الدلالة الإسلامية لكلمة، إنجيل، وبين الدلالة النصرانية المسيحية. فالمسلمون يؤمنون بأن الإنجيل كتاب موحى من الله. والنصارى يؤمنون بأنه ليس وحيا بل هو كلام عيسى نفسه، كما تقدم.

وعلى هذا فإن الإنجيل الموحى به لا وجود له الآن، وهذا ما يوسع دائرة الاختلاف بيننا وبين النصارى.

والمطلع على الأناجيل الأربعة يجد أن كتابها قد استفادوا كثيرا من الإنجيل المنزل على عيسى قبل ضياعه، فنقلوا عنه بعض الوقائع التى لا طريق إلى العلم بها إلا الوحي المنزل من عند الله. ثم أضافوا إليها عقائد وآراء وتوجيهات ليس لها أدنى صلة لا بالوحي المنزل، ولا بكلام رسول مرسل من عند الله.

وعلى هذا فإن التشابه بين القرآن، وبين بعض ما ورد فى كل من التوراة، والأناجيل الأربعة أمر « مسلم عندنا نحن المسلمين. إذ لا ضرر أن يتحدث القرآن عن أمور هى من بقايا الوحي فى كل من عهدى الكتاب المقدس، لأن مصدرها كلها فى الحقيقة هو الله. فالتوراة وحى، والإنجيل وحى. والقرآن وحى. وكلها فى الأصل كتب سماوية استهدفت هداية الناس إلى الحق.. وقد ترد واقعة بعينها فى كل من المصادر الثلاثة: التوراة والإنجيل والقرآن. وهذا هو ما يسميه مخرجو كتاب الاستحالة باقتباسات القرآن من التوراة والإنجيل. ونحن نقول لا. ليس الأمر اقتباسا، لأن المقتبس (بكسر الباء اسم فاعل) محتاج إلى « المقتبس منه » (بفتح الباء اسم مفعول).

(١) كل من الجدولين الثالث والرابع معقودان من أجل هدف واحد هو بيان اقتباسات القرآن من التوراة والإنجيل - على زعمهم - ومناقشة أحد الجدولين تغنى عن الآخر لأن الهدف من مناقشتنا لهم فيها إنما هى لبيان الزيف الذى توهموه من عقدها. وإنما اخترنا الجدول الرابع دون الثالث لأنه خاص بالإنجيل. وأهل الإنجيل هم الذين نحاورهم فى هذه المواجهة الموضوعية..

فالقُرآن لم يأخذ أو يقتبس من التوراة أو الإنجيل، وإنما هو تصوير أمين لحقائق الوحي التي تلقاها من مصدرها الحقيقي وهو الله . ولنضرب لهذه الفكرة مثلا هو الآتى :

(أ) هو رمز لمحيط ضخّم متدفق بالمياه الصافية العذبة .

(ب) فرع صغير استمد مياهه الجارية فيه من المحيط الضخم المرموز له (ب) (أ) .

(ج) فرع آخر استمد مياهه من (أ) .

(د) فرع ثالث أكثر عمقا وأكبر عرضا وأطول مجرى من الفرعين ب ، ج ،

استمد مياهه من نفس المصدر الضخم (أ) وظل محافظا على صفاء المياه الجارية فيه وعلى لونها وطعمها ورائحتها رغم طول مجراه وعظم عمقه . بينما تعفنت المياه فى كل من الفرعين ب ، ج . وترسبت فيها رواسب غيرت الطعم واللون والرائحة، فلم تعد صالحة للاستعمال .

هذا هو المثل فهل يقال أن (د) استمد ما فيه من ب ، أو ج . أو يقال أنه

استمد مياهه من (أ) المصدر الكلى للجميع؟ هل مجرد التشابه بين الفروع الثلاثة يسوغ لعاقل أن يقول أن (د) أخذ بعض مياهه من (ب) أو (ج) لأن فيها ماء شبيها بما فى (د) . وإذا ساغ لأحد أن يدعي هذا فهل يصدقه عاقل .

أن المصدر الرئيسى المرموز له ب (أ) هو « الوحي الإلهى » والفرع المرموز له ب

(ب) هو التوراة، والرموز له ب (ج) هو الإنجيل . أما الفرع العظيم المرموز له ب (د)

فهو القرآن . فالتوراة والإنجيل غيرتا من حقائق الوحي تغييرا أفقدنا الثقة فيهما معا .

وهذا ما نعينه بتلوث المياه الجارية فيهما . أما القرآن فقد حفظ حقائق الوحي حفظا تاماً فلم ينله تغيير ولا تبديل . وهذا ما نقصده بصفاء المياه الجارية فيه وعذوبتها، لأن مجرى هذه الأنهار جميعا قدر أن يكون (د) هو المسقى الخالد للناس خلودا لا يضر معه جفاف المياه فى غيره أو فساد طعمها . ما دام هو وافيا بحاجة الجميع .

فتعال معى أخى القارىء ننظر فى بعض ما توهموه هنا اقتباسا . وهأنت قد

علمت وجه الصواب فى هذه الأمور . فإليك البيان على الوجه الآتى :

الحقيقة المقارنة	مكانها فى الإنجيل	مكانها فى القرآن
بشارة زكريا بابنه يحيى	لوقا ١/٧ - ٢٢	آل عمران ٣٨ - ٤١ مريم ٢ - ١٥

والمطلوب منا الآن أن نحول رموز هذه البطاقة إلى نصوص حية وكلمات ناطقة
وها هي ذا :

• أولاً - نصوص الإنجيل :

لم يكن لهما ولد : إذ كانت اليصابات عاقرا، وكانا كلاهما متقدمين في
أيامهما . فبينما هو يكهن في نوبة غرفته أمام الله، حسب عادة الكهنوت أصابته
القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب وينجز، وكان كل جمهور الشعب يصلى خارجا
وقت البخور . فظهر له ملاك الرب واقفا عن يمين مذبح البخور، فلما رآه زكريا اضطرب
وقع عليه خوف . فقال له الملاك لا تخف يا زكريا، لأن طلبتك قد سمعت، وامراتك
اليصابات ستلد لك ابنا وتسميه يوحنا . ويكون لك فرح وابتهاج، وكثيرون
سيفخرون بولادته، لأنه يكون عظيما أمام الرب، وخمرا ومسكرا لا يشرب، ومن بطن
أمه يمتلىء من الروح القدس، ويرد كثيرين من بنى إسرائيل إلى الرب إلآهم . ويتقدم
أمامه بروح أيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء، والعصاة إلى فكر الأبرار لكي
يهيىء للرب شعبا مستعدا . فقال زكريا للملاك كيف أعلم هذا لأنى أنا شيخ وامراتى
متقدمة فى أيامها . فأجاب الملاك وقال له أنا جبرائيل الواقف قدام الله، وارسلت
لأكلمك؛ وأبشرك بهذا . وها أنت تكون صامتا ولا تقدر أن تتكلم إلى اليوم الذى
يكون فيه هذا، لأنك لم تصدق كلامى الذى سيتم فى وقته . وكان الشعب منتظرين
زكريا ومتعجبين من أبطائه فى الهيكل . فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم ففهموا أنه
قد رأى رؤيا فى الهيكل . فكان يومىء إليهم وبقى صامتا لوقا : ١ / ٧ - ٢٢ .

• ثانيا : نصوص القرآن :

﴿ إِذْ قَالَتْ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ
أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتَهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ
وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ *
فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا
الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّنِي لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ
مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ
سَمِيعُ الدُّعَاءِ * فَادَّاتُهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِحَبِئِ

مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ رَبِّ أَنْتَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ
 وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ * قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ
 آيَتِكَ الْأُ تَكَلِّمِ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَأَذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿١﴾
 [آل عمران : ٣٥ - ٤١] (١).

والنصوص القرآنية الآتية من سورة مريم :

﴿ كَهَيْعَتِ * ذَكَرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ
 إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ
 الْمَوَالِي مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ
 يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا * يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ
 سَمِيًّا * قَالَ رَبِّ أَنْتَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا *
 قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا * قَالَ رَبِّ اجْعَلْ
 لِي آيَةً قَالَ آيَتِكَ الْأُ تَكَلِّمِ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ
 فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا * يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا *
 وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا * وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ
 وُلْدٍ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُعْثَرُ حَيًّا ﴾ [مريم : ١ - ١٥] .

هذه هي النصوص التي أشار إليها مخرجو كتاب الاستحالة في هذه المقارنة وها
 نحن قد نقلناها من مصادرها نقلًا وافيًا. وها هي ذى النصوص بين يدي القارئ
 فليقرأ النصوص الإنجيلية مرات، وليقرأ النصوص القرآنية مرات، ولا ينسى أن القضية
 هنا هي ادعاء مخرجي كتاب الاستحالة اقتباس القرآن هذه الواقعة من أناجيلهم.
 وليحاول القارئ في وعى تام المقارنة الدقيقة بين النصوص التي ادعوا أنها مقتبس
 منها، وبين النصوص التي ادعوا أنها اقتبست مع ملاحظة أن عهد الأناجيل أسبق زمنًا

(١) ألفت نظر القارئ - هنا - إلى أن مخرجي كتاب الاستحالة قد أهملوا من النص
 القرآني ثلاث آيات هي ٣٥، ٣٦، ٣٧، ونحن ذكرناها كما ترى وستعلم سبب الحذف قريبًا.

من القرآن إليها . وهذه القرابة تقتضى أن النصوص الإنجيلية قد صورت الواقعة المقصودة تصويرا كاملا بحيث تسد كل المنافذ أمام القرآن فلا يأتى بجديد لم تذكره هي . والواقع يخالف ذلك كله .

فالقرآن مع أنه لاحق فى النزول وليس سابقا قد قام بمهمتين جليلتين بالنسبة للنصوص الإنجيلية وهما :

(أ) تصوير الواقعة المقصودة تصويرا كاملا .

(ب) تصحيح أخطاء وقعت فى النصوص الإنجيلية .

هذا بالإضافة إلى دقائق نلاحظها فى النصوص القرآنية ، لا وجود لها فى النصوص الإنجيلية . وإليك البيان ومن الله وحده نستمد التوفيق والالهام .
ففى جانب المهمة الجليلة الأولى ذكر القرآن ما يأتى :

(أ) نذر امرأة عمران ما فى بطنها محررا لله . وهذا لم يأت فى النص الإنجيلي .

(ب) وضعتها أنثى وكانت ترجوه ذكرا ودعاؤها ربها بحفظ مولودتها وذريتها وهذا أيضا غير وارد فى النص الإنجيلي .

(ج) كفالة المولودة زكريا عليه السلام ووجود الرزق عندها وسؤال زكريا عن مصدر هذا الرزق وجوابها على هذا السؤال . وهذا لا وجود له فى النص الإنجيلي .

(د) الربط بين قصة الدعاء بمولود لـ زكريا وبين قصة مولودة امرأة عمران . وهذا مفقود فى النص الإنجيلي .

(هـ) دعاء زكريا نفسه منصوص عليه فى القرآن نصا صريحا . أما النص الإنجيلي فأشار إليه من خلال كلام « الملاك » وهو « لأن طلبتك قد سمعت » ولا شىء أكثر من هذا .

هذا بالنسبة إلى نص آل عمران . أما نص سورة مريم ففيها الإضافات الآتية :

(أ) ما رتبته زكريا عليه السلام من هبة الله له وليا . وهو وراثته ووراثته آل يعقوب .

(ب) السبب الذى حمل زكريا على أن يدعو ربه بهبته الولي ، وهو خوفه الموالى من بعده .

(ج) كون زكريا أوحى إلى قومه بتسبيح الله بعد خروجه من المحراب .

(د) الثناء على المولود « يحيى » من كونه بارا بوالديه عطوفا مسلما عليه من الله حين ولادته ويوم موته ويوم يبعث حيا . إلخ .

(هـ) الأمر يأخذ يحيى الكتاب وكونه « حاكما » فى صباه . وكل هذه الأمور مفصلة فى النصوص القرآنية بينما خلا منها النص الإنجيلي ؟

(و) تحديد مدة الصمت بثلاثة أيام فى آل عمران وثلاث ليال فى مريم ولم يرد ذلك فى الإنجيل .

أما المهمة الثانية الجليلة . وهى تصحيح الوقائع وعرضها عرضا أميناً فى القرآن فحسبك أن تعرف :

أولاً : جعل النص الإنجيلي الصمت الذى قام بزكريا بعد خروجه من المحراب عقوبة من الملاك . فصحح القرآن هذه الواقعة وجعلها استجابة لدعاء زكريا عليه السلام :

﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ [آل عمران : ٤١] .

﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ [مريم : ١٠] .

ونحن لا ننكر أن بعض مفسرى القرآن الكريم قد ذهب إلى القول بأن صمت زكريا كان عقوبة له ، ولكن من الله لا من « الملاك » ولكن الحقيقة التى نحب أن يعيها الجميع أن النص القرآنى نفسه خلا من هذا الجعل . بل أن سياق الكلام فيه يدل دلالة قوية على أن ذلك الصمت كان تكريماً لزكريا باستجابة دعوته . بينما النص الإنجيلي نفسه يشتمل على هذا الجعل بوضوح وليس هو وارداً فى كلام مفسريه وأذن لهان الخطب ولكي يطمئن مخرجو كتاب الاستحالة أننا لا نرفض القول بجعل الصمت عقوبة ، لأنه ورد فى إنجيلهم ، فإننا نقول لهم : إننا نرفضه أيضاً فى مصادر إسلامية ولعلماء مسلمين لأننا نرفض الباطل ومشتقاته مهما كان القائل به مسلماً أم غير مسلم . وكفانا اقتناعاً أن نصوص القرآن خلت منه ولا عبرة بقول تعارضه طبيعة النصوص فى منطوقها ومفهومها . وهذا هو ما نريد اثباته هنا ، لأن المقارنة منصبة على نصوص إنجيلية ، ونصوص قرآنية ، ولا عبرة بغيرها أبداً .

ووفاء لأمانة العلم نقول أن جمهور مفسرى القرآن رفضوا أن يكون الصمت عقوبة لزكريا عليه السلام ، لأنه لم يخطئ فكيف يعاقب وهو برىء ، ولسانه يلهج بشكر ربه وتسيبته .

ثانياً : النصوص الإنجيلية تجعل البشارة على لسان ملاك واحد . بينما القرآن الحكيم يسند تلك البشارة إلى جنس الملائكة ، أى أن جمعا منهم قد ناداه وبشره ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ... ﴾ [آل عمران : ٣٩] .

﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٧].
ففى آل عمران كانت كلمة ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ وفى مريم ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا

نُبَشِّرُكَ ﴾ بضمير الجمع. وبعيدا جدا أن يكون المنادى ملكا واحدا. ويقول القرآن ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ فالوحدة هنا لم تقل بها حقيقة ولا يتحملها مجاز وعلى هذا فإن النص القرآنى قد صحح واقعة أخطأ فى عرضها الإنجيل. ولهذا دلالة التى لا تخفى على ذى نظر وتأمل .

ثالثا: النصوص الإنجيلية تفيد أن « التسمية » يوحنا^(١) « هى من اختيار زكريا وكل ما فى الأمر أن الملاك تنبأ بها ». بينما النص القرآنى يقرر أن التسمية هى من اختيار « الله » بدليل أن القرآن عبر عن الفكرة بالجملة الإسمية « اسمه يحيى » وهى من معانيها الشبوت. بينما عبر الإنجيل بالجملة الفعلية « تسمية يوحنا » ومن معانيها الحدوث والتجدد.

ويؤكد المعنى الذى يفهم من النص القرآنى خاتمة الآية نفسها ﴿ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ .

وهذا تصحيح ثالث قامت به النصوص القرآنية للوقائع التى وردت فى الإنجيل .
رابعا: أن النصوص الإنجيلية تقرر أن زكريا عليه السلام حين جاءه الملاك « اضطرب ووقع عليه خوف » وخلا النص القرآنى من تسجيل هذه الواقعة. فدل خلوها منها على أنها لم تقع .

وليس هذا تعصبا منا لنصرة النص القرآنى على النص الإنجيلى ، وإنما تسجيل لما نراه حقا. ودليلنا على ذلك :

أن القرآن الحكيم عودنا فى قصه للوقائع المناظرة لهذه الواقعة أن يقصها إذا وقعت ولا يهملها بدليل أنه حكاها عن موسى عليه السلام فى واقعة السحرة فقال : ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾ [طه : ٦٧] وقال فى حقه أيضا : ﴿ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ [القصص : ٣١] .

وحكاها عن إبراهيم عليه السلام حين جاءته الملائكة تبشره بغلام حلیم فقال سبحانه : ﴿ وَنَبَّأَهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴾ [الحجر : ٥١ - ٥٢] .

(١) المقابل لـ « يحيى فى القرآن » .

وحكاها عن مريم حين دخل عليها الملك في صورة بشر فقال: ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ
بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾ [مريم : ١٨] .

والمنهج القرآني في حرصه على النص على هذه المواقف المناظرة لما حكاها الإنجيل
عن زكريا يدل بخلوه من النص عليها أنها لم تحدث. إذ لو حدثت لذكرها كما هو
متبع في منهجه. هذا دليلنا. وما أظن أحدا ينكره علينا. وعلى هذا فإن سكوت
القرآن عن ذكر ما نسبه الإنجيل إلى زكريا من خوف واضطراب يعتبر تصحيحا لتلك
الواقعة، وأنها لم تحدث. وهذا هو التصحيح الرابع للنصوص الإنجيلية تقوم بها نصوص
القرآن الإلحاق للإنجيل في الترتيب النزولي !!

واخال قارئنا الكريم ينتظر منا الآن أن نذكر له دقائق التعبير القرآني والتي خلا
منها النص الإنجيلي. وما نحن أولاء نلبي ذلك الرجاء بقليل من كثير.
● دقائق النص القرآني :

في سورة مريم جاء تحديد مدة الصمت عن الكلام بانها ثلاث ليال سويا . فإذا
وضعنا في الاعتبار سبق سورة مريم لسورة آل عمران في النزول، لأن الأولى مكية
وآل عمران مدنية كان معنى هذا أن الصمت الذي أجيب به دعاء زكريا كان خاصا
بالليالي الثلاث دون نهاراتها.

وفي سورة آل عمران المدنية جاء تحديد مدة الصمت بثلاثة أيام. ولليوم
دالتان: أحدهما اختصاصه بالنهار دون الليل. وأخرهما شموله لليلة والنهار اللاحق
بها وعلى هذا فإن التحديد الذي جاء في آل عمران قد أوضح أن الصمت كان شاملا
ليليل والنهار سواء فهمنا من النص دلالاته الأولى فيكون مكملا لما بدأت به سورة مريم:
ليال هناك + نهارات هنا. أو فهمنا من النص دلالاته الثانية وعلى هذا يكون التحديد
في آل عمران مؤكدا ومكملا لدلالاته على الليالي ونهاراتها الثلاثة ومجىء الليل
في مريم لأن الليل أسبق من النهار وجودا. وعلى كل فإن هذه الواقعة استكملت في
آل عمران وهذا هو شأن القصة في بنائها وتكوينها.

* وصف الهيئة التي كان عليها زكريا حين نادته الملائكة وبشرته ببعثي جاء
في النص القرآني مبينا تبيينا دقيقا يتخيله الشعور من العبارة الدالة عليه فلا يخطيء
الإدراك « وهو قائم يصلي في المحراب » وليس لهذا الوصف الدقيق نظير في النص
الإنجيلي .

* طهارة السلوك وسلامة الفطرة التي من الله بها على يحيى دل عليها النص القرآني دلالات قوية جامعة. فهي في مريم ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ * وبراً بوالديه وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿

وهي في آل عمران : ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ أما النص الإنجيلي فاكتفى بهذه العبارة « لأنه يكون عظيماً أمام الرب، وخمراً ومسكراً لا يشرب » وليس الصلاح مقصوراً على ترك الخمر والمسكر. بل كلمة « وكان تقياً » الواردة في النص القرآني لهي أجمع لمناقب الفضل والخير مما ذكر في النص الإنجيلي، وكذلك شهادة القرآن ليحيى في آل عمران « ومن الصالحين » وصف جامع لكل فضل .

ولو رحنا نستتبع كل صور المقارنة في هذه النصوص لوضعنا في كفة القرآن نفائس لم نجد في النص الإنجيلي نظيراً لها نضعه في كفته. فحسبنا من القلادة ما أحاط بالعنق كما يقولون .

● وقفة مع دعوى الاقتباس :

موضوع الدعوى هنا أن مخرجي كتاب الاستحالة يدعون أن القرآن اقتبس من الإنجيل بعض الوقائع.

والواقعة التي هي موضوع دعوى الاقتباس - هنا هي حادثة تاريخية دينية محددة ببشارة زكريا عليه السلام بيحيى نبي الله ورسوله . ووثائق تسجيلها هي الإنجيل والقرآن الأمين .

وصلة الإنجيل بالواقعة المقصودة أنه سجلها بعد زمن حدوثها بقليل لأن عيسى كان معاصراً ليحيى عليهما السلام .

وصلة القرآن بالواقعة أنه سجلها بعد حدوثها بزمن طويل (سبعمائة سنة) تقريباً .

وقرب الإنجيل من وقوع الحادثة المقصودة، وبعد القرآن الزمني عنها يقتضى إذا سلمنا بدعوى الاقتباس المطروحة أن يأتي الاقتباس في القرآن على إحدى صورتين :

إحدهما : أن يقتبس جزءاً مما ورد من القصة الكلية في الإنجيل . وتظل القصة فيه ناقصة عما هي عليه في المصدر المقتبس منه (الإنجيل) علي حسب زعمهم !!
والأخرى : أن يقتبس القرآن القصة كلها كما هي في « الإنجيل » سواء أخذها بالفاظها أو صاغها في أسلوب جديد بشرط التقييد بالمعاني الواردة في المصدر المقتبس

منه، لأن الفرض قائم - حتى الآن - على أن القرآن لم يكن له مصدر يستقى منه «الواقعة» غير الإنجيل المقتبس منه (!) ومحظور على القرآن عملا بهذه القيود التي تكتنف قضية الاقتباس للوقائع التاريخية من مصدرها الأوحد، محظور على القرآن أن يأتي بجديد، أو يضيف إلى الواقعة ما ليس في مصدرها الأوحد .

فماذا صنع القرآن إذن؟! هل اقتبس من الإنجيل جزء الواقعة المقصودة موضوع الاقتباس؟ أم اقتبس الواقعة كلها دائرا في فلك المصدر الأوحد (الإنجيل) .

لو كان القرآن قد صنع هذا: اقتبس جزد الواقعة أو الواقعة كلها، ولو مع تغيير في الصياغة لكان لدعوى الاقتباس «تلك» ما يؤيدها من الواقع. ولما اختلف مع مخرجي كتاب الاستحالة أحد في التسليم بها وتصديقها؟!!

ولكننا رأينا القرآن لم يقتبس جزء الواقعة، ولا الواقعة كلها، وإنما صورها تصويرا رائعا. سجل كل حقائقها. والتقط بعدساته كل دقائقها، وعرضها عرضا جديدا نقيًا صافيا، وربط بينها وبين وقائع كانت بالنسبة لها كالسبب الموجد لها في بناء محكم وعرض أمين. وهذا يرد على مدعي دعوى الاقتباس دعواهم خاسئة وهي حسيرة .

ولم يف القرآن عند ذلك الحد من العرض الأمين المستقل. بل قام بتصحيح الكثير من الأخطاء الواردة في النص الإنجيلي - كما قد رأينا - أما بالنص وأما بالسكوت. وهذا لا يتأتى من مقتبس ليس له مصدر سوى ما اقتبس منه. وإنما يتأتى ممن له وسائله وسلطانه المتفوق بحيث يتخطى كل الحواجز ويسجل الواقعة من «مسرحتها» كما رآها هو، وعقلها هو، وسجلها هو. وكان هذا هو القرآن .

أن المصدر الوحيد لما قصه القرآن علينا من وقائع التاريخ السحيق الضارب في أعماق الزمن، إنما هو الوحي الأمين، وليس ما سجله الأحرار والكهان والكتبة في توراة أو أنجيل. ولو كان القرآن مقتبسا لهذه الواقعة - مثلا - من الإنجيل لانبعثت منه رائحة البخور الإنجيلي - مثلا آخر - ومخرجو كتاب الاستحالة يدركون معنى ما أقول..؟!!

وتعالوا معنا الآن نناقش نموذجًا آخر من نماذجكم التي أذعيتم فيها اقتباس القرآن من الإنجيل نموذج من قسم الأمثلة - المضروبة، وليس من قسم الوقائع، فكفانا الذي قدمناه فيها .

وهذا النموذج مثل مختار بغير اختيار. وهو الذى اشترى إليه بالرقم ١٧ كما هو مبين فى الجدول الآتى :

الموضوع	مكانه بالإنجيل	مكانه بالقرآن
مثل استحالة دخول الجمل من ثقب إبرة	مرقس (٢٥/١٠)	الأعراف (٤٠)

ولنفرغ هذه البطاقة فنحول رموزها إلى نصوص .

النص الإنجيلي : « مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من دخول غنى إلى ملكوت

الله » مرقس (٢٥/١٠) .

النص القرآني : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ

السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾

[الأعراف : ٤٠] .

وبادىء ذى بدء نقول لكم: أن صياغة المثل فى الإنجيل غير متكافئة مع الفرض

الذى عنونتم له بـ « استحالة دخول الجمل من ثقب إبرة » أن صياغتك للمثل هنا

قاصرة عن الوفاء بحق المعنى . أتدرون لماذا؟ لأنكم صغتم أفعل تفضيل من يسر .

فقلتم « أيسر » . ومنطوق هذه الصياغة ومفهومها يدلان على أن مرور الجمل من ثقب

الإبرة « ممكن » وكذلك دخول « الغنى » إلى ملكوت الله، لأن قاعدة أفعل التفضيل

« لعلمكم » تفيد أن اثنين اشتركا فى صفة، وهى هنا اليسر بمعنى الإمكان . غير أن

أحدهما وهو المفضل الذى هو مرور الجمل فى ثقب الإبرة أزيد فى تلك الصفة من

المفضل عليه وهو هنا دخول الغنى إلى ملكوت الله . هذه واحدة والثانية:

أنكم عبرتم بالغنى . وليس الغنى ذنبا يا سادة . بل قد يكون الغنى سببا فى

اجتياز صاحبه كل العقبات حتى يستقر فى رضوان الله . وهذا إذا كان صاحب المال

مؤمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، شاكرا لأنعم الله عليه، معطاء منفاق

مبذال للمال فى مرضاته . ومن الأمثلة التى تقال فىكون القائل بها صادقا هذا المثل :

الغنى الشاكر خير من الفقير الصابر .

● وبقيت الثالثة وهي :

أنكم عبرتم بـ « ملكوت الله » وهذه العبارة تصلح لعدة معان منها كون الله، ومنها جنة الله ورضوانه، ولا جدال أن الأرض وما عليها وما فيها من « ملكوت الله » والغنى والفقير والجن والطير كلها داخلة فى ملكوت الله، لأنها تعيش وتمرح فى الحياة الدنيا ولم يقل أحد أن الدنيا ليست من « ملكوت الله » فله ما فى السموات وما فى الأرض وما تحت الثرى . . ولهذا فإن عبارتكم هذه بالنسبة لبناء المثل الذى به تفخرون - ليست دقيقة فى مدلولها إذ كيف تحظرون على الغنى الدخول إلى « ملكوت الله » وهو فيه بالفعل !؟

ثم تعالوا الآن إلى النص القرآنى الذى زعمتم أنه مقتبس من إنجيل مرقسكم ذاك وحسبنا - رغبة فى الاختصار - أن نبين لكم أنه ترفع عن المآخذ الثلاثة التى أبناها لكم فى مثلكم القدوة .

فأولاً : أنه لم يعبر بالغنى كما عبرتم وإنما جاء فيه :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا ﴾ وهذان الوصفان : التكذيب بآيات الله، والاستكبار عنها يستوى فيهما الغنى والفقير . فليس الغنى - دائماً - أثماً وليس الفقر - دائماً - فضلاً . بل قد يلتقى الغنى والفقير فى الفضل كما يلتقيان فى اللؤم والمعصية . فالمعول عليه هو صلاح السريرة واستقامة السلوك .

وثانياً : أنه لم يعبر بـ « ملكوت الله » كما عبرتم وإنما جاء فيه :

« لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة » أى أنهم فى جزء من ملكوت الله، يستوى فى الانتفاع به مؤمنو عباده وكافروهم، ولكن جزءاً آخر من ملكوت الله وهو الجنة ونعيمها هو محرم عليهم .

وثالثاً : أنه لم يعبر بـ « أيسر » كما عبرتم وإنما جاء فيه :

« حتى يدخل الجمل فى سم الخياط » والجمل لن يدخل فى سم الخياط، فهذا مستحيل والمعلق على المستحيل مستحيل مثله !؟

وبعد هذا العرض الموجز هل يستساغ لديكم القول باقتباس القرآن من الإنجيل؟ وإذا قلتم نعم فهل تظنون أن أحداً سيقتنع بما تقولون؟ .. فكروا..!؟
وعند هذا الحد نقف فى رد دعواكم الاقتباس . وفى ما قدمناه كفاء لدحض هذه الفرية، ولن نسترسل استرسالكم فى تعدد نماذج المقارنة، فإن لنا معكم جولات أخرى فى ادعاءاتكم الباقية .

وأكرر فاقول : وعند هذا الحد نقف لا عجزا ولا تسهيبا، وإنما لأن جدولكم هذا الذى ناقشنا نموذجين من نماذجه، وبقية جداولكم إنما هى «بالونات» ملأتموها بنفخكم الهواء فيها. ويكفى أن تثقب «البالونة» بطرف دبوس أو إبرة فى أى موضع فيها فلا تلبث أن تفرغ كل ما فيها من هواء فاسد. هكذا صنعتهم «بالونات»؟ وهكذا صنعنا؟ «تقبا» فيها. فلن تلبث أن تزول. وإن عدتم عدنا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ * لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال : ٣٦ - ٣٨].

● الجدول الخامس :

هذا الجدول تراه على الصفحتين (٢٨٢/٢٨٣) وقد قدموه بهذه العبارة «ليس معنى استشهادنا بالقرآن أننا نتفق معه تماما. لكن مما لا شك فيه أن هناك كثيرا من نقاط الخلاف نورد بعضها على سبيل المثال فقط».

ثم خصصوا هذا الجدول للمقارنة بين نصوص من القرآن الحكيم، وضعوا بازائها نصوصا إنجيلية تختلف معها فى الأسس والمبادئ. وهدفهم من هذه المقارنة أن المبادئ التى تنص عليها النصوص القرآنية مرفوضة عندهم، لأن النصوص الإنجيلية تختلف معها. جاعلين النصوص الإنجيلية تشغل الجزء اليميني من الجدول من أعلى الصفحة إلى أسفلها. والنصوص القرآنية تشغل الجزء اليسارى منها كذلك. وهى سبعة نصوص إنجيلية وسبعة نصوص قرآنية . وإليك النموذج الأول منه :

ما جاء فى القرآن	ما جاء فى الإنجيل
﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحَرُمَاتِ قِصَاصٌ فَمَنَ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة : ١٩٤].	«أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيك، صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم» متى (٥/٤٤)

نقدم للقارىء بين يدي هذه المقارنة كلمة قصيرة، مؤاها أنه ينبغي أن يدرك وهو يوازن بين النص الإنجيلي والنص القرآني الحكيم، أننا لا يمكن أن نجزم بأن السيد المسيح عبدالله ورسوله هو قائل هذا الكلام، ولا يمكن - كذلك - أن نجزم بأنه لم يقله. فالأمر عندنا قائم على الشك، فقد يكون هذا من وعظه وقد لا يكون. كما أننا نذكر القارىء بأن الفرق شاسع جدا بين رسالة جاءت ملحقة برسالة أخرى تدخل عليها بعض «التعديلات» الوقتية، وتخفف عن بني إسرائيل بعض التخفيف وهي رسالة عيسى بالنسبة لرسالة موسى عليهما السلام، وكتاهما رسالتان مؤقتتان في علم الله.

وبين رسالة خالدة جاءت لتبقى حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهي رسالة الإسلام فبينما اقتصررت رسالة السيد المسيح على التوجيهات الروحية نظرا للمادية المظلمة التي كانت متفشية في بني إسرائيل فإن الله قد أودع في الإسلام مقومات البقاء الأبدى. فجاء الإسلام بصدوره وجناحيه ليجوب أجواء الأفق الفسيح. أما الصدر فهو العقيدة الصحيحة في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وثوابه وعقابه ووعدته، ووعيدته وصلة الإنسان بالله وبالكون، ووظيفته في الحياة، وصلته ببني جنسه سلبا وإيجابا.

وأما أحد جناحيه فهو العبادات التي تصقل روح المؤمن وترقى بمشاعره وتهذب خلقه وسلوكه، وتشعره دائما بأنه مربوب مصنوع لقوة لا حد لسلطانها. وأما الجناح الثاني فهو مجموعة التشريعات التي تحقق استقامة السلوك الفردي والجماعي في الحياة. وتضع في يمين المكلف منهاج العمل: هذا واجب، وهذا حرام وهذا... وهذا.. ليهلك من هلك عن بينة. ويحيا من حيى عن بينة. ولهذا كله فإنه ليس من الأنصاف أن تسوى جرعة روحية موقوتة برسالة عامة خالدة خلود الحياة نفسها. ولكن مخرجى كتاب الاستحالة قد عصبوا أعينهم عن هذا كله وأبوا إلا أن يوازنوا لا ليسووا بين المرجوح والراجح، ولكن ليقلبوا أوضاع الحقائق فيجعلوا المرجوح راجحا والراجح مرجوحا. وأذن فلتتسع صدورهم ليسمعوا ما نقول. ولن نقول إلا ما هو حق لا ينازعنا فيه عاقل.

إن مبدأ القصاص الذى تنكرونه على الإسلام لا تصلح شريعة بدونه، ولا يكون لها ذرة من تقدير إذا هى لم تحم الحقوق، ولم تكن وافية بحاجة الناس فى دينهم وديناهم. فالظلم والاعتداء طبع أصيل من طبائع البشر، وإقرار العدالة بينهم وصور

الحريات وحماية الحقوق من أوجب الواجبات فى شريعة قدر لها أن تروى مواكب الحياة فى شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها . فمن للضعيف إذا أهملت الشريعة شأنه تتلاعب به أهواء الأقوياء، ويذيقونه الهوان صنوفا، إذا لم يجد فى الشريعة نصيرا له، وحاميا لحاضره ومستقبله . ومن يستطيع أن يكبح جماح النفوس الفاسدة إذا استمرت انتهاك الحرمات وعاثت فى الأرض فسادا، إذا لم يكن فى الشريعة قصاص عادل من أولئك الوحوش الضارية التى ليس لها طعام إلا الولوغ فى الدماء والالتذاذ باذابة الآمنين الوادعين . . ولو أحسنتم التقدير، ونظرتم إلى الإسلام نظرة حق فاحصة لأدر كنتم أن التسامح الذى تفخرون به خلق أصيل فى الإسلام، بل هو المصير الذى يرغب فيه من له حق الاقتصاص ولكن لكل من التسامح والاقتصاص المثلى فى الإسلام مجاله وساحاته . فإذا كان التسامح ادعى للتحاب وتألف القلوب دون أن يترتب على هذا التسامح اغراء بتكرار الاعتداء فالأخذ به أولى .

ونصوص الإسلام فى ذلك لا تكاد تحصر . فاسمِعُوا لِلْقُرْآنِ الذى يقرر شرعية الاقتصاص بالمثل إذ يقول : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ (١) وإذ يقول : ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ (٢) ، وإذ يقول : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ (٣) .

والقرآن حين يرغب فى العفو والصفح بشروطيهما فإنه يرغب من عفى عنه برعاية هذا الجانب ليقابله بالحسنى فيقول : ﴿ فَمَنْ عَفَىٰ لِمَنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّءْ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾ (٤) .

كما يبين قيمة العفو فيقول : ﴿ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ (٥) ويجعل العفو والصفح من مستوجبات غفران الذنوب فيقول :

﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ (٦) ويقول رسول الإسلام محمد بن عبد الله ﷺ :

« أوصانى ربي بتسع أوصيكم بها » ثم يذكر منها : « وأن أصل من قطعنى، وأعفو عنى ظلمنى، وأعطى من حرمنى » (٧) .

وغير ذلك كثير وكثير; ومن الخلق النبوي الكريم المأمور به من ربه الذي أدبه فأحسن تأديبه قوله تعالى: ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف ﴾ (٨). ذلكم هو الإسلام يا سادة. وتلك هي شريعته. نَعْفُو فِي مَقَامٍ يَسْتَحْسِنُ فِيهِ الْعَفْوُ. وَنَقْتَصُ فِي مَقَامِ الْمَقِيدِ فِيهِ هُوَ الْقَصُّ. وَمَا أَصْدَقَ الشَّاعِرَ الَّذِي يَقُولُ:

رَوْضَةُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السِّيفِ بِالْعِلَا

مَضْرُوعُ كَوْضِعِ السِّيفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

أَيُّ أَنَّ التَّسَامُحَ فِي مَوْضِعٍ لَا يَفِيدُ فِيهِ إِلَّا التَّشَدُّدَ مَضْرُوعًا بِالْحَقُوقِ، مِثْلَ ضَرْرٍ وَضِعِ الشَّدَّةِ فِي مَوْضِعِ اللَّيْنِ. لِأَنَّ لِكُلِّ مِنَ الْمَسْلُوكِينَ مَجَالَهُ النَّافِعَ فِيهِ. فَإِذَا كَانَ الْمُعْتَدِي خَسِيسَ الطَّبْعِ، لَثِيمَ السَّلُوكِ لَمْ يَزِدْهُ الْعَفْوُ إِلَّا تَمَادِيًا فِي شُرُورِهِ، فَهَذَا لَا يَنْفَعُ مَعَهُ لِينٌ وَإِنَّمَا يَدْفَعُ شَرَّهُ وَلَوْ مَهْ بِشَرِّ مِثْلِهِ. وَنَعُودُ فَنَشْهَدُ بِالصَّدْقِ لِلشَّاعِرِ الَّذِي قَالَ:

فَقَسَا لِيَزْدَجِرُوا وَمَنْ يَكُ حَازِمًا

فَلْيَقْسُ - أَحْيَانًا - عَلَيَّ مِنْ يَرْحَمُ

أَنَّ الْإِخْذَ عَلَيَّ يَدُ الظَّالِمِ بِالشَّدَّةِ رَحْمَةٌ لَهُ وَلِلْمَظْلُومِ عَلَيَّ حُدُوءٌ. فَالظَّالِمُ مَرِيضٌ وَانْتِشَالُهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ رَحْمَةٌ لَهُ، وَالْمُعْتَدِي عَلَيْهِ مَغْبُونٌ. وَدَفْعُ الْغَيْنِ عَنْهُ رَحْمَةٌ لَهُ وَانْتِصَافٌ.

وَالْخُلَاصَةُ أَنَّ الْإِسْلَامَ إِذْ يَقْرَأُ الْقِصَاصَ فَيَجْعَلُهُ حَقًّا لِلْمُعْتَدِي عَلَيْهِ، يَقْرَأُ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ الْعَفْوَ وَيَجْعَلُهُ وَاجِبًا عَلَيَّ الْمُعْتَدِي عَلَيْهِ إِذَا تَرْتَبَتْ عَلَيْهِ مَصْلُحَةٌ مُحَقَّقَةٌ أَوْ مَظْنُونَةٌ ظَنًّا قَوِيًّا. أَوْ كَانَ الْمُعْتَدِي مِمَّنْ يَثُوبُونَ إِلَى حَظِيْرَةِ الْإِسْتِقَامَةِ بِأَدْنَى تَوْجِيهِهِ وَلَمَّا كَانَ هَذَا هُوَ الْجَوُّ الَّذِي يَشِيْعُهُ الْإِسْلَامُ بَيْنَ بَنِيهِ فَإِنَّ مِنْ أَخْطَأَ فِي حَقِّ أَخٍ لَهُ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْخَطَأَ ضَرْبَةً لَازِبَةً فِي إِفْسَادِ الْعِلَاقَاتِ بَيْنَهُمَا، وَأَنَّ الْأُمُورَ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَسْتَقِرَّ إِلَّا بِأَنَّ يَقْتَصَّ الْمُعْتَدِي عَلَيْهِ مِنَ الْمُعْتَدِي، وَلَا شَيْءَ غَيْرَ ذَلِكَ. بَلْ أَنَّ مِنَ الْكِرَامَةِ أَنْ يَعْفُوَ الْمُعْتَدِي عَلَيْهِ عَنِ الْمُعْتَدِي. فَإِذَا عَفَا كَانَ ذَلِكَ الْعَفْوُ جَمِيلًا مِنْهُ وَيَدَأُ بِيَضَاءٍ يَسْدِيهَا إِلَى أَخِيهِ الْمُعْتَدِي. وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّهُ يَمْلِكُ - مَعَ الْعَفْوِ - أَنْ يَقْتَصَّ. لِأَنَّ الْقِصَاصَ حَقَّهُ. وَاقْرَأُوا مَعْنَى هَذِهِ الْأَبْيَاتِ الْوَضِئَةَ الَّتِي أَثْمَرْتَهَا حَدِيقَةُ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ فِي الْإِسْلَامِ. وَهِيَ أَبْيَاتٌ يَرُدُّهَا أَخٌ اعْتَدَى عَلَيَّ أَخٌ ثُمَّ صَحَّتْ نَفْسُهُ فَنَدِمَ وَأَرْسَلَ إِلَى أَخِيهِ يَقُولُ:

إِنَّ كَانَ ذَنْبِي عَظِيمًا
 فَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ
 إِنَّ لَمْ أَكُنْ فِي فِعْعَالِي
 مِنَ الْكِرَامِ فَكُنْهُ
 وَخُذْ بِحَقِّكَ أُولَى
 وَأَصْفَحْ بِعَفْوِكَ عَنْهُ

ولا شك أن عفو القادر على الانتقام فضيلة من فضائل النفس العالية أما إذا كان العفو - دائماً - حقاً للمعتدى على المعتدى عليه . فلا فضل إذن لمن يعفو ولا تفاوت بين عفو وعفو . والغاء أريحية الإنسان - هنا - أمر مفروغ منه، إذ هو مقهور مقسور على ما يفعل ولا فضل له فيه .

والعبارة الإنجيلية مع اقتصارها على وجوب العفو دائماً وفي جميع الأحوال، وقد علمنا قصور هذا المبدأ عن صون الحقوق وقرار العدالة .

نقول: أن العبارة الإنجيلية مع هذا فإنها تكلف النفوس ما ليس من طبعها أبداً، ولا تستطيع تحقيقه أبداً . إذ أن النفوس طبعت على حب من يحسن إليها، لأن الحب حالة نفسية تنشأ داخل طوايا النفس متى توافرت أسبابها . فكيف - إذن - تؤمر النفس بحب عدوها، ومباركة لأعنها .

من الميسور على الإنسان أن يحسن إلى من أساء إليه، وأن يصنع المعروف مع عدوه ومبغضه . أما أن تكلف النفس بحب أعدائها وتبريك لأعنيها فهذا تكليف بما لا يطاق . وهذا هو الذي تقرره العبارة الإنجيلية؟!

وإذا غضبنا الطرف عن هذا كله، وسلمنا لمخرجي كتاب الاستحالة بهذا المبدأ المشطور فإن أول من خرج عليه، بل وآخر من يخرج عليه ويهدره هم الإنجيليون أنفسهم . فإنهم يؤمنون به قولاً، ويحتجون به جدلاً . أما العمل به واقعا فهذا ما لا نعرفه عنهم، لأنهم لم يخرجوا عن المبدأ الذي يدعو إليه الإسلام الذي يناوئونه هم ويحتجون . فهم مثلنا يطالبون بحقوقهم ويقتصون ممن يعتدى عليهم ودوائر القضاء في كل بلدان العالم تعرض عليها ملايين الخصومات التي يكون أحد أطرافها إنجيليين أو هم يمثلون كل أطرافها . ولو كانوا مؤمنين حقاً بهذا المبدأ لما رفع إنجيلي واحد خصومة واحدة ضد مسلم أو يهودي أو إنجيلي مثله، أو غيرهم . فعلام هذا التهجم - يا سادة - على مبدأ أنتم منتفعون به مثل أبنائه لتنصروا عليه مبدأ أو نظرية فارغة من كل مضمون عملي، أنتم أول وآخر من يخرج عليها . والله ما هذا بعدل . . !

إننا وأنتم يعرف كل منا الآخر، فلا يخفى على أحد شأن الآخر. فكفى متاجرة بكلام لا نصيب له إلا أن يقال ويكتب !؟

وكلمة أخيرة نقولها لكم قبل الانتقال إلى مقارنة أخرى:

أن مبدأ القصاص الذي تعيبنونه في الإسلام لم يخل منه قانون وضعى فى أى بلد من بلدان العالم. بل أن الكثير منها قد انتفع ببعض نظريات الإسلام فيه. ومن هذه البلدان ما يدين بالنصرانية نفسها. ولم يخل منه عهدكم القديم « التوراة » وهو ما نقضتموه على لسان عيسى الإنجيل الذى روئتم قوله :

« سمعتم أنه قيل : عين بعين، وسن بسن، وأما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً... » متى (٢٨ / ٥ - ٢٩) .

فكان هذا نقضا من العهد الجديد « الإنجيل » للعهد القديم، وأنتم تدعون أن عيسى (عليه السلام) ما جاء لينقض بل ليكمل^(١) !؟...

ونقول: لولا مبدأ القصاص الإسلامى لتورمت بلايين الأنوف، ولكن بالإسلام الله سلم !

ما جاء فى القرآن	ما جاء فى الإنجيل
﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة : ٢٩] .	« فآية مدينة دخلتموها ولم يقبلوكم فاخرجوا إلى شوارعها، وقولوا حتى الغبار الذى لصق بنا ننفضه لكم... » لوقا (١٠ / ١٠ - ١١)

هذان آخر نصين قابل بينهما كتاب الاستحالة. وهما إن كانا قريبين من المقارنة السابقة إلا أنهما يغييان أمرا آخر هو مشروعية القتال فى الإسلام وخلق الإنجيل منها. ومن هذه المقابلة بين النصين ندرك أن مخرجى كتاب الاستحالة يرفضون المبدأ الإسلامى وهم يزهدون فخرا بالمبدأ الإنجيلى الذى يفهم من النص وهو الاستسلام لارادة المخالفين محققين كانوا أو مبطلين .

(١) سنعود لهذه القضية فى فصل خاص إن شاء الله .

وها نحن أولاء ندير معهم حوارا حول هذين المبدئين من حيث هما مبدآن ثم من حيث الواقع العملى لدينا ولديهم وما ترتب عليهما إيجابا وسلبا من منافع وأضرار .

فمن حيث هما مبدآن فإن مشروعية القتال فى الإسلام كانت ضرورة من ضرورات الدعوة الإسلامية التى قدر لها الشمول والعموم والخلود، والإسلام نفسه جاء بمنهج يضاد كثيراً من مناهج العقيدة والسلوك التى كانت تسيطر على حياة الشعوب فى ذلك الحين، سواء فى ذلك شبه الجزيرة العربية أو الممالك المجاورة لها . وقد زاد من تفشى المذاهب الضالة والأهواء بعد عهد الناس عن رسالات السماء، فبين رسالة عيسى عليه السلام ورسالة النبى الخاتم ﷺ ما يقرب من سبعة قرون . ومنهج التغيير الشامل الذى واجه الإسلام به نظم الحياة كلها كان من أبرز آثاره قيام حركات جماعية وفردية تناوئته وتعاديه فكان لا بد من التصدى لهذه العداوة وردها بنفس السلاح الذى تقاوم به دعوة الإسلام لتأمين حاضرها ومستقبلها وحماية متبعيها . ولا خير فى دعوة لا تحمى أبنائها أو لا تملك حق حمايتهم من خطر قائم أو متوقع .

وقد كان أعداء الدعوة يضطهدون أبنائها بالفعل، بل أن صاحب الدعوة نفسه ﷺ لقى صنوف العذاب من أولئككم البغاة الأشرار .

وكان فى مواجهة الدعوة دولتان تملكان من أسباب القوة المادية رصيذا ضخماً، وهما - مع هذا - تعيثان فى الأرض فسادا الروم فى الغرب والفرس فى الشرق . فكيف كان يواجه الإسلام هذه القوى لو لم يكن القتال مشروعاً فيه، بل هو من أجل خصائصه . ولهذه الاعتبارات كلها، وفى مقدمتها حماية الدعوة وحماية أبنائها كان التشريع القتالى فى الإسلام مبدوءاً بهذا القرار العظيم :

﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج : ٣٩ - ٤٠] .

فالمسلمون الأوائل ووجهوا بالقتال من أعدائهم قبل أن يواجهوا هم أعداءهم . أو كما يسمى القرآن هذه الحالة « انتصروا من بعد ظلم » أما النصرانية فلأنها كما قلنا

مرارا: دعوة ملحقة موقوتة كانت تهدف أول ما تهدف إلى « جلاء الصدا » عن وحى الله إلى موسى بسبب انحرافات علماء بنى إسرائيل وليهم السننهم بالكتاب ليأكلوا أموال الناس بالباطل فجعلوها شريعة « هوائية » يصرفونها حسب أهوائهم، ثم التخفيف عن بنى إسرائيل فأحل الله لهم على لسان عيسى عليه السلام بعض ما حرم عليهم. ولا غرابة فإن الله كان يجعل القاضى والواعظ فى بنى إسرائيل فى درجة نبي مثل داود وسليمان. لأن علماءهم لم يكونوا أمناء على وحى الله وشرائعه. هذه فروق مهمة جدا بين الإسلام وما سبقه من شرائع تجب مراعاتها فى هذا المجال.

ومع هذا فإننا نجد فى الأناجيل عبارة تكررت أكثر من مرة تفيد أن عيسى عليه السلام كان يود أن يستعمل السيف، وأنه لم يجىء ليلقى سلاما على الأرض وهذا هو نص تلك العبارة :

« لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض، ما جئت لألقى سلاما؟ بل سيفا... » متى (٣٤/١٠).

ووردت هذه العبارة مرة ثانية مع اختلاف الصياغة هكذا :
« جئت لألقى نارا على الأرض ... أتظنون أنى جئت لأعطي سلاما على الأرض؟ كلا أقول لكم : بل انقساما »! لوقا (١٢/٤٩ - ٥١).

فهل يستطيع مخرجو كتاب الاستحالة أن يبينوا لنا ما المقصود بالنار والانقسام والسيف التى جاء المسيح ليلقيها على الأرض؟ وما هو معنى السلام الذى ينفى بشدة أن يكون هو قادمنا من أجل نشره على الأرض. أنها أمور نود أن نفهمها ولكن لا سبيل إليها إلا أن يتطوع مخرجو « الاستحالة » بالتأويل فهم فى مثل هذا مهرة متفوقون .

● المبدأن من حيث الواقع والمنافع والأضرار :

أن عظمة المبادئ لا تقاس بجودة صياغتها والترويج لها. وإنما هى تقاس باختباراتها فى ميادين العمل والتطبيق، وما يسفر عنه تطبيقها من آثار. فما هو إذن الأثر الذى أسفر عنه التطبيق فى المبدأ الإنجيلى وما صلة الإنجيليين به فى العمل والسلوك؟ وما هو الأثر الذى أسفر عنه تطبيق المبدأ القرآنى وما صلة المسلمين به فى العمل والسلوك هذا ما نوجز الحديث عنه الآن :

● المبدأ القرآنى : أثرا وصلة :

لم يرق المسلمون قطرة دم واحدة قبل أن يؤذن لهم برد العدوان الواقع عليهم من أعدائهم، بل أنهم اضطروا للهجرة من مساقط رءوسهم ثلاث مرات : مرتين إلى

الحبشة. والأخرى إلى المدينة المنورة. وكانوا في هذا طائعين ممثلين لتوجيهات دينهم لم يخرجوا عليها قيد أنمله.

وحين أذن لهم بقتال أعدائهم امتثلوا الأمر ولم يتهيبوا عدوا مهما كانت عدته وعدده. فجالوا في أرض الله يبلغون العالم أوامر الله ونواهيه، ويدعونهم إلى قبول الحق الذي أمروا بتبليغه. وكانت كل معاركهم التي خاضوها مضرب المثل في الشجاعة والتجدة والالتزام بالحق والواجب. فلم يقاتلوا إلا من حمل السلاح ليصد عن سبيل الله. لم يقاتلوا شيئا فانيا ولا امرأة ولا طفلا ولا راهبا في صومعته يهوديا كان أو نصرانيا. ولم يهدموا بناء ولم يقطعوا شجرا، وإنما كانوا منصفين عدولا حتى مع ألد خصومهم. لم يتجاوزوا الحق ولم يخرجوا على موضع «الخصومة» واستطاعوا في ربع قرن من الزمان أن يقشعوا سحائب الباطل وغيومه من الوجود. فاسقطوا أعتى قوتين عرفهما التاريخ في ذلك الحين، وهما قوتا الفرس والروم. وشرقوا حتى فتحوا بلاد الصين والهند والسند، وغربوا حتى وصلت مواكبهم إلى شواطئ المحيط الأطلسي. ووضعوا أقدامهم في أوروبا الجنوبية فأقاموا دولتهم في الأندلس، وزحفوا نحو شمال أوروبا فتوقف زحفهم عند جبال البرانس بجنوب فرنسا. وانحدرت موجاتهم نحو الجنوب حتى وصلوا إلى بلاد النوبة. واتسعت رقعة الفتوحات الإسلامية حتى قال أحد أمراءهم يوما يخاطب سحابة تجرى في الفضاء نحو الغاية التي سيرها الله من أجلها:

«امطرى أين شئت فسيأتيني خراجك»؟! يكتفى عن انتشار الإسلام في عهده تلك هي صلة المسلمين بمبدأهم القرآني. قوة في أيديهم استثمارها في مواضعها فكان حصادها خيرا للدعوة ولل البشرية كلها مسلمين وغير مسلمين ولو قدر للإسلام أن يكون دعوة معزولة عن السلاح يلطم المسلمون فيها على خدودهم اليمنى فلا يملكون إلا أن يديروا لأعدائهم خدودهم اليسرى ليلطموهم عليها مثل اليمنى، لأن المساواة في الظلم عدل (1) لو أنهم فعلوا هذا لدمرت الدعوة في مهدها. ولا استؤكل المسلمون واحدا واحدا ولم يبق لهم ولا للدعوة أثر. ولا اقتيد صاحب الدعوة ﷺ إلى خشية «صليب» فإراق دمه وحفنة من تلاميذه ينظرون. ولم لا؟! والذين سعوا إلى صلب عيسى عليه السلام كانوا يجاورونه ويحيكون المؤامرات ضده وضد دعوته حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم أنه الحق، وبين أيديهم شاهد من توراتهم.

وكم من مرة حاولوا اغتياله فلم يرددهم إلا قوة السلاح وسواعد الأبطال المؤمنين..؟! وكلمة نقولها مخرجي كتاب «الاستحالة» الذين أعلنوا استنكارهم لمبدأ القتال في الإسلام . نقول لهم فيها :

« أن أقباط مصر الذين يتربعون على كرسي كرازتهم » كانوا من أسعد الشعوب بثمرات الفتوحات الإسلامية . إذ لولا الفتح الإسلامي لمصر لأباد الرومان الشعب القبطي من الوجود . ولما بقى لهم أثر إلى الآن ليكتب ضد الإسلام الذي هو ولي النعمة على آبائه وأجداده الأقدمين .

أن مخرجي كتاب «الاستحالة» يعلمون دقائق تاريخ آباؤهم ، واضطهاد الرومان لهم قبل اعتناقهم للنصرانية وبعدها .

فلم يمنع الرومان اشتراكهم في العقيدة مع قبط مصر أن يحرقوا كنائسهم ويقتلوا أبرياءهم ويضطهدوا « قساوستهم » ويقدم أقباط مصر آلاف الشهداء دفاعا عن عقيدتهم حتى سمي ذلك العصر بـ « عصر الشهداء »..؟! أن أمرا واحدا هو الذي خلص قبط مصر من ذلك الشقاء المر ، ذلك الأمر هو الفتح الإسلامي لمصر الذي أطاح بعروش روما وأجلى بنى الأصفر عن هذه الديار المصونة .

أن اتحاد عقيدة الرومان مع قبط مصر في اعتناق النصرانية لم يمنع الرومان من اضطهاد القبط ، وأن اختلاف عقيدة الفاتحين الإسلاميين لم يمنعهم من نصفه القبط واسترداد حرياتهم ، وتأمين كنائسهم واستمتاعهم بحقوقهم في الحياة . ونسأل مخرجي كتاب الاستحالة ! سؤالا مؤداه أين كان بطريك القبط حين قدم المسلمون الفاتحون؟! ألم يكن مختفيا خشية فتك الروم به؟ ثم ما الذي حدث له بعد أن كسر المسلمون الفاتحون شوكة بنى الأصفر (الروم) .

ألم يحدث أن أعطاه عمرو بن العاص قائد موكب النصر أمانا على نفسه ووجه إليه نداء ليعود لرعاية شعبه؟ فظهر البطريرك بنيامين حين عادت الطمأنينة إلى نفسه وتولى رعاية القبط وهو آمن على نفسه وشعبه؟ من الذي أتاح هذا الجو الآمن أليس هم المسلمون الفاتحون؟!

عن عقبة بن عامر الجهني قال : « كان لأهل مصر عهد وعقد . كتب لهم عمرو ابن العاص أنهم آمنون على أموالهم ودمائهم ونسائهم وأولادهم لا يباع منهم أحد وفرض عليهم خراجا لا يزداد عليهم ، وأن يدفع عنهم خوف عدوهم .. »^(١) .

(١) فتوح البلدان للبلاذري (ج١ ص ٥٥ ، ٥٦) .

ونبى الإسلام ﷺ لم يوص المسلمين برعاية حقوق شعب تفتح بلاده مثلما وصاهم بشعب مصر :

« إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرا، فإن لهم ذمة ورحما » .

فها أنتم قد انتفعتم بثمره القتال فى الإسلام، ونحن لا نريد امتنانا على أحد فالمنة لله وحده، وإنما الذى نرجوه - ونلح فى الرجاء - ألا يغمط الحق، وألا تبطر النعمة . فلولا شرعية القتال فى الإسلام لذهبنا - جميعا - ضحية الظلم والظالمين، ولما نجا من مخالبا الأسد منا أحد؟!

هذا شأننا مع مبدئنا، وتلك هى ثماره نستمتع بها نحن كلنا. فما أعظم النعمة فيها، وما أقل الشاكرين!؟..

● المبدأ الإنجيلى : أثرا وصلة :

فما هو - أذن - أثر مبدئكم الإنجيلى ؟ وما هى صلتكم به فى الواقع المشاهد المعلوم؟

أنا نعتقد - مع تسليمنا بأن ما أراده الله كان - لو تجمع حول السيد المسيح عليه السلام فتية آمنوا بربهم وزادهم هدى . وتزود كل منهم برمح أو سيف لأوقعوا الرعب فى قلوب أعدائه اليهود، ولما لجأ المسيح نفسه إلى الاختفاء من أعدائه فرارا من بطشهم به، ولما استطاع أعداؤه أن يلقوا القبض عليه ويقتادوه بين مجامعهم ودوائر السلطة الرومانية ذهابا وجيئة، ويصر اليهود على ادانته، ويصر بيلاطس الرومانى على براءته - كما تذكر فى أناجيلكم، كل هذا وتلاميذه أو حواريوه يتبعونه متخفين وإذا ووجهوا بصلتهم به أنكروها فزعين ناجين بأرواحهم . لو كان هؤلاء الحواريون يحملون فى أيديهم سلاحا لما اقتيد السيد المسيح عليه السلام إلى خشبه « المصلب » ولما « صلب »^(١) أو على أقل الفروض لأرجأوا هذه النهاية ولو إلى أمد قصير؟! أن الحق حق، ولكنه فى حاجة إلى قوة تحميه . والقوة التى تحمى الحق جزء من الحق نفسه .

فى غزوة أحد تعرض محمد بن عبدالله ﷺ إلى أشرس ما صنعه اليهود بنبى الله عيسى عليه السلام . ولولا أن قوة الحق كانت تواكب دعوة الحق فى الإسلام لنال مشركوا مكة من رسول الله ما يريدون . أفتردون كيف كان المنقذ من ذلك الخطر؟

(١) نقول هذا مجازة للقوم فى عقيدتهم . فهو فرض نظرى، لأن السيد المسيح لم يصلب وإنما صلب من ألقى الله عليه شبهه . وقد تقدم هذا .

فقد تجمع حول الرسول القائد ﷺ - بعد فرار الناس عنه - تجمع حوله رجال لا يزيد عددهم على حواربي عيسى الأحد عشر وأعملوا سيوفهم ورماحهم ونبالهم في أعداء الله ليكفروهم عنه، وألقى أحدهم نفسه فوق الرسول القائد ليتلقى ضربات القوم الحاقدة الموجهة إليه، يتلقاها بجسمه ليسلم رسول الله. بل أن امرأة لم تنفك تدفع عنه أذى العدو. لقد دافعوا عنه بصدق حتى استشهد منهم الكثير. وكان محصلة ذلك أن نجا رسول الله من كيد المشركين، ولم يصب بسوء. ومثل هذا الموقف حدث في حنين وفي كل منهما حمت قوة الحق الحق أن يضام.

هذان مثالان للحق الذي تصونه القوة. والحق الذي لا قوة معه تحميه - ويكفيها ما تقدم في بيان ما أسفر عنه تطبيق المبدأ القرآني من آثار، وما أسفر عنه تطبيق المبدأ الإنجيلي .

فتعالوا - يا مخرجي كتاب الاستحالة - تناقشكم في صلتكم بهذا المبدأ الذي نصرتموه - في كتابكم - على المبدأ القرآني الحكيم !..

ونستأذنكم في أن نبدأ نقاشنا معكم بهذا السؤال :

هل أنتم جادون حقا فيما تقولون !؟..

ولكى يشترك معنا القارئ في تصور ما نقول نعيد له « نص المبدأ » مرة ثانية فقد طال عهده به :

« فآية مدينة دخلتموها ولم يقبلوكم، فأخرجوا إلى شوارعها، وقولوا حتى الغبار الذي لصق بنا نفضه لكم .. » لوقا (١٠ / ١٠ - ١١) .

فهل أنتم - فعلا - جادون في الإيمان بهذا المبدأ . وما المقصود من الإيمان عندكم ؟

هل هو ترديد القول وكتابتة وحفظه والاستشهاد به ؟ أم أنه عقيدة تتحكم في السلوك ، ويأتي العمل على منوالها ؟!

إن اخترتم المعنى الأول قلنا لكم أننا لا نقيم وزنا لهذا الإيمان، لأنه خلف من القول ؟!

وإن اخترتم المعنى الثاني قلنا لكم حسنا . ولكن تعالوا نستقرئ سلوككم فيما مضى . وسلوككم الآن . هل هو جار على هدى من هذا المبدأ أم هو خارج عليه ؟!

فإن كان السلوك وفق المبدأ قلنا لكم « كل حزب بما لديهم فرحون » وللناس فيما يعشقون مذاهب .

وأن كان السلوك على خلاف المبدأ فقد عدتم إلى ما فررتم منه وهو الإيمان اللسانى القولى . وفى هذه الحالة نقول لكم :

أن خروجكم على مبدئكم دليل على قصوره فى مواجهة الحقائق فحرى بكم أن تعترفوا بذلك القصور . لا أن تزهاوا بمبدأ أنتم به غير مؤمنين بل عليه متمردون .

● دلائل من الواقع :

أن دلائل الواقع تثبت أن المجتمعات المسيحية قديما وحديثا هي مجتمعات بشرية لها غرائز البشر ومطامعه . وأنها لجأت إلى الحروب بالحق والباطل . وإلا فبم تفسرون حروبكم الصليبية للشرق التى دامت سنين طوالا، حروب متوالية عبرت الجيوش الإنجيلية البحار والمحيطات لتقتل الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال ولم يكن لتلك الحروب سبب قريب سوى الحقد باسم الصليب . فأين موقع ما قمتم به من عدوان على الآمنين من هذا المبدأ الذى يوصيكم فيه المسيح بأن تنفضوا الغبار الذى لصق بكم إذا دخلتم مدينة لم يقبلكم فيها أهلها .!؟

وكيف تفسرون قيام دول هى أضلع ما تكون فى المسيحية بضرب الشعوب وإذلالها ثم فرض سلطانها عليها واستيلائها على خيراتها وامتصاص دمائها . أسألوا أنفسكم كم بلدا استعمرتها فرنسا وبريطانيا وإيطاليا وأمريكا وهولندا أليست هذه دول تقف فى الصف الأول من مجموعة الدول التى تدين بالمسيحية وتنتشر كنائس « الرب » فى ربوعها وتصدق نواقيسها صباح مساء . فأين هذا المسلك من « صوفية » المبدأ الذى حلا لكم أن تزهاوا به وأنتم أول من ضرب به عرض الحائط ؟!

وهم تفسرون ما جرى لمسلمى الفلبين على أيدى أخوة لكم فى الدين ؟ أما كان مبدؤكم هذا - لو صدقتم معه - كفيلا بكف الظلم الذى وقع على عشرات الآلاف من الشيوخ والنساء والأطفال، وهدم المساجد، وحرقت المصاحف، وترويع الآمنين، وتشريد آلاف الأسر والاستيلاء على أملاكهم من أراض ومنازل ومقتنيات . فأين مبدؤ نفص الغبار أذن وقد كان الظلمة يسيرون حاملين الأرض نفسها فوق رؤوسهم ؟!

وهم تفسرون ما جرى ويجرى فى أريتريا والصومال من إراقة للدماء المصونة واغتصاب للأرض والثروات . أليست أثيوبيا عاصمة من أعرق عواصم « الإنجيل » وفى كنائسها ترتل آياته ومنها آية الغبار الذى يجب أن ينفض .!؟! فما الذى حملها على هذا العدوان وهى من شعوب الإنجيل وهم تفسرون ما جرى ويجرى الآن فى لبنان من مجازر وأنهار للدماء لا يجف لها مجرى .!؟!

أليس أحد طرفى النزاع إنجلييين مثلكم، ويدينون بما تدينون به أنتم ..؟!
فما قيمة المبدأ إذا لم يكن له مثال واحد من واقع أهله أفرادا وجماعات ودولا
وطوائف يحترمه ويسير على هداه ..؟!
إننا قاتلنا ونقاتل، لأن القتال شريعة لدينا لها موجباتها .. فلماذا تقاتلون أنتم
والإنجيل يوصيكم بنفض الغبار - إذا قوومتكم - ويعدكم باقتراب ملكوت الله
منكم ..؟!
هذه صلتكم بمبدئكم، وواقعكم معه .. وقد علمتم صلتنا بمبدئنا، وواقعنا معه
فتفكروا أى الفريقين أقوم منهجا وأهدى سبيلا ..؟!
* * *

نصوص من الكتاب المقدس .. عرض ونقد

ناقشنا فى الفصول السابقة من هذه المواجهة أهم «القضايا» التى آثارها البابا شنودة فى مقاله المشار إليه قبلا، والتى آثارها مخرجو كتاب «استحالة تحريف الكتاب المقدس» وهو الوثيقة الثانية من الوثائق الثلاث التى نواجهها هنا. ونريد - الآن - وقبل التعرض لما جاء فى الوثيقة الثالثة أن نعرض نصوصا من الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد (التوراة والإنجيل) ثم نقوم بنقدها مشيرين إلى ما يسفر عنه النظر فيها، ليتأكد القارئ «المحايد» أو خالي الذهن، وليتأكد غيره ممن لهم مواقف سابقة من هذه القضايا موضوع المواجهة - سلبا أو إيجابا - أننا لا نتميت للقوم حقا، ولا نشايح لهم باطلا، وإنما نستهدف، - فيما نستهدف - أن للإسلام سلطانه المستقل فى إقرار الحق، وتشديد النكير على الباطل. وأنه حين وقف موقفه المعروف من عقائد أهل الكتاب، وما استحدثوه منها مخالفين به ما بين أيديهم من نصوص التوراة والإنجيل المنزلين من عند الله. وما أملت عليهم أهواؤهم من التحريف والتبديل اللذين الحقوهما بنصوص الوحي. حين وقف الإسلام موقفه المعروف من هذه الأمور، فإنه لم يكن يعادى حقا، وإنما كان يحارب باطلا حتى يحيا من حياى عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة. ولا يبنئك مثل خبير والخبير - هنا - هو القرآن المهيمن على الكتاب كله. ومنهجنا فى هذا الفصل أن نشطره شطرين: الأول نعرض فيه نصوصا من التوراة ثم ننقدها نصا نصا، والثانى نعرض فيه نصوصا من الإنجيل، ثم ننقدها نصا نصا، تاركين للقارئ حرية الرأى والاعتقاد. فلنبداً والله يسدد خطانا، فما أردنا إلا نصر حقه. ويجنبنا مهاوى الزلل. ويعيننا على دحر الباطل. ويجمعنا على الحق. والحق وحده.

● عرض ونقد نصوص من التوراة (١):

● أولا - فى حق الله :

أن أول ما يفجؤك فى التوراة ما جاء فى الاصحاح الثانى من سفر التكوين فى الآيات الثلاث الأولى (١ - ٣) وهى تقول بالنص :

(١) ينقسم الكتاب المقدس إلى قسمين : القديم وهو التوراة وتتألف من خمسة أسفار هى : التكوين والخروج، واللاويون، والعدد ثم سفر التثنية، ثم ألحقت بها أسفار الرسل الذين جاءوا بعد موسى عليه السلام وغيرهم ويرمز لاسفار التوراة بكلمة «تخلعت» فكل حرف من هذه الحروف الخمسة رمز لسفر : التاء للتكوين، والحاء للخروج وهكذا. أما العهد الجديد فيشمل أربعة أناجيل هي : متى ومرقس ولوقا ويوحنا ثم ما يسمونه بأعمال الرسل. وأساس هذا التقسيم هو مبعث عيسى عليه السلام فما قبله هو العهد القديم، وما تلاه هو العهد الجديد.

« فأكملت السموات والأرض وكل جندها . وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذى عمل (!) فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل (!) . وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا ..؟! »

هذا هو نص التوراة . فبم أظهرت التوراة الله؟!
أظهرت التوراة الله - سبحانه - فى صورة « عامل » أخذ يعمل أسبوعا - تقريبا - ثم أنهى عمله فى نهاية الأسبوع ، وفى اليوم السابع منح نفسه « أجازة » فاستراح فيه ، وفرح به فرحا فباركه وقدسه (!) . لأنه استراح فيه من جميع عمله الذى عمل .
أن الذى يشعر بالراحة يشعر بالتعب . هذا هو شأن الله فى التوراة : يعمل ويتعب . ثم يستريح ويفرح بالراحة . سبحانه الله عما يقولون وتعالى علوا كبيرا!؟

● القرآن يدحض هذه الفرية :

من نعمة الله على المؤمنين ، وحجته على الكافرين أن ختم رسالات السماء بالإسلام ، وختم كتب السماء بالقرآن ، وجعله مهيمنا على ما بين يديه من الكتب يصحح أخطاءها ، ويقوم معوجها ، ويكشف زيفها ، وينقيها من أهواء المبطلين . ومن مظاهر هذه « الهيمنة » ما قرره القرآن الأمين فى مسألة خلق الكون هذه ، وفيها يقول :
﴿ أَنْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأحقاف : ۳۳] .

﴿ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [ق : ۱۵] .
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ [ق : ۳۸] فهذا هو القرآن المهيمن ينزه الله عما تصفه به التوراة . آية الأحقاف تنفى أن يكون الله قد أصابه « إعياء » من خلق الكون وما فيه . وآية (ق) الأولى تنفى عن طريق الاستفهام الإنكارى « أفعيينا » ذلك الأعياء المنسوب إليه - سبحانه - فى التوراة لأن معنى « أفعيينا » : لم نعى . والأعياء التعب .

وتأتى آية ق الثانية فتنفى أن يكون الله قد أصابه شيء من لغوب حين خلق السموات والأرض وما بينهما . واللغوب : التعب .

والحاصل : أن التوراة تنسب إلى « الله » سبحانه التعب والإعياء . والقرآن ينفى ذلك الزعم . فأى العقيدتين أليق بخالق السموات والأرض وخالق كل شيء ..؟! نترك هذا للقارىء .

● التوراة تصف «الله» سبحانه - بالجهل والتعدد...؟!!

ولن نمضى بعيدا حتى تفاجئنا التوراة بنسبة الجهل إلى الله - سبحانه - كما تصفه بأنه «واحد» من مجموعة آلهة. وإليك نصها بالحرف وهى تتحدث عن قصة آدم وحواء فى الجنة بعد أكلهما من الشجرة المحرمة.

«وسمعا صوت الرب الاله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار. فاختبأ آدم وأمراته من وجه الرب الاله فى وسط شجر الجنة. فنادى الرب الاله آدم وقال له: أين أنت: فقال: سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت. فقال: من أعلمك أنك عريان هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها...» سفر التكوين الاصحاح الثالث (٨ - ١١).

أن نسبة الجهل لله - سبحانه - ظاهرة من سياق الكلام ظهورا لا يحتمل تأويلا أو جدلا أو مجازا، فآدم وحواء يختبئان حين سمعا صوت (أقدام) الرب ماشيا فى الجنة. ونتج عن هذا أن نادى الله آدم يسأله أين هو؟! .. ثم يسأله من أعلمه أنه عريان؟ .. ثم يسأله هل أكل من الشجرة...؟! ويمضى النص بعد هذا فيذكر عدة أسئلة موجهة من الله إلى آدم، وهذه الأسئلة - كما يفهم من السياق - ليست هى من أسئلة العالم بمضمون الجواب فتكون مجازا. بل هى أسئلة من يجهل مضمون الجواب ولا يدركه إلا ظنا...؟!!

ولا يقال أن فى القرآن نظيرا لهذا الأسلوب مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ

يَا مُوسَى﴾ [طه: ١٧]. لأن للسؤال هنا هدفا بيانيا هو اراءة موسى عليه السلام عظمة قدرة الله فى قلب العصى حية. ومثل قوله تعالى لعيسى: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]. لأن السر البياني فى هذا السؤال هو أن يظهر الله براءة عيسى مما نسب إليه.

أما هذه المحادثة العجيبة التى ادارتها التوراة بين الله وآدم فلا تحتمل إلا المعنى الظاهر منها. ولا عجب فالذى ينسب إلى «الله» سبحانه التعب والأعياء والمتعة بالأجازة والراحة فليس ببعيد عليه أن ينسب إليه الجهل ولو بأظهر الحقائق...؟!!

● موقف القرآن من هذا التخريف؟

يتعقب القرآن هذا التخريف فيدفعه دفعا. ويظهر لك هذا الموقف العظيم من مئات الآيات التى تصف الله بالعلم والإحاطة الشاملة. ونكتفى هنا بموضعين أحدهما

هو نص فى دفع الوهم الذى جاء فى التوراة فى هذه الواقعة. والثانى عام فى كل معلوم.

أما الأول فقد ورد فى سورة «الأعراف» وهى أسبق السور القرآنية التى ذكرت فيها قصة آدم نزولا. وإليك ما جاء فيها :

﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَسَوَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلُّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [الأعراف : ١٩ - ٢٢].

فأنت ترى فى هذا النص الأمين جلال «الله» ظاهرا فى كل موقف .. واختفت فيه تلك «المحادثة» العجيبة أسئلة من الله - لا حد لها - وإجابات من آدم. ليس فى النص القرآنى شىء من ذلك .. والسر أن واحدا منها لم يحدث. أن لعبة «الاستغماية». التى وردت فى التوراة اختفت فى القرآن، لأنها لم تحدث أصلا. وهذه هى ميزة القصص القرآنى. أنه أحسن القصص. وحسنه راجع إلى صدقه وأمانته فى النقل والتصوير ما كان حديثا يفترى، ولكن تصديق الذى بين يديه من الحق.

وأما الموضع الثانى العام بكل معلوم لله، فهو قوله تعالى :

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٥٩].

فأين يكون اختفاء آدم وراء أشجار الجنة؟ وهل يخفى على الله ما صنعه من أكل ثمار الشجرة المحرمة. الله الذى يعلم الحبة فى ظلمات الأرض أيخفى عليه موضع آدم بين الأشجار !؟..

والحاصل : أن التوراة تنسب إلى الله «الجهل» والقرآن ينزهه من هذا النقص الشنيع فهو يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.

فأى العقيدتين أليق بالخالق العظيم ما تقوله التوراة؟ أم ما يقرره القرآن؟! على العاقل أن يوازن ويختار .

أما نسبة التوراة التعدد وكون الله واحداً من مجموعة آلهة فتراه في قول التوراة تصف موقف الله بعد علمه - سبحانه - بما حدث من آدم وحواء: «وقال الرب الاله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا (١) عارفاً للخير والشر»؟! سفر التكوين الاصحاح الثالث (٢٢) .

فتأمل أخى القارئ عبارة: «كواحد منا» والمتكلم هنا هو الله . وهذا النص دليل على أن الله واحد من جماعة الآلهة . وهذه الدلالة غير قابلة للصرف عن ظاهرها ولا يقال - كذلك - أن الله تعالى تحدث في القرآن عن نفسه بأسلوب الجمع كقوله تعالى مثلاً «كما بدأنا أول خلق نعيده . وعدا علينا إنا كنا فاعلين» .

لأن ما في القرآن إنما هو نون الجماعة . ويسمى في اللغة العربية نون التعظيم إذا ورد في سياق الحديث عن «المفرد» كقولك متحدثاً عن نفسك: عاهدنا الله على أن ندفع كل باطل ونؤدى ما لله علينا من واجب مكان «عاهدت» و«ادفع» و«أؤدى» و«على» وهذا النون وأن كان في الأصل خاصاً بالجماعة . فإن دلالة عليها ليست قاطعة لوروده في مقام الأفراد .

ولو جاءت عبارة التوراة على هذه الصورة «صار مثلنا» لما عابها أحد ولكن مجيئها على ما جاءت عليه «كواحد منا» بذكر الواحد منكرأً مبيناً ومفسراً بنون «جماعة الآلهة دليل قاطع على تورط التوراة في نسبة التعدد لله الواحد الأحد» .

● موقف القرآن من هذه الفرية :

الآيات التي تتحدث عن «وحدانية الله» يصعب حصرها هنا . وحسبنا منها حديث الله لموسى الذى حرف اليهود توراته فاسمع إليه يقول:

﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه : ١٤] .

والحاصل: أن التوراة تنسب إلى الله التعدد، والقرآن ينفي ذلك التعدد فأى العقيدتين أليق بجلال الله الذى ليس كمثلته شئ .؟! ذلك هو دور العقل السليم والفترة الصحيحة .

● التوراة تنسب لله الندم والحزن :

ويعضى محرفوا التوراة فى أباطيلهم فينسبون لله أنه ندم وحزن على خلق الناس (!) وإسكانهم الأرض حين رأى شرهم قد كثر . وهذا هو نص التوراة فى ذلك .

«ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض ... فحزن الرب أنه عمل الإنسان فى الأرض، وتأسف فى قلبه (!) فقال الرب أمحوا عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته . الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء، لأنى حزنت أنى عملتهم (!)» سفر التكوين الأصحاح السادس (٥-٧) .

هذا ما ترويه التوراة أحد عهدى الكتاب المقدس؟! ولا أرى القارئ فى حاجة إلى توضيح ما فى هذه النصوص من مزالق خطيرة جدا . فالله يندم ويحزن (هكذا) لأنه خلق الإنسان وأسكنه (!) وأن هذا الندم والتأسف والحزن كان نتيجة جهل الله (سبحانه) عما سيكون عليه مستقبل الإنسان حين خلقه . إذ لو كان عالما بهذا لما خلقه ابتداء .

هذه صورة «الله» فى توراة الكتاب المقدس؟! والمفروض أن التوراة كتاب منزل على موسى، والمفروض أن هذا هو كلام الله عن نفسه .. أليس - كذلك - فى لضلال العالم لو لم ينزل الله القرآن ويسجل فيه بأمانة أصول العقائد التى جاءت بها الرسل، ونزل بها الوحي، ويحميها من ضلالات أصحاب الهوى والزيف .

● القرآن يصحح هذا الخطأ :

لم يندم الله على شىء، لأن الندم وليد الجهل بالعواقب . والله حين خلق الناس كان عالما بكل ما سيكون منهم معدا لكل جزاءه وهو الغنى الجميد . وهذا هو القرآن يقول : ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِنُفْقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَخُلُ وَ مِنْ يَخُلُ فَإِنَّمَا يَخُلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [محمد : ٣٨] .

ويقول : ﴿ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الواقعة : ٦٠ - ٦١] .

فلو حدث أن الله ندم على خلق الإنسان لما تركه يعمر الأرض ويتكاثر عاما بعد عام . وهنا تظهر فرية التوراة المحرفة فإن ما زعمته لم يحدث منه شىء . والذى زعمته التوراة هو محو الله الإنسان عن وجه الأرض فقالت : « فقال الرب : أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته »!؟ .

فهل محا الله الإنسان كما تزعم التوراة؟! كلا . ولكن الذى حدث، ويحدث . أن تضاعف عدد الإنسان بلايين المرات من بعد نزول التوراة . فبقى زعم التوراة شاهد صدق على تحريفها وتبديلها، وسيبقى هذا ما بقيت حياة، وما بقيت التوراة .

والحاصل : أن التوراة تنسب إلى الله الندم والحزن والتأسف، والقرآن ينفي عنه كل هذه الأمور. فأى العقيدتين هي ملاك أمر المؤمن؟ ذلكم متروك لوجدان المؤمن نفسه واحساسه بالعجز المطلق أمام قدرة الله المطلقة.

● التوراة تنسب لله خشيته من الناس !؟..

والعجب كل العجب أن التوراة تزعم أن بنى آدم كانت لهم لغة واحدة يفهمونها فاتحدوا شعبا واحدا وبدأوا يبنون لهم مدينة ليقيموا بها برجا يصل إلى السماء. ونزل الله ليرى هذه المدينة فلما رآها وعلم ما هم مجمعون عليه من إقامة البرج خشى الله (!) اتحدهم وقوتهم ومنذ ذلك الوقت فرق لغاتهم فجعل لكل طائفة لغة خاصة حتى لا يتحدوا ويقوى شأنهم. وإليك نص التوراة فى ذلك :

« .. وقال الرب هوذا شعب واحد، ولسان واحد لجميعهم (١) وهذا ابتداءهم بالعمل والآن لا يتمتع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه. هلم تنزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض (!) فبدهم الرب من هناك على وجه كل الأرض فكفوا عن بنيان المدينة (!) - « تك (١١ / ٦-٨) .

المدينة التى تقصدها التوراة - هنا - هى مدينة بابل ويقولون أنها سميت بابل اشتقاقا من كلمة « نبلبل (١) » الواردة فى هذا النص . ويجلوا لبعضهم أن يجعل هذه الواقعة الخرافية هى السبب الوحيد فى اختلاف لغات الشعوب ولهجاتها . وبالاطلاع على ما نقلناه لك من قاموس الكتاب المقدس يتضح لك أن الفكر الإنجيلي الحديث ما زال مرتبطا بأوهام وأباطيل القدماء (٢) . وكان الأجدر أن يكون له منها موقف آخر شجاع . ولكن شيئا من هذا لم يحدث .

● القرآن يرد هذا الزعم :

يثبت القرآن لله سلطانا قويا لا يماثله ولا يدانيه سلطان . وقد تحدى الله بهذا

(١) جاء فى قاموس الكتاب المقدس فى شرح هذه العبارة ما يلي : « إلا أن الرب لم يكن فى قصده تجمع الناس بعد الطوفان . بل انشأهم لتعمير الأرض . ثم لم يكن من صالح الناس أن يلجأوا إلى طرقهم وكبرياتهم فى تحدى الرب، فبلبل الرب ألسنتهم » أنظر القاموس المذكور ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(٢) صدرت الطبعة الأولى لقاموس الكتاب المقدس ما بين (١٨٩٤ - ١٩٠١م) وهذا النقل من طبعة (١٩٧١) وممن قام بتحريه الدكتور كامل مراد، وهو أستاذ معاصر بجامعة القاهرة وعضو بمجمع اللغة العربية بالقاهرة . وآخرون ما زالوا أحياء يرزقون ؟ هذا كان فى وقت الطبعة الأولى من كتابنا هذا . أما الآن فالعلم لله بمن مات وبمن بقى حيا .

السلطان كل القوى . ومن يقرأ آيات القرآن في هذا المجال يشعر بهيبة جلال الله وعظمته وكبريائه الذي لا يزول . ومن تلك الآيات :

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر : ٦٧] .

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾ [الرحمن : ٣٣] .

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴾ [الأنعام : ٦١] .

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدمدم عليهم ربهم بذنبيهم فسوأها * ولا يخاف عقباها ﴾ [الشمس : ١١ - ١٥] .

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة : ١٧] .

﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٣] .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة : ٢٤٢] .

وغير ذلك كثير من الآيات التي تتحدث عن عظمة قدرة الله وسلطانه الباهر . فكيف يخشى الله حفنة من عباده أو كيف يخشى الله أية قوة مهما عتت . أنه خالق كل شيء وبيده مقاليد الأمور إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن : فيكون . وما أمر الله إلا كلمح بالبصر أو هو أقرب !؟

● اختلاف اللغات آية من آيات الله !

إن القرآن الحكيم يعرض على الناس فكرة اختلاف اللغات والأصوات معرضاً

خاليا من كل زيف أو تخريف . واضعا لها موضعها الأصيل من الفهم والاعتقاد وإليك نص القرآن فيها :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الروم : ٢٢] .

تحدث هذه الآية الكريمة عن أربع آيات لله هي : خلق السموات – خلق الأرض – اختلاف الألسنة والأصوات – اختلاف الألوان . ولما كانت هذه الآيات لا تخفى صورها على أحد ، فإن الآية عرضتها عرضا أميناً للعالم كله باختلاف اجناسه : فلكل إنسان ميزة خاصة في صوته تميزه عن سواه ممن يتحدثون بلغته أو بغير لغته . ولكل طائفة أو مجموعة من الشعوب لغة خاصة يتحدثون بها ويتعلمونها منذ الصغر . ويعتبرونها لغتهم الأم وأن تعلموا غيرها .

واختلاف الألسنة والألوان معطوف على خلق السموات والأرض . والله لم يخلق السموات والأرض للسبب الذي تذكره التوراة في اختلاف اللغات حتى يصح عطف المعطوف على ما عطف عليه . وإنما هي آيات عامة قدر الله شئون الخلق عليها تقديرا لم يخطيء فيه لا وسيلة ولا غاية . والله لم يقدر اختلاف الألوان للسبب الذي تذكره التوراة في اختلاف اللغات . ومع هذا فإنه سبحانه جعل اختلاف الألسنة والألوان كالشيء الواحد مع أنهما شيان في الواقع . وما هذا إلا لأن هذه الآيات كلها إنما هي دلالات يتأملها المؤمن فيزداد إيمانا بعد إيمان . واختلاف الألسنة في الآية له دلالتان غير متدافعتين . ولا يمنع أن تحمل الآية عليهما معا وهما :

اختلاف اللغات . ثم اختلاف الأصوات . واختلاف اللغات كما نعلم يكون باختلاف رموز المعاني وهي الكلمات فكلمة « تودا » في العبرية ، وكلمة « ثانك » هما بمعنى كلمة « شكرا » العربية .

أما اختلاف الأصوات فهو ما نلاحظه من الشدة واللين ، والهمس والجهارة وهكذا . وكل هذا من آيات الله وصنعه ، واختلاف الألسنة بالمعنيين موجود من قبل موسى عليه السلام ، أما اختلاف الأصوات فموجود منذ بدء الخليقة ، وهذا كله يثبت أن ما ترويه التوراة إنما هو محض افتراء وباطل .

ولو كان الأمر كما تزعم التوراة لكان الأجدر – بالله – أن يبتلى الناس باختلاف قلوبهم فيملؤها حقدا وبغضا حتى لا يتحاب اثنان . ذلك أجدر ليأمن مكر الناس

وتحديهم له - سبحانه - لأن اختلاف اللغات - كما هو مشاهد - لم يمنع من قيام الترابط بين الشعوب والأمم.

● المحظور في التوراة مأموره في القرآن :

رأينا أن التوراة تنسب إلى الله كراهة اجتماع الناس واتحادهم، وتزعم أن الله - تعالى عما يقولون - يعتبر اتحاد البشر تحديا له نفسه، ولذلك خالف بين لغاتهم حتى لا يكونوا شعبا واحدا لهم من القوة ما يوصلهم إلى ما يريدون. وقد رأينا دفع القرآن الحكيم لهذا الزعم.

وللقرآن دفع آخر يبطل ما ترويه التوراة، حيث جاء الاتحاد في القرآن أمرا مأمورا به مرة، ومنهيا عن ضده وهو التفرق مرة أخرى. جاء الأول في قوله تعالى :

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا...﴾ والاعتصام هو الاتحاد والترابط القوي بين الناس؛ ثم جاء النهي عن التفرق في بقية الآية المذكورة وهو : ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران : ١٠٣].

وللنهي عن التفرق هذا نظير في القرآن الحكيم حيث جاء فيه قوله تعالى :

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾^(١) وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال : ٤٦].

وهكذا. فما كان محظورا في التوراة جاء مأمورا به في القرآن ومنهيا عن مخالفته.

والحاصل : أن التوراة تنسب إلى الله - سبحانه - الضعف والخشية من خلقه أما القرآن فإنه ينزه الله من هذه «النقائص» ويثبت له السلطان المطلق والقدرة الفائقة وإنفاذ الأمر الذي يريده دون خشية العواقب، لأنه هو القاهر فوق كل المخلوقات.

فأى العقيدتين أليق بجلال الله، وأيهما : التوراة والقرآن. هو الصادق الذي يشرى وجدان المؤمنين ومشاعرهم. ليفكر العقل ثم ينتخب..

التوراة : شيوخ اليهود رأوا الله .. ولكنه لم يصفحهم !؟
لم يرد وصف الله بأوصاف حسية مجسمة في كتاب كما جاء في أسفار التوراة

(١) الريح : القوة والعزة.

وننقل للقارىء - هنا - فقرأ من سفر الخروج ليعلم علم اليقين ما فى هذه الأسفار من أباطيل تنفى نفيا قاطعا أن تكون هى التوراة التى أنزلها على موسى عليه السلام. وأنها تثبت الشئ ثم تعود فتنتفيه، وما هكذا وحى الله إلى رسله.

جاء فى سفر الخروج الاصحاح الرابع والعشرين الآيات التاسعة والعاشره والحادية عشرة وهذا نصها :

« ثم صعد موسى وهارون، ونادأب وأبيهو، وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا « إله إسرائيل » ؟ وتحت رجله (!) شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف، وكذات السمات فى النقاوة. ولكنه لم يمدده (!) إلى أشراف بنى إسرائيل . فرأوا الله وأكلوا وشربوا « ؟ !

.... والله يسكن بين اليهود فى مسكن يوصى .. ؟ !

وجاء فى الاصحاح الخامس والعشرين من سفر الخروج الآيتان الثامنة والتاسعة وهما تنصان على أن الله طلب من موسى أن يصنع بنو إسرائيل « مسكنا للرب » لكى يسكن الرب بينهم . وهذا نصها :

« فيصنعون لى مقدسا لأسكن فى وسطهم . بحسب جميع ما أنا أريك من مثال المسكن، ومثال جميع آتيته هكذا تصنعون « ؟ !

ثم تمضى التوراة فتذكر أبعاد وهيئة المسكن كما يحددها الرب، والأدوات التى تستخدم فيه من خشب ومعادن وشعر معزى وجلود كباش .. إلخ. ثم جاء فى الاصحاح السادس والعشرين عدد الشقق المطلوبة مع بيان مساحاتها وهيئاتها وإليك النص :

« وأما المسكن فتصنعه من عشر شقق بوصى مبروم ... طول الشقة الواحدة ثمان وعشرون ذراعا. وعرض الشقة الواحدة أربع أذرع. قياسا واحدا لجميع الشقق. تكون خمس من الشقق بعضها موصول ببعض . وخمس شقق بعضها موصول ببعض .. » الآيات (١ - ٣) .. ؟ !

● واحدى عشرة شقة أخرى :

كما تتحدث التوراة عن خيمة الاجتماع التى سيجتمع فيها الرب بينى إسرائيل. وهكذا تقول :

« وتصنع شققا من شعر معزى خيمة على المسكن، إحدى عشرة شقة تصنعها طول الشقة الواحدة ثلاثون ذراعا، وعرض الشقة الواحدة أربع أذرع، قياسا واحدا للأحدى عشرة شقة، وتصل خمسا من الشقق وحدها، وستا من الشقق وحدها. وتثنى الشقة السادسة فى وجه الخيمة » سفر الخروج (٢٦ / ٧ - ٩) .. ؟ !

● إضاءة خيمة الاجتماع ..!؟

أما كيف تضاء خيمة اجتماع الرب ببني إسرائيل فنتكفل الآيتان (٣٠ - ٣١) من الاصحاح السابع والعشرين من نفس السفر السابق بالبيان، وهذا نصهما :

« وأنت تأمر بني إسرائيل أن يقدموا إليك زيت زيتون مرضوض نقيا للضوء لإصعاد السرج دائماً . في خيمة الاجتماع خارج الحجاب الذي أمام الشهادة يرتبها هارون وبنوه من المساء إلى الصباح أمام الرب ، فريضة دهرية في أجيالهم من بني إسرائيل .. »!؟

كما تصف التوراة نهاية كلام الله مع موسى بعد مشوار طويل طويل فتقول :

« ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوحى الشهادة . لوحي حجر مكتوبين بأصبع الله!؟ » سفر الخروج (٣١ / ١٨) ..!؟

هذه نقول « من التوراة وهى قليل من كثير، ولا اعتقد أن القارىء الكريم فى حاجة إلى توضيح حول ما جاء فيها . . ولكن الأمر الذى لافكاك منه أن من يصدق ما جاء في سفر الخروج مما نقلناه وما لم ننقله على أنه وحى الله إلى موسى فى التوراة، فإنه يخرج من عقله أو يخرج منه عقله، لأن سفر الخروج قد خرج عن كل معقول ومنقول . فهو سفر الخروج حقا وبلا أدنى نزاع . وأحيل القارىء إلى أن يطلع بنفسه على كل ما جاء فى هذا السفر الخروجى، وأوصيه بأن يستعين بالصبر الجميل على قراءته ومتابعته حتى النهاية والله يعصمنا وإياه من الردى .. ؟ وهذا الضباب المتراكم الذى يسرده السفر يتبدد فى لحظات قصار عندما يرسل النهار اشعته هدى ونورا للسالكين . فتعال نستمع معا إلى القول الحق الأمين .

● مع القرآن فى هديه الوضىء :

يتعقب القرآن الأمين تلك الدعاوى كلها فيبطلها بما يقرره من حق . وفاء بالأمانة فى النص والبلاغ . ولكى ندرك دور القرآن فى دفع هذه المزاغم فإننا نقسم ما جاء فى التوراة إلى ما يلى :

● أولاً - دعوى التوراة أن شيوخ بني إسرائيل رأوا الله ... ثم أكلوا وشربوا بحضرته وكان دفع القرآن لهذه الفرية من وجهين :

الوجه الأول : أنه بين فى وضوح أن موسى نفسه حين طلب أن يرى ربه وهو يتلقى كلامه على الجبل لم يمكنه « الجليل » من تلك الرؤية . وفى ذلك يقول القرآن الأمين ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي وَلَكِنِ

انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ
 مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ [الأعراف : ١٤٣]
 فإذا كان هذا هو حال موسى في عدم الرؤية، وهو أفضل بنى إسرائيل، لأنه نبيهم
 فكيف يكون حال غيره من قومه مهما كانوا من الفضل والتقوى...؟!
 الوجه الثاني : أن القرآن الأمين يقص علينا ما صنعه الله ببنى إسرائيل حين قالوا
 لموسى عليه السلام : لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة...؟! وفى ذلك جاء قوله
 تعالى فى شأنهم .

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ
 تَنْظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة : ٥٥ - ٥٦] .

وهذا نص قاطع فى نفى أن يكون بنو إسرائيل قد رأوا الله سبحانه . لأنه حين
 علقوا إيمانهم لموسى برؤيتهم الله - عيانا أماتهم الله ، ثم أحياهم مرة أخرى وأراهم
 بعض الآيات . أما الرؤية المطلوبة فلم يمكنهم منها . وبهذين الوجهين يندفع ما زعمته
 التوراة من رؤية بنى إسرائيل لله ، وينهار بانهايار هذه الفرية كل ما رتبوه عليها من
 أوهام...؟!

● ثانيًا : دعوى التوراة أن الله كلم موسى أن يصنع له بنو إسرائيل مسكنًا
 ليسكن بينهم ؟ ويجتمع بهم أبد الدهر : ومع أن هذا الوهم المريض لا يحتاج إلى
 مهارة فى دحضه لأن من يقرؤه لا يكاد يستسيغه ويفضل أن يحتسى السم فيجد له
 طعما أيسر على النفوس قبله من هذا الكلام الغث الهزيل . فإن آية واحدة من
 القرآن الأمين تدفعه كله دفعة واحدة فإذا هو زاهق . وهذه الآية تلخص فى صدق
 وأمانة ما قاله الله لموسى عقيب الميقات الموعود ، وإليك نصها :

﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ
 وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

ثم تتلوها آية مفصلة وفيها يقول الحق سبحانه :

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ
 وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٤ - ١٤٥]

وبهذا البيان الأمين اختفى الباطل بكل صورته: فلا مسكن للرب، ولا خيمة اجتماع ولا مذبح ولا بخور ولا بوص مبروم، ولا شعر معزى ولا شقق ولا كباش ولا سرج من زيت الزيتون المرصوص. لقد رض هذا كله ثم حرق ثم نسف في البحر نسفاً..؟! **والحاصل:** أن التوراة تجعل من الله - سبحانه - الها مجسماً يحل في مكان ويخلو منه مكان، وهو «اله» يسكن في مسكن بين بنى إسرائيل وفي مسكنه ألوان لا حد لها من الزخارف والديكورات الغريبة التصور والتكوين، يجتمع بنى إسرائيل كل مساء حتي الصباح أنه «اله» لبني إسرائيل وحدهم، وليس لغيرهم من الخلق..؟! والقرآن ينزه الله عن التجسيم والحلول فهو فوق كل مكان وزمان. سلطانه عظيم وجلاله مهيب رب كل المخلوقات لا يشغله شأن عن شأن غنى عن العالمين موصوف بكل كمال، منزه عن كل نقص، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار..

فأى العقيدتين - يا ترى - يستحق الموصوف بها أن يكون «هو الله» الذي يملأ قلوب المؤمنين نوراً وهدى؟!!

ولنترك - التوراة - في حديثها عن «الله» فقد علمنا «منزلته» فيها «فيا ترى كيف يكون حديثها عن رسل الله..؟! ذلك ما سنراه في الصفحات التالية.

ثانياً: في حق الرسل

إن كتاباً يصور «الله» سبحانه بما قد رأينا من تصوير خرافي الله منزه عنه. ليس بغريب عليه أن يصور رسل الله في صور شريرة ماجنة ومهووسة. وهذا ما صنعتته التوراة مع بعض رسل الله المكرمين الأطهار. ونضع أمام القارئ صوراً من تجريح التوراة للأنبياء والرسل واضعين كل اعتبار في النقل والتفسير الموضع الأول من اهتمامنا:

● لوط يسكر ويزنى بابنتيه:؟!!

النص:

«وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل، وابنتاه معه، لأنه خاف أن يسكن في صوغر، فسكن في المغارة هو وابنتاه. وقالت البكر للصغيرة: أبونا شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض. هلم نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه فنحبي من أبينا نسلاً، فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة أنى قد اضطجعت البارحة مع أبي. نسقيه خمراً الليلة أيضاً، وقامت

الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها . فحبلت ابنتا لوط من أبيهما . فولدت البكر ابنا دعت اسمه مؤاب ، وهو أبو المؤابيين إلى اليوم والصغيرة أيضاً ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمون . وهو أبو بنى عمون إلى اليوم « سفر التكوين (١٩ / ٣٠ - ٣٨) .

فهذه وثيقة اتهام مكشوفة تصم بها التوراة نبي الله لوط عليه السلام ولو أن محاميا ملك كل ملكات التأويل والإخراج ، وشهدت له كل مجامع القضاء والفصل فى الخصومات حاول أن يبرىء التوراة مع جريمة « القذف » العلى المتعمد لضاقت عليه السبل وأعيته الحيل ، ولقطعت « جهيزة » قوله ، ولاستحالت براعته إلى عيب ووجوم .

فالزنا بغير المحارم شنيع ومسقط للمرءوة ، فما بالك والزنا الذى تتهم به التوراة لوطا عليه السلام كان منه على ابنتيه . بل على نفسه فالبنت بعض من ولدها (!) . وليست التهمة زنا فحسب ، ولكنها زنا وسكر . هكذا نبي يسكر ويزنى بابنتيه . ولا يضير التوراة فى مجال الدفع أنها تقول : « ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها » لأنه كان سكرًا فقد إدراكه ؟!

لأنه أن زنا وهو لا يعلم فهل كان حين سقته ابنتاه الخمر سكرًا - كذلك - قبل أن يشربها .. ؟!

وهب أنه شرب وسكر فى المرة الأولى وهو لا يعلم أن « المشروب » خمر ، ثم زنا وهو لا يعلم أفلا تذكر بعد أن أفاق أن عقله قد ذهب بالأمس ، ولم يتخيل أنه واقع بكرته « الشيطانه » ؟ فلماذا لم يتنبه فيمتنع عن تناول الخمر حين قدمتها له فى المرة الثانية ؟!

نحن نعلم أن السكير الآن يتحدث عن مغامراته التى خاضها وهو سكران . أما أن ينسيه السكر كل شىء فهذا أمر لا يصدق ؟

وكيف سمح لوط لابنتيه أن يصطحبا معهن الخمر من « صوغر » إلى « الجبل » ؟! وهل كانت بنتاه تنويان هذا العمل بأبيهما قبل الذهاب إلى الجبل ولهذا فإنهما استعدتا للأمر قبل أن يكون ؟!

إن هذا - أيضاً - مدفوع ، لأن رواية التوراة نفسها توحى بأن هذه « الفكرة » الشيطانية طرأت على ابنته البكر بعد الصعود إلى الجبل .. ؟!

ولوط قد شاخ كما تروى التوراة عن إحدى ابنتيه، فكيف حملت منه ابنتاه - إذن - أم أن هذه «معجزة» صنعها الله مع «لوط» مثل معجزتى إبراهيم عليه السلام حين ولد بكره وهو شيخ وامراته عجوز، وزكريا عليه السلام حين ولد ابنه يحيى على كبر منه ومن زوجه. وإذا كان الأمر - كذلك - فلم لم يقص القرآن علينا نبأ هذه المعجزة كما قص نبأ إبراهيم وزكريا!؟!

وإذا غضضنا الطرف عن هذا كله فما هو مسلك لوط حين رأى ابنتيه قد حملتا وظهر ذلك عليهما. هل صمت ولم يسألها عن مصدر حملهما. أم سأل؟ ثم ماذا كان الجواب؟ أقالنا له الحقيقة أم خدعته فيه كما خدعته من قبل!؟...

هذه تساؤلات نضعها أمام أمناء الكتاب المقدس بعهديه. ثم أمام القارئ وهو

لا بد - واصل إلى عرار!؟!

● القرآن ببرىء لوطا وأهله :

ونزل القرآن المهيمن ليدفع عن نبي الله لوطا وصمة الخسة والسقوط التى سجلتها أهواء المرضى فى أسفار التوراة. ونذكر فيما يلى نص القرآن القاطع ببراءة لوط وابنتيه من كل سوء، وليس من الخمر والزنا فحسب.

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مِنْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ * قَالُوا لَنْ نَمُوتَ بِمَا نَعْمَلُ وَنَحْنُ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ * فَجَنَّبَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ * ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ١٦٠ - ١٧٤]. هذا آخر بيان للوحى

الأمين أودعه الله صدور الذين آمنوا. وفيه ترى لوطا النبى مشرق الصورة، نقى السيرة، محمود العاقبة. وهرعت إليه طوائف قومه ليفعلوا الفاحشة مع ضيفه ملائكة الله، فبرأ لوط من عمل قومه ويدعو ربه أن ينجيه وأهله من السوء أيا كان. ويستجيب له ربه فينجيه ويخبرنا فى أصدق كتبه بأنه نجاه وأهله إلا امراته، فحفظ القرآن للوط وابنتيه

عفتهم وشرفهم، ليبقى ما يقال غير ذلك أكذوبة الدهر حتى يقتص الله ممن قد تهجموا على رسله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

والحاصل : أن التوراة تتهم نبي الله لوطا بالسكر والزنا . وابنتيه بالزنا والخداع (!) . والقرآن يبرئهم من هذا كله فأيهما أحرى بالاتباع ثم : أيهما كاذب وأيهما صادق؟ سؤالان جوابهما معلومان ...؟! .

● ثلاثة من الأنبياء جدهم ولد زنا :

الاتهام بالزنا أمر كثير الشيوع في التوراة . كما حدث في قصة لوط وابنتيه . ونذكر هنا قصة أخرى شبيهة، تلوث - لو صدقت - طهارة ثلاثة من الأنبياء هم : داود، وسليمان وعيسى عليهم السلام . ونظرا لطول النص في التوراة فإننا نجتزئ منه ما فيه دلالة على ما نقول .

● يهوذا بن يعقوب يزني بزوجة ابنه :

جاء في الاصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين أن يهوذا بن يعقوب أخا يوسف عليهما السلام قد زنى بزوجة ابنه «عير» واسمها «ثامار» . وتحكى التوراة أن يهوذا هذا ماتت امرأته فأخبر جزار غنمه بأنه صاعد إلى موضع^(١) غنمه ليجزها . وهنا تبدأ خيوط المأساة فتقول التوراة بالحرف :

« فأخبرت ثامار، وقيل لها هوذا حموك صاعد إلى قمته ليجز غنمه (!) فخلعت عنها ثياب ترملها^(٢)، وتغطت ببرقع وتلففت وجلست في مدخل عيتايم^(٣) التي على طريق تمنا (!) ... فنظرها يهوذا، وحسبها زانية ... فمال إليها على الطريق، وقال : هاتي ادخل عليك .. فقالت ماذا تعطيني لكي تدخل على؟ فقال : أنى أرسل جدى معزى من الغنم! فقالت : هل تعطيني رهنا حتى ترسله؟ فقال ما الرهن الذى أعطيك؟ فقالت : خاتمك وعصابتك وعصاك التي فى يدك : فأعطاها ودخل عليها فحبلت منه . الآيات (١٣ - ١٩) سفر التكوين .

ثم تحكى التوراة وقائع ولادتها . إذ ولدت ولدين أحدهما دعى اسمه زارح . وأما الثانى « فدعى اسمه فارص » سفر التكوين (٣٨ / ٣٩) .

(١) ويسمى فى التوراة « تمنا » .

(٢) كانت ثامار فى زمن الحداد على زوجها «عير» كما فى التوراة .

(٣) اسم موضع .

وفارص هذا الذى تدعى التوراة أنه ولد من زنا هو جد كل من داود وسليمان وعيسى عليهم صلوات الله وسلامه .

دليل هذا ما جاء فى إنجيل متى من أسفار العهد الجديد الاصحاح الأول وفيه يقول متى :

« كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم . إبراهيم ولد اسحق، واسحق ولد يعقوب، ويعقوب ولد يهوذا، ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار .. » متى (١/٣-١).

ثم يقول متى فى نهاية سلسلة النسب : « ومثان ولد يعقوب، ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التى منها يسوع الذى يدعى المسيح .. » متى (١٥/١) .!؟.. وهكذا فى يقين تدرك حسب ما جاء فى سفر التكوين، وإنجيل متى أن داود وسليمان وعيسى ينتهى نسبهما إلى فارص الذى حملت به أمه من زنا مقابل جدى من المعزى !؟..

● القرآن يشهد بطهارة الرسل وسلامة معدنهم :

مثلما علت عقيدة الإسلام فى « الله » علت عقيدته فى « رسل الله » فكلهم مصطفون مختارون مبرأون من المآخذ والعيوب المحسوسة والمعقولة . والقرآن الأمين بين فى مواضع متعددة منه سمو رسل الله واختيارهم من صفوة خلقه وأطيبهم معدنا وأنقاهم سيرة، فيقول فى شأنهم :

﴿ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ الْآخِرِينَ ﴾ [ص: ٤٧] .

● ويقول فى آيات جامعة :

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام : ٨٣ - ٨٧] .

وتلك هى شهادة القرآن الأمين الصادق لأنبياء الله ورسله بأنهم كلهم مبرأون من العيوب، لأنهم مصطفون مختارون. والاصطفاء هو تخير الأصفى كما جاء فى كتب التفسير^(١). أى أنهم خالصون سالمون من كل دنس أو مغمز، وحاشا لله أن يجعل فى نسب رسول أو نبي من أنبيائه مخلوقا من نطفة زرعت فى غير أرضها فنبتت منبتا حراما..!؟

والحاصل: أن التوراة تلصق نسب طائفة من رسل الله وأنبيائه إلى مولود من زنا آثم فيه أبوه وأمه. والقرآن يرفع شأن هؤلاء الرسل والأنبياء فهم من أنقى خلق الله وأكرمهم عنده!؟

فأى العقيدتين أليق بطهارة الرسل الأعلام، والأئمة الهداة!؟ ما تزعمه التوراة أم ما يقرره القرآن..!؟ وازن ثم اختر والله يهديك.

• وداود يزنى ويقتل زوج عشيقته: !؟

وجاء الدور على داود عليه السلام، وبالشناعة ما تصفه به التوراة إذ تحكى عن قصة لا مكان لها فى كتاب موسى به من عند الله. أما مكانها الجدير بها، والجديرة هى به أن تكون فى كتاب «ألف ليلة وليلة» ولا بأس أن تزداد ليااليه ليلة أخرى أو ليلات بقدر ما يتسع لما تحكيه التوراة «الوقورة» عن داود نجاه الله مما يقولون وما يقولون إلا بهتاناً عظيماً.

ففى الأصحاح الحادى عشر من سفر صموئيل الثانى تقرأ هذه المأساة التى بطلها داود عليه السلام!؟

«وكان فى وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك. فرأى من على السطح امرأة تستحم، وكان المرأة جميلة المنظر جدا، فأرسل داود وسأل عن المرأة. فقال واحد أليست هذه.. بنت اليعام امرأة أريا الحثى. فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهى مطهرة^(٢).. ثم رجعت إلى بيتها، وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت أنى حبلى...» (٢ - ٥).

هذا هو نص الادانة. ويبدو فيه داود النبى نزقا شريرا، يحملق ببصره فى محارم الله، بل ويتعمق فى النظر حتى يفتتن قلبه فيشير كوامنه نحو المرأة الجميلة التى رآها تستحم (!؟) ثم يتبع هواه (!) فيسأل عنها من تكون، ولا يلبث أن يرسل إليها من

(١) انظر تفسير القرطبي (ج٣ ص ١٣٣).

(٢) أى غير حائض.

أحضرها إليه، وسرعان ما خلا بها وضاجعها حراما (١؟) ولما قضى منها وطره أرسلها إلى بيتها. ولكن المرأة شعرت بأنها حبلت من داود، فأرسلت إليه تخبره خبرها. وإلى هنا ينتهى النص الذى نقلناه آنفا. أما بقية القصة فنلخصها من بقية النصوص دون ذكر النصوص نفسها توخيا للايجاز ولمن شاء أن يطلع عليها فى مظانها فالأمر ميسور أمامه، ولنبدأ الآن من حيث انتهينا :

لم يطل التفكير بدادود، فقد أمر أحد رجاله أن يخرج للحرب، وأن يصطحب معه فيمن يصطحب أوريا زوج عشيقه داود، وأوصاه أن يكون أوريا فى مقدمة الجنود فإذا دارت الحرب فعلى الجنود أن يتزحزحوا إلى الخلف تاركين أوريا بين يدي جنود العدو ليقتلوه (؟!).

ونفذت وصايا داود وقتل أوريا فى الحرب، وندبت المرأة زوجها حين علمت بموته ثم انتهت مدة النياحة (؟!) وضمها داود إليه فصارت له امرأة، وولدت له ابنا؟! ثم تقول التوراة فى نهاية هذه القصة.

«وأما الأمر الذى فعله داود مقبح فى عينى الرب» صموئيل الثانى (٢٧/١١).

فداود - فى التوراة - زان متعمد، وقاتل مخادع .. أليس كذلك؟!..

والمؤسف كل الأسف أن هذه الفرية سيطرت حيننا على بعض مفسرى القرآن العظيم حين تفسيرهم لقصة الخصمين اللذين تسورا المحراب على داود^(١) فإنك ترى التأثير بما ذكرته التوراة عن داود هنا واضحا كل الوضوح ومع هذا فإن فرقا كبيرا تلحظه بين أقاويل المفسرين وبين ما ورد فى التوراة فبينما تصر التوراة على اقرار داود للزنا بزوجة أوريا، ثم الزوج به فى الحرب ليقتل فقتل. ترى المفسرين لا يقولون بوقوع الزنا منه قط، وإنما حصروا فتنته فى النظر وإرادة الزواج منها، وأن شايع بعضهم التوراة فى مسألة دفع أوريا إلى الحرب.

وأيا كان الأمر فإن محققى المفسرين يلتمسون لفتنة داود أسبابا أخرى غير النظر إلى امرأة أو الزوج بزوجها للقتل. ترى ذلك مبسوطا فى مظانه من كتب التفسير.

وداود عليه السلام برىء من هذه المعاصى التى حاولت التوراة أن تلصقها به لأنه نبي معصوم ولو صح ما تنسبه إليه التوراة - لو صح - لما أستحق أن يكون نبيا.

وقد تقدم ثناء الله عليه فى القرآن فى آية ﴿وَتِلْكَ حِجَّتُنَا﴾^(٢). وفى سورة ص نفسها يقول الله عنه :

(٢) الانعام: ٨٣ .

(١) انظرها فى تفسير سورة «ص» .

«وأذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب». ويبقى أثم هذه الفرية محمولا على

محرفى التوراة. فهم المسؤولون عنها فى المصادر اليهودية والإسلامية!؟..
وفى غير مجال الاتهام بالزنا، وردت صورتان فى التوراة إحداهما ألصقت
بنبى الله سليمان، والثانية بنبى الله هارون أخى موسى عليهم السلام، وهما صورتان
لو صدقت كل منهما على صاحبها لأخرجته من كونه رسولا يدعو عباد الله إلى
التوحيد الذى هو صلب الرسالات السماوية، إلى كونه وثنيا يعبد الأصنام. ونوجز
فيما يلي القول فيهما.

● سليمان يرتد ويعبد الأصنام!؟..

وردت هذه «الخرافة» المفتراة على نبى الله سليمان فى سفر الملوك الأول
الاصحاح الحادى عشر من العهد القديم. والغريب أن التوراة تمهد للصدق هذه الفرية
بسيرة سليمان عليه السلام بأن السبب الذى جعل سليمان يترك عقيدة التوحيد
فيعبد الأصنام فى حال شيخوخته، ويقدم لها المعابد ويقدم لها القران. تمهد لهذه
الفرية بأن سليمان خرج عن قانون «آله إسرائيل» فأحب كثيرا من النساء الغربيات،
وكان قانون «آله بنى إسرائيل» يحرم عليهم أن يدخلوا على النساء الغربيات كما يحرم
دخول الغرباء على نساء بنى إسرائيل.

ولكن سليمان عصى «آله بنى إسرائيل» فمال إلى نساء مؤابيات وعمونيات
وآدميات وصيدونيات وحثيات حتى بلغ عدد نسائه سبعمائة سيدة وثلاثمائة من
السراى (؟!).

ثم أسمع بعد هذا التمهيد الذى تراه فى مطلع الاصحاح الحادى عشر من السفر
المذكور إلى نص التوراة فى فرية ارتداد سليمان عليه السلام!؟..

«وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن
قلبه كاملا مع الرب الهه كقلب داود أبيه. فذهب سليمان وراء عششورت(*) الهة
الصيدونيين. وملكوم رجس العمونيين. وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ولم يتبع
الرب تماما كداود أبيه. حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس المؤابيين...
ولمولاك رجس بنى عمون، وهكذا فعل لجميع نسائه الغربيات اللواتى كن يوقدن
ويذبحن لآلهتهن. فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب آله إسرائيل،
الذى تراءى له مرتين وأوصاه فى هذا أن لا يتبع الهة أخرى. فلم يحفظ ما أوصى به
الرب» الآيات (٤-١٠).

(*) الكلمات السوداء أسماء أصنام.

هذا ما تروييه التوراة عن نبي الله سليمان . فلندعه - قليلا - ريشما نفرغ من رواية التوراة عن نبي الله هارون .

● وهارون يصنع العجل ويعبده من دون الله : !؟

تقول التوراة أن موسى عليه السلام حين أبطأ في العودة إلى قومه بعد خروجه من مصر ذهبوا إلى أخيه هارون، وطلبوا منه أن يصنع لهم آلهة لأنهم لا يدرون ما الذى حدث لموسى فلم يعد . فاستجاب هارون، وترك التوراة، وتحذثنا عن هذه الفرية : « فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيتكم وآتونى بها . فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم، وأتوا بها إلى هارون . فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلا مسبوكا فقالوا : هذه الهتك يا إسرائيل التى أصدعتك من أرض مصر . فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه ونادى هارون وقال : غدا عيد للرب فبكروا فى الغد واصعدوا محرقات، وقدموا ذبائح سلامة . وجلس الشعب للأكل والشرب . ثم قاموا للعب «!؟ سفر الخروج (٣٢ / ٢-٦) .

● القرآن المهيمن يبرىء الرسولين :

لو لم يكن لهذا الكلام من حق يهيمن عليه ويدفعه لفقده الناس الثقة فى رسل الله وأنبيائه . إذ من الخطير جدا على عقائد الأفراد والأمم أن يرتد رسول « أو يشك أحد فى رسالته عن الحق الذى به بعث، وهو التوحيد، ثم يعبد الهة من دون الله ولكان كل وثنى أو ملحد له قدوة من رسل الله فى وثنيته وإلحاده . ومن رحمة الله بالناس أن جعل آخر رسالات السماء مهيمنة على كل الرسالات التى تقدمتها فى الوجود، لكى ترد الحق إلى نصابه، وتذب عنه هوى العابثين، وأباطيل المبطلين . وها نحن أولاء نستفتى أمانة الله فى الأرض « القرآن » فى أمر سليمان وهارون وما نسبته إليهما التوراة فى خروجها !؟

● مكانة سليمان فى القرآن :

لسليمان بن داود عليهما السلام مكانة عالية فى القرآن الأمين لم يشبها زيغ أو انحراف . وفى ذلك يقول القرآن الكريم :

﴿ وَلسليمانَ الرِّيحَ غَدُوهاً شَهْرٌ ورواحها شَهْرٌ وَأَسَلنا لَهُ عَيْنَ القَطْرِ وَمِنَ الجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمُ عَن أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِن عَذابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ

لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحَارِبٍ وَتَمَائِيلَ وَجَفَانَ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَأْسِيَاتٍ اَعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٍ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٢-١٣﴾ .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ * وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْتُمْ أَنْتُمْ نَاطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿ [النمل : ١٥ - ١٦] .

﴿ وَوَهَبْنَا لِداوودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ٣٠] .

أترى لو كان سليمان قد ارتد وعبد الأصنام وأسرف في شهواته كما تروى عنه التوراة أكان يستحق هذا الثناء من رب العرش العظيم . أم أن مصيره كان سيكون مثل مصير فرعون وهامان : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ ألا قاتل الله الباطل وأهله .

● عجل السامري .. لا هارون : !؟

أما دفع القرآن عن هارون مما رماه به محرفو التوراة فيكفي فيه أن نذكر قوله تعالى :

﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى ﴾ * قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ * قَالَ فَإِنَّا لَقَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ * فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴾ * قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حُمَلْنَا أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾ * فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴾ * أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ * وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾ * قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿ (١)

[طه : ٨٣ - ٩١]

(١) نلفت نظر القارئ إلى أن كل هذه المواضع التي تعقب القرآن فيها التوراة وصبوب ما فيها من أخطاء ودفع ما فيها من باطل . هذه المواضع كلها يعتبرها مخرجو كتاب « الاستحالة » اقتباسات القرآن من التوراة !؟

ذلك هو الحق الذى يجب أن يقال وأن يعتقد . فعجل بنى إسرائيل صنعه السامرى ولم يصنعه هارون . وهارون عليه السلام نصح قومه حين رأهم يعبدون العجل بأنه فتنة لهم وأن ربهم هو الله الرحمن، فلم يستجب قومه له لأنهم استضعفوه فى نظرهم .

والحاصل: أن التوراة لا تتورع أن تلتصق بأنبياء الله ورسله كل نقيصة ولو كانت تلك النقيصة ارتدادا وكفروا بالله الواحد القهار . وأن القرآن يدفع باطل التوراة ويدفع عن أنبياء الله ورسله المكرمين ما لا يليق . فأى المصدرين هو الكاذب، وأيهمما هو الصادق : التوراة المحرفة أم القرآن المصون وأى العقيدتين أحرى بالاتباع؟ عقيدة التوراة أم ما يدعو إليه القرآن الأمين؟ إن فى ذلك لدلالة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد؟!
● **والخلاصة:**

وها نحن قد فرغنا من عرض بعض نصوص التوراة ونقدها، وبعد هذا ندعو القارئ أن يتأمل لماذا وقف القرآن الحكيم موقفه المعروف من التوراة التى لعبت بها أيد اليهود . ولماذا نبه إلى تعديهم عليها؟! والجواب واضح جدا فلا يحتاج إلى بيان . ولكن الذى ينبغى أن يقال ويعتقد أن القرآن لم يتجن على التوراة وإنما صنع معها ما يصنعه الناصح الأمين الصادق . ويا ويل البشرية لو خلت حياتها من القرآن؟! والقرآن وحده...؟!
● **ثانياً: نصوص من الأناجيل . عرض ونقد :**

تمهيد: من الأمور التى أقرها كتاب «استحالة تحريف الكتاب المقدس» ما يأتى :
أولاً: ألوهية المسيح عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله . بل دعوه الله نفسه « هو الله الحى القيوم المحيى المميت الأزلى الذى أنشأها (أى العظام!) أول مرة»^(١) .
ثانياً: أن المسيح عيسى ابن مريم هو «الديان»: لأن الأب لا يدين أحد^(٢) . بل قد أعطى كل الدينونة للابن . . . وها أنا أتى سريعا وأجرتى معى لأجازى كل واحد كما يكون علمه»^(٣) .

(١) كتاب الاستحالة (ص: ٩٣) الطبعة الثانية .

(٢) هكذا «أحد» وحقها أن تكون «أحدا» بالنصب لأنها مفعول!

(٣) كتاب الاستحالة (ص: ٩٤) و(ص: ٣٤) و(ص: ٣٧) - (ص: ٦٧، ص: ٩٨،

وما بعدها) .

ثالثاً: أن الكتاب المقدس يخلو من التناقض والخلل وهذا نصهم في ذلك: «ورغم هذا نجد أن الكتاب المقدس يمتاز بوحدة ترابطية عجيبة لا تناقض فيها ولا خلل»^(١). وبعد هذا بثلاث صفحات ترى عنواناً هكذا يقول:

(التوافق التام بين العهد القديم والجديد) (٢)

رابعاً: خلو الكتاب المقدس بعهديه من البشارة برسول الإسلام وقد تمسح مخرجو كتاب الاستحالة لتأكيد هذه المقولة وأفرغوا فيها جهداً «مضنياً» في مواضع متعددة من كتاب «الاستحالة»^(٣).

ونكتفى بإبراز هذه الأمور الأربعة فنعرضها واحداً واحداً على نصوص من الأناجيل، وننقدها نقداً علمياً على ضوء ما نذكره من نصوصهم الإنجيلية ناظرين إلى ما تسفر عنه الدراسة أتسلم لهم هذه «المقولات» أم ترد ويثبت ضدها...؟

● موقف نصوص الأناجيل من دعوى ألوهية عيسى (عبدالله ورسوله) عليه السلام:

جاء في إنجيل متى الاصحاح الرابع في مسألة تجريب إبليس لعيسى عليه السلام ما يأتي:

«ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة، وأوقفه على جناح الهيكل وقال له: إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل، لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك فعلى أيديهم يحملونك لاتصدم بحجر رجلك؟ قال له يسوع: مكتوب أيضاً لا تجرب الرب إلهك. ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عال جداً، وآراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له: أعطيك هذه جميعها! إن خررت وسجدت لى. حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان، لأنه مكتوب للرب الهك تسجد، وإياه وحده تعبد» (٥-١٠).

فها هوذا عيسى عليه السلام يأبى أن يسجد لابليس، ولم يكتف بعدم السجود له بل يقول له: أن السجود لا يكون إلا لله، والعبادة لا تكون إلا لله وحده.

وهذا يتضمن اعترافين: أحدهما أن عيسى عليه السلام ليس هو الله ولا هو ابن الله. وثانيهما: أن السجود والعبادة إنما هما لله وحده وفي نفس إنجيل متى الاصحاح العشرين آية (٣٢) جاء قوله على لسان عيسى عليه السلام: «أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل: «أنا إله إبراهيم، وإله اسحق، وإله يعقوب».

(١)، (٢)، (٣) كتاب الاستحالة (ص ٩٤)، (ص ٣٤)، (ص ٣٧ - ص ٦٧ - ص ٩٨) وما بعدها.

ويعد ذلك من الاصحاح نفسه يجيب من يسأله عن الوصية العظمى فى الناموس، فيقول عيسى عليه السلام حسب رواية الإنجيل المذكور: «تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك، ومن كل فكرك. هذه هى الوصية الأولى العظمى: والثانية مثلها: تحب قريبك كنفسك بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله «الأنبياء» (٣٧-٤٠).

وهذا اعتراف آخر باقرار السيد المسيح بأن الله هو - وحده - إله الأنبياء وإله الناس جميعا. واله عيسى نفسه. ولا ينازعنا منازع فى أن عيسى يعترف بأنه «مربوب» لرب الخلق جميعا. لأننا نذكر فى هذا نصا قاطعا من إنجيل متى نفسه يلزم الإنجيليين بأن يعترفوا بهذه الحقيقة، لأنهم لا يستطيعون أن يقولوا بأن هذا النص غير موجود. فنحن لم نأت به من «عنديانا» بل من كتابهم المقدس فهو حجة عليهم .. والنص وارد فى الاصحاح السابع والعشرين. وهو يحكى موقف المسيح وهو يقاد إلى خشبة الصليب. وإليك ذلك النص:

«ومن الساعة السادسة^(١) كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة. ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا: ايلى ايلى لم شبقتنى؟ أى الهى الهى لماذا تركتنى» (٤٥-٤٦). هذا هو النص وشرح ما غمض من كلماته^(٢).

● وتعليقا عليه نقول:

(أ) عيسى عليه السلام يقول - بالقطع - إلهى إلهى، فمن هو إلهه إذا كان هو نفسه الاها. أليس هو «الله» اله إبراهيم واسحق ويعقوب وموسى وعيسى ومحمد عليهم صلوات الله أجمعين.

(ب) وإذا كان عيسى عليه السلام إلهها فلماذا يجزع ويصرخ هكذا بصوت عظيم كما يروى عنه تلميذه متى فى إنجيله؟

(ج) تقرر الأناجيل، ومن بعدها كتاب الاستحالة أن يسوع المخلص كان يعلم نهايته. وأنه سوف يصلب، ليفدى البشرية من ذنوبها وأخطائها. فإذا كان الأمر كذلك فلماذا جهل وهو يقاد إلى الصלב وجه الحكمة فيما هو جاء من أجله، وما هو الآن مقبل عليه. وإذا لم يكن هذا جهلا مع أن سياق الكلام يقتضيه، حسب ما ورد فى النص المتقدم. إذا لم يكن جهلا فهو على الأقل «تنكر» لما كان يتحدث به مع

(١) تحديد الزمن هنا بالساعة أمر غريب جدا. يحتاج إلى مهارة فى التخرىج!؟..

(٢) ووردت هذه العبارة فى إنجيل مرقس (١٥/٣٤) هكذا: الوى الوى لما شبقتنى!؟

تلاميذه من قبل^(١). بل هو تنكر لجوهر المهمة التي جاء من أجلها وهي تقديم نفسه فداء للإنسانية من أخطائها كما تزعم الأناجيل.

ونحن مع كوننا نؤمن «بنبوة المسيح» ونقف به عند هذا الحد ولا نقول أنه «اله» مع هذا الإيمان «المتواضع» ننزه المسيح عن التنكر للمهمة التي جاء من أجلها وهي هداية قومه إلى الحق.

ويشارك يوحنا مع متى ومرقس في وصف ساعة «الصلب» المدعاة فيقول في الاصحاح الثاني عشر في الآية السابعة والعشرين حكاية عن المسيح وهو يصلب:

«الآن نفسى اضطربت. وماذا أقول أيها الآب: ننجى من هذه الساعة...».

والجديد في هذا النص الذي نقلناه عن إنجيل يوحنا أن المسيح (عليه السلام) يقول: أن نفسه اضطربت. وأنه يطلب من «الآب» أن ينجيه من هول تلك الساعة.

فإذا كان المسيح الاها فكيف تضطرب نفسه؟! والاضطراب معناه الخوف الشديد. هل الاله يخاف؟ والخوف في مثل هذه المواقف هو وليد الضعف وقلة الحيلة.

فهل يتصور العقل الاها هكذا: ضعيف قليل الحيلة يستغيث بمن ينقذه وينجيه؟!!

● اعتراف عيسى (عليه السلام) والأناجيل بأنه إنسان نبي:

ونعرض فيما يلي نصوصاً من الأناجيل تعترف بإنسانية عيسى ونبوته مرات يصف المسيح بهذه الصفات هو نفسه، ومرات يصفه بها كتاب الأناجيل ومن ذلك قول المسيح لجماعة من الكتبة ظنوا به الشر وهو يعالج مريضاً مفلوجاً بقوله: «يا بنى: مغفورة لك خطاياك» فقال الكتبة هذا يجدف فقال لهم المسيح.

«لماذا تفكرون بالشر في قلوبكم؟ أيهما أيسر؟ أن يقال مغفورة لك خطاياك، أم أن يقال: قم وامشى. ولكن لتعلموا ان لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا...» متى (٩/٢ - ٦).

فهذا اعتراف مسطور في أول الأناجيل الأربعة بأن عيسى (عليه السلام) يصف نفسه بأنه ابن الإنسان؟

وجاء في متى أيضاً في الاصحاح الحادي عشر آية (١٦): قول المسيح عن نفسه «جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فيقولون هوذا إنسان أكل شريب خمر»؟!!

(١) جاء في قاموس الكتاب المقدس (ص ١٠٩) توجيه طريف لجزع المسيح وصراخه حين صلب لا نحرم القارئ من الوقوف عليه هو: «قال بعضهم بأن المسيح كان في تلك اللحظة يحمل خطية العالم بأسره. ولذا فقد شعر بالانفصال الوقتي عن الآب السماوى»؟!!

وفى إنجيل مرقس الاصحاح الثانى الآية (٩) روى مرقس نفس القصة التى رواها متى فى شفاء المفلوج وأن عيسى (عليه السلام) قال : « ولكن لتعلموا أن لابن الإنسان سلطانا على الأرض أن يغفر الخطايا ... »؟!!

وفى الاصحاح الثالث عشر يروى مرقس عن المسيح قوله (١) : « وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيا فى سحاب بقوة كثيرة ومجد »؟!!

أما لوقا فيروى فى إنجيله نفس قصة المفلوج التى رواها من قبل كل من متى ومرقس، فيقول لوقا كما قال أن المسيح قال عن نفسه « ولكن لكى تعلموا أن لابن الإنسان سلطانا على الأرض أن يغفر الخطايا... » (٢).

وفى نفس الاصحاح يتحدث لوقا عن إحدى ليالى المسيح فيقول : « وفى تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلى، وقضى الليل كله فى الصلاة لله » (٣).
وفى الاصحاح السابع يروى لوقا ما سبق أن رواه متى من قول المسيح عن نفسه :

وهو : جاء يوحنا لا يأكل خبزا ولا يشرب خمرا فتقولون به شيطان . جاء ابن الإنسان (يقصد نفسه) يأكل ويشرب فتقولون هوذا إنسان أكل وشرب خمرا » (٤) . ١٩٠٠

وفى الاصحاح الثانى والعشرين من إنجيل لوقا يروى لوقا قول المسيح عن نفسه وهو يتحدث عن سيئسلمه للصلب :
« ولكن هوذا يد الذى يسلمنى هى معى على المائدة . وابن الإنسان ماض كما هو محتوم » (٥) .

وفى الاصحاح نفسه يروى لوقا عن المسيح قوله عن نفسه « منذ الآن يكون ابن الإنسان جالسا عن يمين قوة الله » (٦) .

أما رابع الأناجيل ، وهو إنجيل يوحنا فقد تعددت المواضع التى وصف فيها المسيح بابن الإنسان فيه ومن ذلك :
« وأعطاه سلطانا أن يدين أيضاً، لأنه ابن الإنسان » (٧) .

(٢) الاصحاح الخامس آية (٢٣) .

(٤) الآيتان (٣٣ - ٣٤) .

(٦) الآية (٦٩) .

(١) آية (٢٦) .

(٣) آية (١٢) .

(٥) الآيتان (٢١ - ٢٢) .

(٧) الاصحاح الخامس آية (٢٧) .

وفيه أيضاً :

« فقال لهم يسوع: الحق الحق أقول لكم، أن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان، وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم. من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية... »^(١).
وفيه كذلك يقول المسيح عن نفسه وهو يخاطب اليهود الذين كانوا يسعون لقتله.

« ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعته من الله »^(٢).

فهذه نقول « وآيات من الأناجيل الأربعة فيها وصف صريح لعيسى عليه السلام بأنه إنسان. إنسان مخلوق الله. وعبد له يصلى من أجله ويطلب منه النجاة. فكيف تستقيم لدى الإنجيليين فكرة « الوهيته » عليه السلام فقد اتفقت الأناجيل الأربعة على وصفه بأنه إنسان. كما خلت كل هذه الأناجيل من آية عبارة أطلق المسيح فيها على نفسه أنه « اله » لم ترد هذه العبارة فى أى من الأناجيل الأربعة لا عن لسان عيسى نفسه ولا فى « حشويات » كتاب الأناجيل. فمن أين إذن تستقى هذه الفكرة ما دامت الأصول الدينية الكبرى عند النصارى قد خلت منها.

صحيح أن الأناجيل قد ورد فيها وصفه بأنه « ابن الله » أو أنه « الرب » ولكن هذين الوصفين لا تكون نتيجتهما الحتمية أنه « الله الحى القيوم المحيى المميت الأزلى » كما جاء فى كتاب الاستحالة. وسوف نعود لهذين الوصفين فى نهاية هذا المبحث إن شاء الله .

• نبوة عيسى فى الأناجيل :

وقعنا فى النصوص المتقدمة على حقيقة الوصف العام الذى صرحت به الأناجيل الأربعة « عن رضى أم عن كره » فى حق السيد المسيح (عليه السلام) وهو أنه إنسان ابن إنسان. ونقف فى النصوص الآتية على حقيقة الوصف الخاص الذى تصرح به الأناجيل الأربعة فى حق السيد المسيح وهو أنه نبي مرسل. وبهذا تكمل شخصية عيسى عليه السلام وهو « أنه بشر رسول » بحيث يكون القصور أو التجاوز لهذا الفهم مغالاة وزيفا الحق منهما براء. وإليك النصوص :

(١) الاصحاح السادس آيتنا (٥٣ / ٥٤) وهذا هو مبدأ العشاء الربانى المعروف عند

النصارى.

(٢) الاصحاح الثامن آية (٤٠) .

جاء فى إنجيل متى قول المسيح عن نفسه :
« من يقبلكم يقبلنى ، ومن يقبلنى يقبل الذى أرسلنى . من يقبل نبيا باسم نبي
فاجر نبي يأخذ »^(١) .

فمن هو الذى أرسل عيسى عليه السلام . أليس هو الله ؟ وما الذى تفيدته هذه
العبارة فى وضوح :

أن مفادها هو : عيسى - عليه السلام - نبي مرسل ، وليس إلهآ ، ولا ابن إله .
وفى إنجيل مرقس جاءت هذه العبارة مع اختلاف يسير فى الصياغة :
« ومن قبلنى فليس يقبلنى أنا . بل الذى أرسلنى »^(٢) .

أما لوقا فيروى فى إنجيله رد المسيح على الفريسيين الذين نصحوه بالخروج من
أورشليم لأن هيردوس يريد أن يقتلك . فكان رد المسيح عليه السلام كما يروى لوقا :
« بل ينبغي أن أسير اليوم وغدا وما يليه ، لأنه لا يمكن أن يهلك نبي خارجا عن
أورشليم »^(٣) .

كما يروى لوقا ما يقطع بإيمان المسيح عليه السلام بوحدانية الله ، وذلك فى رده
على من قال : « أيها المعلم الصالح ... » فكان رد المسيح عليه السلام كما يرويه لوقا :
« لماذا تدعونى صالحا . ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله^(٤) » ؟! فلو كان المسيح
إلهآ - كما دعون - لما نفى الصلاح عن نفسه وعن غيره ليحصره فى واحد أحد
وهو الله . ولو كان جزءاً من ثلاثة أجزاء « الله » سبحانه وتعالى عما يقولون - لكان
صاحب حق فى الصلاح الذى نفاه بأسلوب قصرى وأثبتته لله . فليس الصلاح المطلق
إلا لله وحده فما تأويل هذا عند مخرجى كتاب الاستحالة؟! أنه طريق صعب وصعب
اجتيازه .

ويفجؤك إنجيل يوحنا رابع الأناجيل وأول ما يفجؤك فى هذا الصدد قول المسيح
الذى يرويه فيقول :

« لأنه - أى الله - لم يرسل ابنه (!) إلى العالم ليدين العالم . بل ليخلص به
العالم ... »^(٥) .

(١) الاصحاح العاشر آيتا (٤٠ - ٤١) .

(٢) الاصحاح التاسع آية (٣٧) .

(٣) الاصحاح الثالث عشر آية (٣٣) .

(٤) الاصحاح الثامن عشر آية (١٩) .

(٥) الاصحاح الثالث آية (١٧) .

ويروى يوحنا أن مشاهدي بعض آيات المسيح قالوا حين أعجبوا بها « فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا: أن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم... »^(١).

ويروى يوحنا قول المسيح الآتي:

« لأنى قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي، بل مشيئته الذي أرسلنى »^(٢).

ويروى يوحنا قول المسيح عن نفسه:

« أنا هو الشاهد لنفسى، ويشهد لى الآب الذي أرسلنى »^(٣).

كما يروى يوحنا قول الأعمى الذي أبصره (أى أعاد بصره) عيسى عليه السلام حين سأله اليهود ماذا تقول فى هذا الذي أعاد عليك بصرك؟ « فقال أنه نبي »^(٤). ونختم هذه النقول بما يرويه يوحنا فى الاصحاح الثانى عشر الآيتين (٤٤-٤٥) حيث يقول المسيح:

« فنادى المسيح وقال: الذي يؤمن بى ليس يؤمن بى، بل بالذى أرسلنى. والذي يرانى يرى الذى أرسلنى ».

أن هذه النصوص التى اتفقت فى روايتها كل الأناجيل بحيث لم يشذ عنها واحد تنبىء فى يقين بصحة مدلولها. وأن مسألة ادعاء الوهية المسيح إنما هى طارئة لم يقل بها أحد من الذين عاصروه أو الذين كانوا قريبى العهد بمبعثه وإلا لما بقيت هذه « الومضات » التى تضع المسيح عليه السلام موضعه الصحيح من حيث طبيعته، ومن حيث العقيدة فيه.

فطبيعته بشرية إنسانية. والعقيدة فيه أنه نبي مرسل أيدته الله بمعجزات تصديقا لنبوته وإقامة الحجة على مخالفه.

ونعود الآن إلى الوصفين اللذين كثر وجودهما فى الأناجيل وهما: الرب يسوع. وابن الله سبحانه عما يقولون إذ أن إطلاق وصف « اله » عليه لم يأت مطلقا فى أى من الأناجيل الأربعة فيما نعلم بل فيما نستيقن.

(١) الاصحاح السادس آية (١٤) ثم فى الاصحاح السابع آية (٤٠).

(٢) الاصحاح السادس آية (٣٩).

(٣) الاصحاح الثامن آية (١٨).

(٤) الاصحاح التاسع آية (١٧).

فهل - يا ترى - هذا الوصفان صالحان لأن يرقيا بالمسيح إلى درجة الألوهية !؟

• مدلول كلمة الرب :

تطلق كلمة «رب» في اللغة ويراد منها عند الاطلاق : الخالق والصانع أى الله عز وجل .

ودلالة كلمة «رب» على الله إنما تكون عند الاطلاق بحسب ما يتبادر إلى الذهن منها .

وتضاف هذه الكلمة «رب» إلى ما تصح تبعيته لغير اسم الجلالة من حيث العبارة فيراد منها حينئذ غير الله . فتقول : رب الدار . تعنى مالکها وسيدها ورب الأسرة تقصد عائلها وكبيرها . ورب الأمة أو العبد أى مالک رقه كما تضاف كلمة «رب» إلى ضمير المتكلم «ربى» أو غيره فيراد منها سيدى وهى كلمة اكرام ليس المقصود منها نفس المعنى عندما يكون المخاطب بها الله سبحانه . فهو رب الأرباب ومالك الرقاب .

ولهذا قال يوسف عليه السلام للذى ظن أنه ناج من صاحبي السجن « اذكرنى عند ربك » أى عند سيدك .

فكلمة «رب» كما تطلق على الله إطلاقاً حقيقياً تطلق على غير الله تعالى فيقال : رب الدار ورب الدابة بمعنى مالکها وسيدهما . فليس كل من قيل فى حقه أنه «رب» يلزم أن يكون الأها . أن هذا لم يقل به أحد ولم تعرفه الأعراف اللغوية .

وعلى هذا فإن اطلاقات كلمة «رب» على المسيح فى الأناجيل ليس لها معنى سوى «سيد» تكريماً له . أو معنى صاحب فى مثل : «رب المجد» أى صاحب المجد . فلا ضرورة لا لغوية ، ولا دينية تقصر معناها على الوصف بالألوهية أبداً .

وإذا رفض مخرجو كتاب «الاستحالة» هذا التوجيه فنضع أمامهم ما جاء فى كتاب «قاموس الكتاب المقدس» الذى وضعه علماءهم وقساوستهم من شتى البقاع . وإليكم ما جاء فيه فى شرح كلمة «رب» .

«... وقد تستعمل بمعنى سيد أو مولى . دلالة على الاعتبار والاکرام»^(١) . فنحن لم نكرههم علي هذا المعنى إكراها . وإنما هم قد صرحوا به من تلقاء أنفسهم . وهذا وحده كاف فى إثبات ما نقوله هنا من خلو رب من الدلالة القطعية على الوصف بالألوهية المدعاة . ولنعرض الآن لمعنى كلمة ابن الله سبحانه عما يقولون .

(١) قاموس الكتاب المقدس (ص ٣٩٦) .

● دلالة كلمة ابن الله في الأناجيل :

ونكتفى - هنا - بدلالاتها عندهم هم . إذ لا ابن لله في اللغة حتى نبحث في دلالاتها فيها . فهي كلمة خاصة بالأناجيل . فهل يلزم من إطلاقها فيها على السيد المسيح عليه السلام القول بأنه «اله» ؟ ذلك ما نراه الآن ومرجعنا فيه هو كتاب « قاموس الكتاب المقدس » ونضع أمام القارئ خلاصة أمينة لما جاء فيه :

« أبناء الله . استعمل هذا التعبير « أبناء الله » في العهد الجديد عن المؤمنين بالله بنوع خاص . فيصبح المؤمنون أبناء الله بالميلاد الجديد . . أنهم مولدون من الله بالمعنى الروحي » .

ويؤيد هذا المعنى الذى يشير إليه قاموس الكتاب المقدس أن الأناجيل كثيرا ما ذكرت أقوالا عن السيد المسيح يخاطب بها التلاميذ والأتباع ويدعوهم « أبناء الله » ويقول لهم : « أباكم الذى فى السماء » ومن ذلك ما ورد - مثلا - فى إنجيل متى (١٠ / ٥) : « طوبى لصانعى السلام ، لأنهم أبناء الله يدعون » !

هذه هى أقوالهم فى بيان المقصود من هذه الكلمة . فلو كان يلزم منها أن يكون من وصف بها الأهل لكان كل أتباع المسيح آلهة . ولم يكن هو بأولى منهم بهذا الوصف . خاصة وأنهم يرددون فى صلواتهم : « يا أبانا الذى فى السماء ليتقدس اسمك ... » !؟ .

وخلاصة هذا كله :

أن دعوى ألوهية المسيح لم يقم عليها دليل من العقل ولا من النقل فها هى ذى الأناجيل تثبت له الاضطراب والخوف والجزع ومناجاته ربه الهى الهى . . وتصفه بأنه إنسان . . وأنه نبي ، وأنه مرسل من قبل الله . وهى كلها تخلو من إطلاق وصف «اله» عليه . وذلك كله حق . ولكنه حق مهمل عند الإنجيليين إلا من عصم الله . وعلى هذا فإن دعوى ألوهية المسيح ليس لها من مصادر النصرانية سند ولا شبه سند !؟

● كون المسيح هو الديان فى الأناجيل :

فرغنا من رد هذه الدعوى - قبلا - وإعادتها هنا إنما هى من حيث موقف النصوص الإنجيلية منها أهى موجبة لها أم نافية . أو بصيغة أدق :

هل القارئ لنصوص الأناجيل يستطيع أن يكون فى نفسه عقيدة الدينونة فتصبح - عنده - اعتقادا غير قابل للجدل ؟

إن نصوص الأناجيل قد بدا موقفها من هذه الدعوى فى ثلاث صور :

• الأولى : أن الديان هو الله . ومن أقوالها فى ذلك :

« احترزوا أن تصنعوا صدقاتكم أمام الناس لكى ينظروكم . وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السماء »^(١) .

« فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك ، لكى تكون صدقتك فى الخفاء فأبوك الذى يرى فى الخفاء هو يجازيك علانية »^(٢) .

فمن يكون الأب الذى فى السماء ، ومن يكون الذى يرى فى الخفاء . أن هذه الأوصاف هى « لله » الواحد ولم يدع أحد من علماء الكهنوت أن المراد بها « غير الله » .
ومن ذلك :

« .. لأن من استحي بي وبكلامى فى هذا الجيل الفاسق الخاطىء . فإن ابن الإنسان يستحي به متى جاء بمجد أبيه مع الملائكة القديسين »^(٣) .

ويروى مرقس قول المسيح من أن الله وحده يعلم يوم القيامة والساعة التى تقوم فيها فيقول : « أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن إلا الآب » إنجيل مرقس (٢٢ / ٩) .

فتأمل أخى القارئ هذا الكلام الصادق . ولو كان عيسى هو « الديان » كما يقولون لعلم متى سيكون ذلك وكيف يكون هو الديان وهو لا يعلم متى تكون الدينونة . والله وحده هو الذى اختص بعلم ذلك .

أفليس هذا اعتراف من الأناجيل بهذا الحق الذى يجب أن يصار إليه ولو قاء يذكر دعاء المسيح الذى يقول فيه : « يا أبتاه أغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون »^(٤) .
فلو كان هو الديان لغفر لهم ولما احتاج للدعاء لأن يغفر لهم الله فدل دعاؤه هذا على أنه ليس له من الأمر شىء .

وفى إنجيل يوحنا نرى هذه العبارة التى يقول فيها حاكيا - حسب روايته - ما قاله عيسى عليه السلام :
« إنى أصعد إلى أبى وأبيكم . والهى والهكم »^(٥) .

فها هو ذا - أذن - يقر بالوهية الله له وللناس . وهذا هو إنجيل يوحنا ينفرد بهذه العبارة الفريدة . وهى كلمة حق بقيت لتهمين على كل ما عداها من ادعاءات .

(٢) متى (٦ / ٣ -)

(٤) لوقا (٢٣ / - ٢٤)

(١) متى (٦ / ١ -)

(٣) مرقس (٨ / - ١٠)

(٥) يوحنا (٣٠ / - ١٧)

بل أن يوحنا لينفرد بعبارة أخرى ما رأيتها في غير إنجيله وهي قاطعة بنفى «الدينونة عن عيسى عليه السلام وفيها يقول يوحنا ناقلا عن عيسى عليه السلام»: «... وأما على دينونة فلان رئيس هذا العالم قد دين»^(١). فكيف يكون المدين ديانا؟

هذا ما يقال عن الصورة الأولى لما بدا به موقف الأناجيل من دعوى دينونة عيسى عليه السلام. أما الصورة الثانية فهي: أن المسيح هو الديان: لم يخل إنجيل من الأناجيل الأربعة من التصريح بنسبة الدينونة للمسيح عليه السلام. أو الإشارة.

ففى إنجيل متى فى الاصحاح الرابع والعشرين نرى هذه النصوص: «وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء. وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض، ويبصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير، فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السموات إلى أقصائها»^(٢). (الآيات ٣٠ - ٣١).

● ملاحظتنا على هذا النص:

يلاحظ على النص أمور:

- ١- أنه يخلو من نفخة الصعق التى يفنى بسببها كل حى إلا من شاء الله!؟
- ٢- أنه جعل نفخة القيام خاصة بجمع مختارى ابن الإنسان!؟
- ٣- أضاف القوة والمجد والملائكة لابن الإنسان!؟. وهذا معناه أنه صاحب الفصل والدينونة فى ذلك اليوم. ومن العجيب أن متى يذكر بعد ذلك بقليل أن الله وحده هو الذى يعلم متى يكون هذا!؟^(٣).

● ونفس النص ورد فى إنجيل مرقس مع اختلاف فى الصياغة وها هو ذا نصه: «وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيا فى سحاب بقوة كثيرة ومجد. فيرسل حينئذ ملائكته ويجمع مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء الأرض إلى أقصاء السماء»^(٤).

ويلاحظ أن المقارنة بين نصى متى ومرقس تسفر عما يأتى:

- ١- لم ينص مرقس على نوح قبائل الأرض كما جاء فى متى!؟

(١) يوحنا (١٦ / - ١٠).

(٢) المقصود من ابن الإنسان هو عيسى عليه السلام.

(٣) آية (٣٦) ونصها: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده»!؟

(٤) مرقس (١٣ / - ٢٦ - ٢٧).

٢- لم ينص مرقس على البوق ذى الصوت العظيم ولا عن المهمة المرادة منه؟!
٣- في نص متى كان جمع مختارى ابن الإنسان من أقصاء السموات إلى أقصائها أيضاً. بينما هذا الجمع فى مرقس من أقصاء الأرض إلى أقصاء السماء؟! وهذا الاختلاف بين النصين يحتاج إلى مهارة فى التخرىج!؟

أما لوقا فيشير إلى نسبة الدينونة إلى المسيح فى قوله الذى يرويه عنه وهو :
« فكونوا أنتم إذن مستعدين، لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى ابن الإنسان »^(١).
أورد لوقا هذا النص ضمن موعظة ألهاها المسيح على تلاميذه يذكرهم فيها بالاستعداد لليوم الآخر!؟

أما الصورة الثالثة التى بدا بها موقف الأناجيل من مسألة دينونة المسيح عليه السلام. فقد أدرنا لها إنجيل يوحنا وهما :

• نسبة الدينونة للمسيح ونفيها عنه :

وإنما أدرنا لها إنجيل يوحنا لأنه يمثل « قمة » التناقض فى هذا الفرع فلنضع ما جاء فيه أمام القارئ الكريم. وبدهى أن موقف هذا الإنجيل كما يبدو من العنوان المذكور ذو شقين: أحدهما إثبات الدينونة للمسيح. والثانى نفيها عنه. وإليك النصوص على هذا المنوال :

١- النصوص المثبتة :

« أن الآب لا يدين أحدا. بل قد أعطى الدينونة للابن »^(٢).
« وأعطاه سلطانا أن يدين أيضاً لأنه ابن الإنسان »^(٣).
« فقال يسوع : للدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون »^(٤).

٢- النصوص النافية :

« لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص به العالم »^(٥).
« وإن سمع أحد كلامى ولم يؤمن فأنا لا أدينه، لأنى لم آت لأدين العالم، بل لأخلص العالم »^(٦).
« لان ابن الإنسان قد جاء لكى يصلب ويخلص ما قد هلك »^(٧).

(٢) يوحنا (٥ / ٢٣) .

(٤) يوحنا (٩ / ٤٠) .

(٦) يوحنا (١٢ / ٤٧) .

(١) لوقا (١٢ / ٤٠) .

(٣) يوحنا (٥ / ٢٨) .

(٥) يوحنا (٣ / ١٧) .

(٧) لوقا (١٩ / ١٠) .

هذا هو موقف الأناجيل وهي المصادر الأصلية للنصرانية المعاصرة تختلف اختلافًا بيننا أو قل تتناقض تناقضًا بيننا في مسألة إثبات الدينونة لعيسى الأناجيل وفي نفيها عنه. وهي نصوص متكافئة في الإيجاب والنفي ولا تستقيم عليها عقيدة ثابتة تبنى عليها. فبأيها يأخذ الإنجيلي إذن؟

أيأخذ بنصوص الإثبات - كما هو المعتقد عندهم - أم يأخذ بنصوص النفي؟! فإن أخذ بنصوص الإثبات فقد أهمل نصوصًا مقدسة عنده تعارضها فما هو فاعل فيها؟! فاعل فيها؟! فاعل فيها؟!

وإن أخذ بنصوص النفي فقد أهمل نصوصًا أخرى مقدسة عنده تعارضها كذلك فما هو صانع فيها؟.

إن نصوص الأناجيل في مسألة «الدينونة هذه» غير صالحة بحسب تعارضها الظاهر لأن تكون عقيدة لمعتقد. مع أن هذه المسألة من أرسخ وأبرز ركائز الإيمان المسيحي فهي غير صالحة لتنازع الأدلة بين الإثبات والنفي. فالإثبات والنفي كانا مقبولين في المسائل الفرعية فإنهما غير مقبولين لأنهما واردان في المسائل الأصولية الكبرى التي يقوم عليها صرح الإيمان...؟!.

لأن المؤمن الذي لا يعرف أمام من سيقف؟! ولمن سيقدم كشف حسابه؟، ومن يطلب الجزاء؟! المؤمن الذي هذا شأنه إن كان سبب هذا التردد عنده لجهله بأصول شريعته فالنقص فيه هو وهو مطالب بالكمال. وإن كان سبب هذا التردد غموضاً أو قصوراً في الشريعة نفسها فالنقص فيها هي، وهي المطالبة بأن تستقيم...؟!.

● خلو الكتاب المقدس من البشارة برسول الإسلام :

قلنا أن مخرجي كتاب «الاستحالة» قد أفرغوا جهداً مضنياً في محاولة إثبات أن الكتاب المقدس خلا من البشارة برسول الإسلام. وعلم الله أن هذه القضية لم تحتل عندنا موضع «الأهمية» وذلك للأسباب الآتية:

١- أن رسول الإسلام ﷺ قد ثبتت نبوته من طرق قاطعة بعضها باق حتى الآن، وسيبقى ما بقى الدهر.

٢- أنه ﷺ ليس في حاجة إلى إثبات تلك البشارة في التوراة أو الإنجيل. فثباتها أو زوالها سيان. فلا الإثبات بزائد في الحقيقة ولا النفي منقص منها.

٣- أنه يكفيننا - نحن المسلمين - إشارة القرآن إلى ورود تلك البشارة في أسفار كل الرسل الموحى إليهم، وأخذ الله عهده عليهم بالإيمان به ونصرته لو بعث وهم أحياء .

ومع هذا فإن من يطلع على أسفار الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد تطالعه بعض النصوص التي يمكن حملها على أصل البشارة برسول الإسلام فيها . ونضع بين يدي القارئ بعض تلك النصوص ليشارك معنا في هذا الفهم .

• بشارته - ﷺ - في التوراة :

جاء في التوراة في سفر التثنية الاصحاح الثامن عشر، الآية الثامنة عشرة ما يأتي :
« أقيم لهم نبيا من وسط أخوتهم مثلك ، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه » .

وقد تنازع كل من اليهود والنصارى هذا النص . فاليهود على طريقتهم في التحريف يقولون أن هذا النص وأن جاء في صورة الخبر والوعد فهو في الحقيقة نفي لأن يجعل الله نبيا في بنى إسرائيل موصوفا بهذا الوصف . ويتوصلون إلى هذا الزعم بأن حقيقة النص هكذا « أقيم لهم نبيا .. !؟ ! بهمزتين أولاهما للاستفهام الانكارى . أى : لا أقيم لهم نبيا هذه صفته ، ويقولون أن همزة الاستفهام هذه محذوفة ولكنها مقدرة فكانها موجودة !؟

وهذا نوع من التحريف لم يحملهم عليه إلا خشية تمسك المسلمين به باعتباره بشارة بمحمد ﷺ .

وأما النصارى فقد حملوه على أن المراد منه عيسى عليه السلام ..؟ وما ذهب إليه اليهود باطل ، لأن الأمر ولو كان مبنيا على الاستفهام الانكارى - كما يزعمون - لما كان للآية التاسعة عشرة التالية لهذه العبارة معنى . وهذا نصها :

« ويكون الإنسان الذى لا يسمع لكلامي الذى يتكلم به باسمى أنا أطلبه »
فالآية نص في الخبر والوعد وليست نفي . وقد أحس اليهود أنفسهم بضعف تخريجهم لها على الاستفهام الانكارى ولهذا فإنهم لا يمنعون أن تكون إثباتا ووعدا . ولكنها خاصة بنبي من أنبيائهم : صموئيل أو يوشع . وكل هذا حملهم عليه تجريدتها من البشارة برسول الإسلام .

وما ذهب إليه النصارى باطل - كذلك - لأن عيسى عليه السلام من بنى إسرائيل وليس من أخوتهم. ولأنه لم يجيء بشريعة وموسى عليه السلام جاء بشريعة. والنبى الذى بشرت به عبارة التوراة تصف النبى المبشر به بوصفين: أحدهما كونه من أخوة بنى إسرائيل لا منهم حقيقة. وكونه مثل موسى أى صاحب شريعة. وهذا الوصفان لا ينطبقان على عيسى عليه السلام. ولا على غيره ممن حمل اليهود البشارة عليهم كصموئيل ويوشع لأنهم - كلهم - من بنى إسرائيل لا من أخوتهم - أى بنى عمومتهم - وإذا انتفى حمل البشارة عليهم جميعا، فإن حملها حينئذ على رسول الإسلام محمد بن عبدالله ﷺ. يكون هو المصير الذى لا ينازع فيه إلا مكابر^(١).

والوصفان اللذان ذكرا فى البشارة متحققان فى رسول الإسلام ﷺ. فهو من ولد إسماعيل أخى اسحق أبى يعقوب الذى هو إسرائيل. فهو من «أخوتهم» وليس منهم. وهذا هو أحد شرطى البشارة.

والثانى «المثلية» فى أنه صاحب شريعة كموسى عليه السلام ومحمد ﷺ كان «مثله» فى أنه صاحب شريعة مع التفاوت بين الرسولين (موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم) وبين الشريعتين (اليهودية والإسلام). إذ بينهما فروق وفروق وكيف يرتضى النصارى حمل هذه البشارة على عيسى عليه السلام وهى تقتضى أن يكون بشرا نبيا وهم يقولون أنه أله حتى قيوم محيى مميت ديان؟ أليس فى تمسكهم بهذا تناقض لا يخفى أمره على ذى نظر؟!!

وجاء فى سفر التثنية الاصحاح الثالث والثلاثين آيات (١-٣) ما يأتى !
«وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله نبى إسرائيل قبل موته. فقال:
جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير. وتلألا من جبل فاران...».

وهذا النص يتضمن ثلاث نبوات : نبوة موسى ونبوة عيسى، ونبوة محمد ﷺ، لأن «جاء الله من سيناء» اشارة إلى تكليم الله موسى من فوق جبل سيناء. ومجىء الله هنا مجاز لا حقيقة : أى جاء أمر الله. وسعير قرية مجاورة لبيت المقدس وهى إشارة إلى نبوة عيسى عليه السلام.

أما «فاران» التى «تلألا» منها الله - سبحانه - فهى مكة. وهذه إشارة إلى نبوة محمد ﷺ.

(١) راجع كتاب : «هداية الحيارى ...» لابن القيم (ص ٥٢) ففيه كلام مفيد جدا فى هذا الصدد لا مجال لذكره هنا .

وقد تحايل النصارى لطمس البشارة بنبوة رسول الإسلام فادعوا أن فاران هذه هي «ايلات» من أعمال الشام وليست مكة وليس لهم من قصد سوى الاجتهاد لاثبات خلو الكتاب المقدس من البشارة برسول الإسلام^(١).

ويذهب بعض علمائنا - نحن المسلمين - أن القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَالَّتِينَ وَالزَّيْتُونَ * وَطُورِ سَيْنِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين : ١-٣] جاء تأكيدا وتعظيما للأماكن الثلاثة التي سطعت منها تلك النبوات فالتين والزيتون كناية عن الأرض المقدسة التي ابتدأ منها عيسى عليه السلام نبوته وطور سينين هو جبل سيناء الذي تلقى عليه موسى كلمات ربه والبلد الأمين هو مكة مشرق الهداية ومهد محمد ﷺ^(٢).

وفي مزامير داود من أسفار العهد القديم (التوراة) تكررات البشارات بنبي سيأتي. والأوصاف التي ذكرها داود في مزاميره لا تنطبق على رسول إلا على محمد ﷺ. وإليك بعض ما جاء فيها :

«تقلد سيفك أيها الجبار جلالك وبهاءك. وبجلالك اقتحم. اركب من أجل الحق والدعة والبر فتريك يمينك مخاوف. نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك (يعني الله) شعوب تحتك يسقطون»^(٣).

فمن هو الذي تقلد سيفه؟ ومن هو الذي سقطت تحته شعوب أو كل الشعوب. ليس هو محمدا ﷺ. فكان الجهاد في سبيل الله ومقاتلة أعداء الله بالسيف شريعة عنده. وقد اسقطت قوة الحق الذي جاء به كل الممالك التي كانت مجاورة كالفرس والروم وغيرهما وغيرهما.

● وفي الآية السابعة عشرة من نفس المزمور يقول داود :

«اذكر اسمك في كل دور فدور. من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد».

وفي هذا إشارة إلى أمرين ليس لهما وجود في الإسلام. أحدهما: كونه هداية ورحمة عامة للناس أجمعين. وثانيهما: كونه شريعة خالدة خلود الدهر والأبد.

(١) انظر قاموس الكتاب المقدس (ص) .

(٢) انظر كتاب «ارشاد الحيارى» لابن القيم ص ٥٣ .

(٣) المزمور الخامس والأربعون آيات (٣-٥) .

ولنكتف - الآن - بهذا القدر من إشارات العهد القديم. لنذكر بعض ما جاء من هذه البشارات فى العهد الجديد « الأنجيل » وهى مازالت موجودة حتى الآن تتكرر فيها صفات محمد ﷺ ونعوته سواء فى ذلك ما جاء على لسان عيسى كما تروى الأناجيل، أو لسان غيره :

* * * بشاراته - ﷺ - فى الإنجيل

أناجيل العهد الجديد ورسائله حافلة بالبشارات التى لا أهل لها إلا محمد بن عبد الله ﷺ .

وتلك البشارات تعلن مرة فى صورة الوعد بملكوت السموات أو الله ومرة بالروح القدس. ومرة أخرى بالعزى أو الفارقليط^(١) الذى معناه الحامد أو الحماد أو الحمود. أو الأحمد. فمعنى هذه الكلمة « فارقليط » يدور حول الحمد ومشتقاته .

فى إنجيل متى وردت هذه العبارة مسندة إلى نبي الله يحيى ابن زكريا المسمى عند النصارى بـ: يوحنا المعمدان : « تروبا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » الاصحاح الثالث آية^(١) .

فمن هو ملكوت السموات؟ هل هو عيسى عليه السلام - كما يقول النصارى - أن متى نفسه يكذب هذا الادعاء، لأنه قد روى عن عيسى نفسه عليه السلام قوله: « توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » الاصحاح الرابع آية (١٧) .

فلو كان المراد من قول يحيى هو عيسى عليهما السلام لما ساق عيسى نفس العبارة التى بشرت به، لأنه قد بعث فعلا. فدل هذا بالقطع على أن عيسى عليه السلام لم يرد نفسه فى عبارته بل أراد ملكوتا آخر غيره. ومن يكون هو إذن؟ إذا لم يكن رسول الإسلام ﷺ .

نحن لا نقطع بأن البشارة التى بشر بها يوحنا هى لرسول الإسلام فمن الممكن أن تحمل على عيسى. أم عبارة عيسى فلا تحمل إلا على التبشير بمحمد ﷺ .

ويروى متى صيغة الصلاة التى علمها المسيح تلاميذه، وقد جاء فيها « فصلوا أنتم هكذا: أبانا الذى فى السموات ليتقدس اسمك. ليأت ملكوتك .. » الاصحاح السادس آيات (١٠ / ٩) ^(٢) .

(١) هى كلمة يونانية وردت فى بعض ترجمات الأناجيل .

(٢) وردت هذه الصيغة - كذلك - فى إنجيل لوقا (١١ / -- ٢) .

فما هو - إذن - ملكوت الله الذى علمه المسيح عليه السلام تلاميذه أن يطلبوه من الله فى صلواتهم. أضح أن يقال أنه هو عيسى وعيسى معهم يعلمهم ويرشدهم. أم الحق أنه كائن آخر غير عيسى عليه السلام.

ويذكر لوقا فى إنجيله أن المسيح جمع تلاميذه وعلمهم كيف يقهرون الشياطين ويشفون الأمراض ثم يقول:

« وأرسلهم ليكرزوا - أى يدعوا ويعظوا ويبشروا - بملكوت الله » الاصحاح التاسع (آية ٢).

وفى إنجيل مرقس أن المسيح - نفسه - بدأ يكرز - يعنى يبشر - بملكوت الله بعد أن أسلم يوحنا - يعنى قتل - وهذا نصه :

« وبعد أن أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجبل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول: قد كمل الزمان، واقترب ملكوت الله، فأمنوا بالإنجيل » الاصحاح الأول آية (١٤-١٥).

● وفى إنجيل يوحنا جاء قول المسيح عليه السلام :

« الذى لا يحببنى لا يحفظ كلامى، والكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للأب الذى أرسلنى . بهذا كلمتكم وأنا عندكم . وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الأب باسمى فهو يعلمكم كل شىء ويذكركم بما قلته لكم » الاصحاح الرابع عشر آيات (٢٤/٢٦).

ويروى يوحنا فى إنجيله قول المسيح الآتى وهو يتحدث مع تلاميذه :

« أنه خير لكم أن انطلق، أن لم انطلق لا يأتىكم المعزى، ولكن أن ذهبت أرسله إليكم، ومتى جاء ذلك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة... » الاصحاح السادس عشر آيتا (٧-٨) كما ينقل قوله الآتى :

« وأما إذا جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه . بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آيته... » الاصحاح السادس عشر آية (١٣).

ومن هو المعزى، وروح الحق أو الروح القدس الذى لا يأتى إلا بعد ذهاب المسيح . فيخبر الناس بكل شىء ولا يتكلم من قبل نفسه بل بالذى يسمعه (يعنى من الوحى) من هذا الذى يرسله الله (الأب) فيبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونه ؟

إن هذه الأوصاف كلها لا محل لها إلا أن يكون المقصود منها البشارة بصاحب شريعة عامة تقرر كل ما جاء به الرسل تبشر المؤمن وتنذر الكافر وترفع لواء الحق وتضع حلولاً لكل شيء لأنها هي الرسالة الخاتمة.

إنها شريعة الإسلام. المنزلة على محمد ﷺ. أفليست هذه بشارات تضمنتها الأناجيل على اختلاف روايتها وكاتبها. ويؤيد هذا ما نقله يوحنا نفسه في أصحابه الخامس عشر آيتي ٢٦ ، ٢٧ وفيهما يقول:

«ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحق من عند الأب ينبثق فهو يشهد لى. وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معى من الابتداء»!؟

وقد جاء القرآن الكريم شاهداً بصحة الرسالات التى تقدمت ومنها رسالة عيسى عبدالله ورسوله. فعلام يتحمس مخرجو كتاب الاستحالة لنفى هذه البشارة وأناجيلهم بها ناطقة رغم محاولات الطمس والتحريف!؟..

أما البشارة بلفظ «الفارقليط» فقد خلت منها الترجمة العربية للكتاب المقدس التى أنقل منها هذه النصوص. ومعلوم أن الكتاب ترجم وطبع عدة مرات. حتى أن الترجمة العربية لتختلف من طبعة إلى طبعة اختلافاً بينا.

وجاءت كلمة «الفارقليط» فى طبعات أخرى غير التى تحت يدى. فقد رأيت فى كتاب «إرشاد الحيارى» للعالم العلامة الإمام ابن قيم الجوزية كلمة «الفارقليط» مكان كلمة «المعزى» فى الطبعة التى بين يدى كما رأيت فى كتاب «إظهار الحق» للشيخ الجليل رحمت الله الهندي نفس كلمة «الفارقليط» مكان كلمة «المعزى» وقد صرح الشيخ رحمت الله بأنه نقل هذه الكلمة «الفارقليط» عن ترجمات عربية تمت فى لندن فى سنوات ١٨٢١ ، ١٨٣١ ، ١٨٤٤ .

وعمقارنة يسيرة أدركت أن الطبعات العربية التى تنتشر عندنا فى مصر وفى البلاد الإسلامية فيها كثير من الاحتياط والحذر لدى مترجميها وطابعيها بينما هى ترسل على سجيتها فى البلاد التى لا ينتشر فيها الإسلام. أو الطبعات القديمة أو النسخ الخطية.

ولنقارن بين ما نقله ابن قيم الجوزية وبين ما هو موجود فى الطبعة العربية التى تحت يدى .

● أولاً : نص الطبعة العربية المتداولة بيننا الآن :

« أقيم لهم نبيا من وسط أخوتهم مثلك واجعل كلامى فى فمة فيكلمهم بكل ما أوصيه ... » التثنية (١٨ / ١٨) .

● ثانيًا : نفس النص كما هو في ابن قيم الجوزية إرشاد الحيارى ص ٥٠ :
« سأقيم لبنى إسرائيل نبيا من أخوتهم مثلك اجعل كلامي في فيه وأقول له
ما أمرهم به، والذي لا يقبل قول ذلك النبي الذي يتكلم باسمي أنا انتقم منه ومن
سبطه » .

ولا يخفى على القارئ قوة النص المنقول لدى ابن القيم على النص المدون الآن
في الطبعة العربية المشار إليها .

وسيرا على هذا المنهج فإن تلك الطبعة العربية قد خلت من كلمة « الفارقليط »
لقوة دلالتها على البشارة برسول الإسلام ﷺ، لأنها - كما قلنا - تعنى الحامد أو الأحمد
أو المحمود إلخ ... ؟ ووضعت كلمة « المعزى » موضعها سدا للباب .
ولنقارن - كذلك بين ما ينقله الشيخ رحمت الله الهندي فى كتابه إظهار الحق
وبين ما فى الطبعة العربية التى ننقل نحن عنها .

يقول يوحنا فى الطبعة العربية التى بين يدينا الاصحاح الرابع عشر آيات
(١٥-١٧) :

« إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى، وأنا أطلب من الأب فيعطىكم معزيا آخر
ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه
ولا يعرفه . أما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم » .

وما نقله الشيخ رحمت الله عن طبعات عربية تمت فى لندن هذا نصه :

« إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى، وأنا أطلب من الأب فيعطىكم فارقليط
آخر ليثبت معكم إلى الأبد ... » .

« والفارقليط روح القدس الذى يرسله الأب باسمى هو يعلمكم كل شىء وهو
يذكركم كل ما قلته لكم » .

وبهذا يتضح أن كل موضع وردت فيه كلمة « الفارقليط » أثبت مكانها فى
طبعتنا العربية كلمة « المعزى » فرارا مما تسببه كلمة « الفارقليط » للإنجلييين من
مضايقات . وخاصة فى هذا العصر الذى نشطت فيه حركات التبشير^(١) .

وأيا كان الأمر فإن جميع النصوص قد اتفقت على أمرين :

أحدهما : أن المعزى أو الفارقليط يعلم كل شىء وأنه مرسل من عند الله .

(١) إظهار الحق (ص ٥٣٨) تحقيق د . أحمد حجازى السقا . نشر دار التراث .

وثانيهما: أنه ماكث إلى الأبد. وفي هذا دلالة واضحة على أن المقصود من هاتين الكلمتين هو صاحب الرسالة العظمى الخالدة. وأن هذه العبارات التي تضمنت أمر البشارة من بقايا الحق الذي جاء به المسيح عليه السلام في إنجيله المنزل عليه قبل أن تتنازعه روايات الكتاب وقبل أن يتسرب إليه التحريف والتبديل.

ونعود فنقول بصراحة أن مخرجي الكتاب « كتاب استحالة تحريف الكتاب المقدس » لم يغظهم شيء مثلما غاظهم تمسكنا بورود البشارة بنبي الإسلام في أسفارهم. فقد استبدت محاولة نفيهم لها فصولا مطولة من الكتاب المذكور. ونوجز للقارئ ملخصا وافيا لتلك المحاولة .

• قالوا، ويا لضعف ما قالوا:

١- أن الكلمة اليونانية^(١) هي « باراكليتس » ومعناه المعزى .

٢- لماذا يسعى بعض الكتاب^(٢) لاثبات نبوات عن رسول الإسلام من الكتاب المقدس في الوقت الذي يهاجمون فيه الكتاب المقدس ويتهمون به بالتحريف . ولماذا لا يتهمون به بالتحريف في هذه الآيات التي يتصورون خطأ أنها تشير إلى رسول الإسلام؟! .

٣- من المستحيل أن يكون الروح القدس هو رسول الإسلام لأنه جاء عن الروح القدس أو الفارقليط أنه روح . . . ورسول الإسلام كان له جسد .

ولأن الأرواح لا يتزوجون ولا يزوجون لعدم وجود الجسد . ومن المعروف أن رسول الإسلام تزوج وهو حي عدة مرات . . .؟! .

وأن المسيح قال سيرسل الروح القدس معزيا للتلاميذ وفعلا حل فيهم ورسول الإسلام لم يكن حينذاك موجودا .

وأن الروح القدس سيمكث إلى الأبد ورسول الإسلام مات؟! .

وأن الروح القدس يشهد للمسيح ويمجده ورسول الإسلام لم يشهد للمسيح بالالوهية . بل جعله مجرد عبد ورسول مثل باقى الناس والأنبياء؟! .

وهل يقبل المسلمون النتائج المترتبة على هذا ومنها أن السيد المسيح هو الذى أرسل رسول الإسلام .

ومنها أن الروح القدس لا يتكلم من ذاته بل يأخذ مما للمسيح فهل يقبل المسلمون أن يكون رسولهم يتكلم بوحى من السيد المسيح . . وفى هذه الحالة

(٢) يعنون الكتاب « المسلمين » .

(١) يقصدون كلمة « فارقليط » .

يكونون - يعنى المسلمين - قد اعترفوا ضمنا بأن السيد المسيح هو الله وأن رسولهم هو رسول السيد المسيح^(١).

• دفعنا لهذه الشبهات :

ونقول لمخرجى كتاب «الاستحالة» نعم نحن متمسكون رغم كل هذه المحاولات والتخويفات التى تثيرونها. متمسكون ومضرون بأن هذه البشارات لرسول الإسلام. ولن نتحمل فرضا واحدا مما فرضتموه مرتبا على هذا التمسك. ونرد عليكم شبهاتكم فنقول:

١- لو كانت الكلمة «فارقليط» هى «باراكليتس» كما تدعون فلماذا لم تكن هى الموجودة فى تلك الترجمات بدل هذه الكلمة الدخيلة وحتى لو كانت كما تدعون هى التى معناها «المعزى» فالمعزى = الفارقليط لأن الأوصاف التى وصف بها كل منهما ليس لها موضع إلا رسول الإسلام.

٢- نحن لا نقول أن كل ما جاء فى الكتاب المقدس باطل ومحرف. ولكن الذى نقوله، وقد أثبتناه بالدليل القاطع أن بعضه محرف وبعضه حق ومن ألحق الباقى فيه هو «تلك المواضع» التى تبشر برسول الإسلام وحتى هى فقد أصابها نصيب من التحريف ولكنه لم يطمس كل معالم الحق الذى يفهم منها.

٣- ليست جسدية رسول الإسلام بمانعة من وصفه بالروح القدس، لأن المراد بهذا الوصف هى «النبوة والهداية» ونشير عليكم بدراسة المجاز اللغوى حتى لا تقعوا فى مثل هذه المآزق.

وما دام الأمر - كذلك - فمن السهل أن تدركوا أن الروح إذا جرت وصفا على إنسان فله أن يزوج ويتزوج .

أما كون روح القدس قد جاء وحل فى التلاميذ بعد خمسين يوما من رفع المسيح. فهذا يبطله ما جاء فى الكتاب نفسه من كون الروح القدس باق إلى الأبد. فأين هم تلاميذ المسيح الآن.

أما أن الروح القدس يشهد للمسيح. فقد شهد له رسول الإسلام بأنه عبده ورسوله. بل شهد له القرآن بما لم تتضمنه أناجيلكم بأنه وجيه فى الدنيا والآخرة!

أما معنى أن الروح القدس لا يتكلم من عند نفسه بل يأخذ مما للمسيح . أن معنى هذا هو أن كلاما من عيسى ورسول الإسلام صلى الله عليهما وسلم رسولان

(١) انظر كتاب : «استحالة تحريف الكتاب المقدس» ص ١٠٢ - ١٠٦ ط ثانية .

موصى إليهما كسائر الرسل . وقد صرحتم أنتم فى أناجيلكم كما نقلنا عنكم قبلا أن المسيح قال : وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله « ونصوص أخرى كثيرة مبثوثة فى أناجيلكم تؤكد هذا المعنى . وليس معناه - يا سادة - أن المسيح هو صاحب الوحي حتى يكون هو :

الله ... ؟!

وحتى يكون رسولنا هو :

رسول السيد المسيح .. ؟!

ونعود فنضع أمامكم هذا النص مرة أخرى : « وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله » .

ونقول لكم :

أما أن تسلموا لنا ولكم بـ « معطيات » هذا النص وهى :

١- المسيح عليه السلام (إنسان) ..

٢- موحى إليه من الله . فهو شىء . والله شىء آخر . وإذا سلمتم بهذه « المعطيات » فقد ضاقت هوة الخلاف بيننا وبينكم .

وأما أن ترفضوا هذه المعطيات . ومعنى هذا هو أنكم تكذبون كتابكم فكيف يستساغ لكم أن تسموه « مقدسا » ؟! وأنتم لا تثقون فيه ؟!

وبقيت ملحوظة واحدة جديدة أن يقف عليها القارىء وهى :

أن مخرجى كتاب الاستحالة يستشهدون على « تزوير إنجيل برنابا^(١) » بمقال للأستاذ عباس محمود العقاد نشر فى جريدة الأخبار فى ٢٦ / ١٠ / ١٩٥٩ وعلى طريقة القوم فى بتر النصوص فقد نقلوا من مقال الأستاذ العقاد هذه الفقرات :

« إنما نشك فى كتابة برنابا لتلك العبارات ، لأنها من المعلومات التى تسربت إلى القارة الأوروبية نقلا عن المصادر العربية . وليس من المألوف أن يكون السيد المسيح قد أعلن البشارة أمام الألوفا باسم « محمد رسول الله » ولا يسجل هذا الإعلان فى

(١) إنجيل برنابا من الأناجيل المحرمة قراءتها عند النصارى ، لأن فيه تصريحاً بالاسم بمبعث محمد رسول الله ﷺ . وقد وجد مخطوطاً باللغة الإيطالية . وترجم إلى الإنجليزية ثم نقله إلى العربية الدكتور خليل سعادة سنة ١٩٠٨ . ولما كان هذا الإنجيل يتعرض لذكر حقائق تختلف مع عقائد النصارى فقد حرمت الكنيسة قراءته . وهم يضمرون له عداً شديداً مع أن برنابا هذا من تلاميذ المسيح البارزين ؟!

صفحات الإنجيل . كذلك تتكرر فى هذا الإنجيل بعض أخطاء لا يجهلها اليهودي المطلع على كتب قومه ولا يردها المسيحي المؤمن بالإنجيل المعتمدة من الكنيسة الغربية ولا يتورط فيها المسلم الذى يفهم ما فى إنجيل برنابا من المناقضة بينه وبين نصوص القرآن ... (١) .

• نقلوا هذه الفقرات لأنها تفيدهم فيما يأتى :

١- أن الأستاذ العقاد الكاتب الإسلامى الذائع الصيت ينفى أن يكون فى الإنجيل بشارة برسول الإسلام . ويعتمد فى ذلك النفى على أن المسيح نفسه لم يبشر به ، إذ من غير المؤلف أن يبشره أمام الألف ولا يسجل هذا الإعلان فى الإنجيل ؟
٢- ويفيدهم كذلك فى أن إنجيل برنابا مدسوس محدث لم يعرف أو لم يكتب إلا بعد القرن الخامس عشر الميلادى . لأن هذا هو رأيهم فى هذا الإنجيل .

وقد رجعت إلى ما كتبه الأستاذ العقاد فى المقال المشار إليه وقرأت - بوعى - المقال كله . وتبين لى أن الأستاذ العقاد قد كتب فى ذلك المقال ما لو صرح به مخرجو كتاب الاستحالة فى كتابهم لتهدم ما بنوه ، ولما بقيت لهم حجة أو قل شبهة يتمسكون بها ، لأن الأستاذ العقاد يعارض بقوة البرهان ما يثبته مخرجو الكتاب منذ عشرين عاما ١٠ كتبه هم منذ عامين . ويظهر ذلك فيما يأتى :

أولاً : أن الأستاذ العقاد لم ينف أصل البشارة أساسا ، وإنما الذى ينفيه هو أن يكون المسيح قد أعلن البشارة هكذا « محمد رسول الله » أى مصرحا بالاسم والرسالة على أن يكون الاسم المصرح به هو « محمد » .

على أن مخرجى كتاب « الاستحالة » قد تعمدوا تحريفا فى نص الأستاذ العقاد الذى تقولوه فقالوا : « ... ولا يسجل هذا الإعلان فى صفحات الإنجيل » بينما الذى قاله العقاد « .. ولا يسجل هذا الإعلان فى غير صفحات هذا الإنجيل »؟! والفرق بين الصياغتين واضح .!؟

ثانياً : يذهب مخرجو كتاب الاستحالة (٢) أن إنجيل برنابا لم يكن موجودا حتى نهاية القرن الرابع عشر الميلادى . بينما يبطل العقاد هذا القول . وإليك نصه حرفيا من المقال المذكور :

(١) استحالة تحريف الكتاب المقدس ص ١٣٩ .

(٢) انظر (ص ١٣٥) .

«والحقيقة أن هذا الإنجيل لم يكن مجهولاً قبل القرن الخامس عشر كما وهم بعض العلماء الأوروبيين، وتابعهم في ذلك الدكتور خليل سعادة^(١)، لأن الإشارة إليه وردت في كتابات أوريجين وكلمنت ويوسبيوس وابرنيموس ولاردنر، ومنهم من اقتبس منه وروى عنه. فهو ولا ريب قد كان معروفاً في القرن الثاني للميلاد»!؟
العقاد يقول: إنجيل برنابا كان موجوداً ومعروفاً في القرن الثاني الميلادي.

ومخرجو كتاب الاستحالة يقولون لم يوجد ولم يعرف إلا في القرن الخامس عشر الميلادي أي الفرق بين الرأيين هو اثنا عشر قرناً (١٢٠٠ سنة) وما هو بالفرق الهين. ونسأل فنقول من منهم هو المصيب، ومن هو المخطيء؟

ونقول أن المصيب هو العقاد لأن الذين أشاروا إلى هذا الإنجيل واقتبسوا منه ورووا عنه عاشوا في القرنين الثاني والثالث الميلادي. وهم من آباء المسيحية الأسبقين. ولاشك عندنا أن مخرجي كتاب الاستحالة قد قرأوا مقال الأستاذ العقاد كله قبل أن ينقلوا منه ما نقلوا. فلماذا لم يذكروا - ولو تلخيصاً - كل ما جاء فيه ويناقشوه مناقشة علمية ويثبتوا بطلان رأيه في قدم إنجيل برنابا!؟
والذي لاشك فيه - أيضاً - أن قوة الدليل الذي بنى عليه العقاد رأيه هو وحده

المسئول عن إغماض العين عما كتب ويا للمرارة ما كتب.

ثالثاً: أن العقاد مع إثباته لقدم إنجيل برنابا فإنه يتشكك في بعض العبارات التي وردت فيه ولا يتشكك فيه كله. وهذا ظاهر حتى من الفقرات المنقولة في كتاب الاستحالة ...

رابعاً: أن الأستاذ العقاد يرجع السبب في عداة الكنيسة لهذا الإنجيل لمخالفته للأناجيل الأخرى في الحقائق التي يذكرها ولهذا لم تعتمد الكنيسة كما اعتمدت غيره من الأناجيل ونقل للقارىء نص العقاد في بيان السبب الذي دعا إلى إضافة زيادات على إنجيل برنابا الحقيقي. وهو نص يلقي ضوءاً صافياً ومفيداً في هذا المجال. يقول العقاد «ولهذا يخطر لنا أن الزيادات قد أضيفت بقلم كاتب لم يقصد ترويح هذا الإنجيل بين اليهود أو المسيحيين أو المسلمين، ولكنها زيدت لإلقاء الشبهة عليه ووقف سريانه بين طائفة من الطوائف، حذرا من ظهور نسخة أخرى تقل أسباب الشك فيها فيسهل قبولها والاستناد إليها»!؟

(١) هو مترجم إنجيل برنابا من الإنجيلية إلى العربية كما تقدم.

وبعد هذا الكلام الجميل نسأل: من هو المستفيد من تشويه سمعة إنجيل برنابا. ومن هم الذين يشوهون سمعته بالفعل؟ وعلى ضوء الإجابة على هذا السؤال يعرف الذى قام بإضافة تلك الزيادات. أليس كذلك.

● موقف النصوص الإنجيلية من دعوى عدم التناقض:

لدعوى عدم التناقض فى نصوص الكتاب المقدس أهمية خاصة عند مخرجى كتاب الاستحالة، لأن هذه الدعوى - لو صدقت - لترتب عليها - عندهم - سلامة الكتاب المقدس - نفسه - من التحريف. ولو صدقت دعوى سلامته من التحريف لكذبت عقيدة المسلمين - حينئذ - ولتسرب الكذب إلى المصادر الإسلامية الوثيقة التى استقوا منها تلك «العقيدة» وفى مقدمتها القرآن الكريم.

فما هو موقف النصوص الإنجيلية من هذه الدعوى «الأم» إذن!؟

والواقع الذى لا يجحد أن نصوص الإنجيل تثبت ذلك التناقض من وجهين:

الأول: تناقضها مع نفسها..!؟

والثانى: تناقضها مع نصوص التوراة..!؟

وإليك الأدلة من واقع النصوص نفسها:

● أولاً: تناقض النصوص الإنجيلية مع نفسها:

● شهادة حق.. شهادة المسيح ليست حقاً..!؟

فى إنجيل يوحنا وقع تناقض حول شهادة المسيح لنفسه. فمرة ينقل يوحنا عن المسيح أن شهادته لنفسه حق. ومرة ينقل عنه أن شهادته لنفسه ليست حقاً. وإليك النصوص:

«أجاب يسوع وقال لهم وإن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق، لأنى أعلم من أين أتيت. وإلى أين أذهب...» إنجيل يوحنا الاصحاح الثامن آية (١٤).

● وقال المسيح فى الاصحاح نفسه آية (١٨):

«أنا هو الشاهد لنفسي. ويشهد لى الآب الذى أرسلنى.»

وجاء فى إنجيل يوحنا نفسه الاصحاح الخامس الآيتين (٣١-٣٢) قول المسيح الآتى:

«إن كنت أشهد لنفسي. فشهادتي ليست حقاً. الذى يشهد لى هو آخر، وأنا

أعلم أن شهادته التى يشهدها لى هى حق»!؟

هذا ما ورد في إنجيل يوحنا. فأيهما هو الصحيح. حقية شهادة المسيح لنفسه أم عدم حقيتها...؟! أليس هذا تناقضا .

● **المسيح لا يقبل شهادة من إنسان ..** ويقبل شهادة من إنسان :

جاء في إنجيل يوحنا الاصحاح الخامس آية (٣٤) قول المسيح كما يرويهِ يوحنا: «وأنا لا أقبل شهادة من إنسان» . ومعنى هذه الآية أن المسيح لا يقبل شهادة الإنسان أبدا. ثم جاء في نفس إنجيل يوحنا الاصحاح الخامس عشر الآية (٢٧) قول المسيح الآتى وهو يتحدث مع تلاميذه.

« وأنتم تشهدون لى أيضاً، لأنكم معى من الابتداء» ..؟! .

فكيف يشهد التلاميذ له وهم من «الإنسان» الذى يرفض المسيح شهادته له .
وأيهما الصحيح قبول المسيح شهادة الإنسان أم عدم قبولها له؟! أو ليس هذا تناقضا ..؟! .

● **المسيح له كل الدينونة ..** المسيح ليست له دينونة :

وجاء في إنجيل يوحنا - أيضاً - إثبات كل الدينونة : لعيسى عليه السلام كما جاء فيه نفى تلك الدينونة عنه . وإليك النصوص :
«لأن الآب لا يدين أحدا بل أعطى كل الدينونة للابن»؟! الاصحاح الخامس آية (٢٢) .

«وأعطاه سلطانا أن يدين أيضاً، لأنه ابن الإنسان»؟! نفس الاصحاح آية (٢٧) .

● **أما النصوص النافية لدينونة، المسيح فهى :**

« وأن سمع أحد كلامى ولم يؤمن بى فأنا لا أدينه، لأنى لم آت لأدين العالم، بل لأخلص العالم» يوحنا الاصحاح الثانى عشر آية (٤٧) «لأنه لم يرسل الآب ابنه ليدين العالم، بل ليخلص به العالم»؟! الاصحاح الثالث آية (١٧) .
فأيهما هو الصحيح إثبات الدينونة للمسيح ونفيها عن الله . أم نفيها عن المسيح وإثباتها لله؟! أو ليس هذا تناقضا ..؟! .

● **المسيح يضع السلام على الأرض ..** المسيح لا يضع السلام بل النار والسيف :

اشتهر عن المسيح عليه السلام بأنه رسول السلام . والواقع أن الرسل جميعا رسل سلام لأن هدفهم واحد هو إقرار الحق . ومما ترويه الأناجيل عن السيد المسيح عليه السلام ما جاء في إنجيل متى الاصحاح الخامس آيات (٣٩ - ٤٤) قوله :

« وأما أنا أقول لكم : لا تقاوموا الشر . بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الأيسر أيضاً . ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء . ومن سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين . من سألك فأعطه . ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده ... أحبوا أعداءكم . باركوا لاعنيكم . احسنوا إلى مبغضيكم . وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم » .

وجاء في إنجيل متى نفسه الاصحاح العاشر آية (٣٤) ما يناقض هذا المبدأ تماماً إذ يقول المسيح كما يروى متى في الموضوع المذكور : « لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاماً على الأرض . ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً !؟ »

ويقول في الآية الخامسة والثلاثين من نفس الاصحاح : « فإنى جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حمايتها وأعداء الإنسان أهل بيته » !؟
ويروى لوقا في إنجيله الاصحاح الثانى عشر الآيات (٤٩-٥٣) ما هو أكثر تناقضاً ومعارضة لمبدأ السلام الذى اشتهر به السيد المسيح عليه السلام . وإليكم نص لوقا حرفياً :

« جئت لألقى ناراً على الأرض . فماذا أريد لو أضرمت . ولى صبغة اصطبغها . وكيف انحصرت حتى تكمل . أتظنون أنى جئت لأعطي سلاماً على الأرض . كلا ... !؟
أقول لكم . بل انقساما لأنه يكون من الآن خمسة فى بيت واحد منقسمين : ثلاثة على اثنين واثنان على ثلاثة : ينقسم الأب على الابن . والابن على الأب والأم على البنت والبنت على الأم . والحماة على كنتها والكنة على حمايتها » !؟ فهل يستقيم هذا الكلام : دعوى إلى السلام . ثم وضع النار والسيف والانقسام على الأرض .
أى المبدأين وضعه المسيح . وأى الكلامين هو الصحيح .. أليس هذا تناقضاً يا هوه ... !؟

ونكتفى بهذا فى إثبات التناقض بين نصوص الأناجيل نفسها مع أن فيها الكثير جداً من هذا القبيل . وما أردنا إلا ضرب المثل فما هو إذن التناقض الواقع بين العهدين القديم والجديد !؟ ذلك ما سوف نراه .

● ثانياً : تناقض الأناجيل مع التوراة :

وتصور هذا التناقض - قصداً للإيجاز المفيد - فى موضع واحد من الأناجيل فيه الدعوى والدليل .

جاء فى إنجيل متى الاصحاح الخامس ما يأتى :

« وقيل من طلب امرأته فليعطها كتاب طلاق . وأما أنا فأقول لكم ان من طلق امرأته إلا لعل الزنا يجعلها تزنى . ومن يتزوج مطلقة فانه يزنى » آية (٣١) وما بعدها .
 « أيضاً سمعتم أنه قيل للقدماء لا تحنث بل أوف للرب أقسامك أما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة . . . » آية (٣٣ - ٣٤) .
 « سمعتم أنه قيل عين بعين، وسن بسن وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر . . » آيات (٣٨ - ٤١) .

أليس في هذا نقض لشريعة موسى المعبر عنها بقيل للقدماء؟! فالطلاق في الموسوية جائز بلا قيد فأبطلت النصرانية ذلك الجوار العام وحصرته في علة الزنا .

وزواج المطلقة جائز في الموسوية وهو في النصرانية محظور بل هو زنا .
 والحلف جائز في الموسوية ممنوع في النصرانية؟
 والقصاص جائز في الموسوية بل هو واجب . وقد ألغيتموه في النصرانية .
 بل أن المسيح قد أحل السبت وعمل فيه . وهو عطلة أسبوعية في الموسوية .
 بل أنكم أوردتم على لسان المسيح تهجمه على الرسل السابقين عليه جميعاً فقلتم أنه قال :

« إنى أنا باب الخراف . جميع الذين أتوا قبلى هم سراق ولصوص » يوحنا الاصحاح العاشر آيتا (٧-٨) .

وفي نفس الوقت يستشهد المسيح بأنه مكتوب عنه في الأنبياء فإذا أبيتم أن يكون هذا، أو بعضه تناقضاً فهو على الأقل نسخ وسواء كان تناقضاً أو نسخاً فأنتم محجوجون به لأنكم رويتهم عن عيسى عليه السلام قوله : « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل » متى الاصحاح الخامس (١٧) .
 ونحن لا نستبعد أن يكون هذا هو قول المسيح . بل يجب أن يكون قوله ولكن الذى نستبعده أن يخرج المسيح عن الناموس أو الأنبياء أو يقول : « جميع الذين أتوا قبلى هم سراق ولصوص »؟! .

وحسبنا وحسبكم هذا . . والله نسأل - مخلصين - أن يهدينا إلى الحق الذى يرضاه . فهو وحده الذى يفصل بيننا فيما نحن فيه مختلفون . وأعملوا على شاكلتكم فإننا عاملون ؟! . . .

* * *

القسم الثالث

وثيقة : أى الاثنين أقدر ...؟!!

عرض .. ونقد

أى الاثنين أقدر ؟ عيسى أم محمد .. !!؟

لقد استباح واضعو هذه الوثيقة لأنفسهم فى التهجم على رسول الإسلام محمد ابن عبدالله - ﷺ - ما لم يستبحه « واضعو الوثيقتين الأولى والثانية . وإن كانت الوثيقة الثانية « استحالة تحريف الكتاب المقدس » قد خطت خطوات فى هذه « الاستباحة » ولكنها لم تبلغ ما بلغته هذه الوثيقة^(١) .

● مدخل الهجوم :

بدأت هذه الوثيقة بمدخل للهجوم على رسول الإسلام، قدمته بتمهيد أشارت فيه إلى بعض الحقائق التى يؤمن بها المسلمون والمسيحيون على حد تعبيرها . وبعد ذلك التمهيد القصير قال واضعوها^(٢) :

« ولكن إخواننا المسلمون يذهبون إلى أكثر من ذلك، فهم يضيفون أن بعد عيسى جاء محمد، وأنه خاتم الأنبياء، وأعظمهم، وأن دينه هو دين الحق، وأن من يتبعه فسوف ينجو من يوم الحساب، ويجب المسيحيون ويقولون: لا . لأن عيسى هو خاتم الأنبياء، وأنه أعظمهم وأفضلهم، وبفضله - فقط - تنجو البشرية .

ويردف واضعو الوثيقة فيقولون :

« لهذا يكون الفرق بين وجهتي النظر هو أن المسيحي يؤكد أن عيسى هو خاتم الأنبياء، فى حين أن المسلم يصر على العكس أنه محمد .. فلماذا لا نقارن بين وجهتي النظر ونتقبل أعظمهما شأنًا » ؟ . أ - هـ

كان هذا هو المدخل . ثم بدأت أولى خطوات الهجوم كما يأتى :

● مرحلة الولادة :

قارن واضعو الوثيقة بين مولدى رسول الإسلام ﷺ وعيسى عليه السلام أما مولد عيسى فهو معجزة فائقة أكسبته طهارة وقداسة .

وأما مولد محمد ﷺ فاسمع ما يقوله عنه واضعو وثيقة المقارنة .

« .. أن محمد ولد عن أب اسمه عبدالله، وسيدة اسمها آمنة، ولم يكن هناك شىء عظيم يبشر بولادته . وظل بعد ولادته عدة سنوات . لم تحدث خلالها معجزة،

(١) وضعنا فى المقدمة تعريفًا وافيا بهذه الوثيقة، يحسن بالقارىء أن يعود إليها قبل الأخذ فى القراءة هنا .

(٢) سنثبت النص كما هو وارد فيها بما فيه من أخطاء لغوية ونحوية مشيرين إليها بالبنط الثقيل .

حتى بلغ الأربعين عاماً، حيث ادعى نزول الملاك جبريل عليه، وتحدثه معه، ولكن حتى هذه اللحظة لم يكن هناك ما يبشر بأن محمداً سيكون نبياً من العظماء. وصحيح أن بعض الجهلة من المسلمين يروون القصص الخرافية حول ولادة النبي محمد (!) ولكن المسلم الذكي لا يجهل أنه لا يوجد في القرآن مثل هذه الخرافات! وأن هذه الأساطير ألفت فيما بعد!!؟

ثم يتوجه واضعو الوثيقة إلى المسلمين بهذا النداء :
 « فيا أيها المسلمون : أنكم تدعون أن القرآن كلام الله؟! لذلك فعليكم أن تعترفوا بأن ولادة المسيح كانت تمثل حادثاً عظيماً.. أن المسيحيين لا يقبلون القرآن، ولكنهم يتقبلون الإنجيل الذي تنبأ بهذا الحدث؟! »

وحصيلة ما في هذه الخطوة من مزاعم :

- كل من يولد من بشرين فهو ضيع آثم. ومن هؤلاء رسول الإسلام؟!؟
- ولادة رسول الإسلام لم تصحبها مبشرات ..؟!؟
- ومحمد رسول الإسلام - ﷺ لم يقم بمعجزات حتى بلغ الأربعين؟!؟
- رسول الإسلام ادعى أن جبريل نزل عليه وجاءه بوحى من الله ..؟!؟
- المسلمون أمام هذه المعجزات قسمان : جهلة يروون المعجزات حوله ..؟!؟
- وأذكياء يدركون أنها ضرب من التخريف لخلو القرآن منها ..؟!؟
- المسلمون يدعون أن القرآن كلام الله فعليهم أن يعترفوا بعظمة ولادة عيسى كما جاء فيه ..؟!؟

● المسيحيون لا يقبلون القرآن وإنما يتقبلون الإنجيل الذي تنبأ بهذا الحدث ..؟!؟ ونواجهه - الآن - النقطتين الأخيرتين - مطالبتنا بالاعتراف بعظمة ولادة عيسى عليه السلام. ثم نقطة تنبؤ الإنجيل بها. مرجئين بقية النقاط قليلاً فسيعود واضعو الوثيقة إليها - أيضاً - بعد قليل.

● مطالبتنا بالاعتراف بعظمة ولادة عيسى :؟!؟

يطالب واضعو الوثيقة المسلمين بأن يعترفوا بعظمة ولادة عيسى وقد بنوا هذه المطالبة على أساس أن المسلمين « يدعون أن القرآن كلام الله..؟!؟ يدعون هكذا. وما دام هذا القرآن المدعى (؟!؟) قد أشاد بحادث ولادة عيسى ابن مريم. فعلى المدعين، وهم المسلمون، أن يسلموا بعظمة تلك الولادة بناء على ادعائهم أن القرآن كلام الله؟!؟ ذلك ما يقوله واضعو الوثيقة وهم يحاورون خصومهم ..؟!؟

وكان أدب الجدل والحوار الموضوعى يقتضى منهم - لو كانوا حقاً موضوعيين فى حوارهم - أن يقولوا « يؤمنون » بدل « يدعون » لأن الإيمان بكون الله هو الذى أنزل القرآن - هو معتقد المسلمين وليس الادعاء كما يقول واضعوا الوثيقة الشيطانية الحاقدة وقصدتهم من هذا « الشطط » أو قل : الحمق والسفه . أن يخرجونا فى حلبة الصراع . وأن يكون جوابنا واحداً من اثنين وعلى كليهما فنحن المدانون .

● إذا قلنا لا نعترف بما تطالبوننا به فقد خرجنا عن تصديق وحى الله إلينا . وهذه كارثة يتمناها واضعو الوثيقة الحاقدة . . ؟

● وإذا قلنا نعترف قالوا فلم المكابرة والتمسك برسول الإسلام وها أنتم توافقوننا فى عقيدتنا . . وهذا إحراج يؤدى بنا إلى كارثة أخرى يتمناها واضعو الوثيقة . . ؟!

ولسنا فى هذه وتلك - يا سادة - فى موقف المجادل الذى يتخير الرد لكى يفحم خصمه . كلا والله . ولكننا قوم مؤمنون بحقيقة نعلنها دائماً ولا نخفيها ولا نخشى عقبي الجهر بها مهما كانت منزلتها عندكم فى حسابات الربح والخسارة أن إيماننا بأن مولد عيسى ابن مريم عبدالله ورسوله كان « معجزة » حقيقة لا يمارى فيها أحد .

ولن يحملنا جهل الجاهلين على التنكر لها مهما يرعوا فى أساليب المكر وحيل الاستفزاز ، ومهما أنساهم حقدهم على رجل « آتاه الله من فضله ، وكان فضل الله عليه عظيماً » مهما أنساهم ذلك الحقد أدب الحوار وموضوعية الحديث .

إننا نؤمن بأن ولادة عيسى ابن مريم كانت معجزة . ولكنها معجزة قد صنعها الله ولم يصنعها هو . وهى دليل على قدرة الله لا على قدرة أحد سوى الله .

إننا نؤمن بجلال هذه المعجزة التى أيد الله بها عبده ومربوبه ومخلوقه عيسى عليه السلام ، كما أيد غيره من الرسل بالمعجزات الباهرات . ومع إيماننا بهذا لا نضع عيسى عليه السلام إلا فى موضعه الذى وضعه فيه خالق الكائنات . عبد من عباد الله حملته سيدة بارة بإذن الله وأمر منه فعاش كما يعيش البشر فى طبيعتهم يأكل ويشرب ويصحو وينام ويشعر ويتألم وإن فضله الله على معاصريه بالوحي والرسالة . . ؟! ومع إيماننا بأن ولادة عيسى عليه السلام كانت معجزة .. فاعلها هو الله نؤمن بأن الله معجزات أخرى أدخل فى باب الاعجاز من المعجزة التى صاحبت ميلاده . فخلق حواء من آدم أدخل فى باب الاعجاز عند العقل من معجزة ميلاد عيسى عليه السلام .

ومعجزة خلق الله آدم أبا البشر أدخل في باب الإعجاز عند العقل من معجزتي
حواء وعيسى وإن كابر مكابرون !؟

وكون عيسى هكذا ولد .. وكونه كان يحيى الموتى بإذن الله، ويبرئ الأكمة
والأبرص بإذن الله: كونه - هكذا - فليس هو بأفضل من جميع الرسل. فضلا عن أن
يكون إلهًا. فالأفضلية لها معايير أخرى في هذا المجال - كما ستعرفون - بعد قليل -
وما من معجزة أيد الله بها عيسى عليه السلام ألا وقد أيد بمثلها أو بما هو أكثر إعجازا
منها رسلا آخرين. وقد ذكرنا من هذا القدر الكافي في غير هذا الموضع في الرد على
مقال البابا شنودة المتقدم ذكره.

فلسنا نحن الذين نطالب بالاعتراف، لأننا مؤمنون بالله وملائكته ورسله وكتبه
واليوم الآخر، لا نفرق بين أحد من رسله ونحن له مسلمون وعابدون؟
وإيماننا هذا - بكلياته وجزئياته - لا مجاملة فيه لأحد، ولا رهبة من أحد، وإنما
هو إيمان لحسابنا الخاص، لأننا تلقيناه من مصدر صادق أمين منصف، عن صادق
مصدق، لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

ولو أننا أدرنا هذا السؤال - المطالبة بالاعتراف - على الذين وجهوه لنا. فهل
نحن واجدون لديهم شجاعة أدبية يحميها رصيد صحيح من عقيدة قويمه أم الافلاس
أو الشطط هو الذى سيكون سيد الموقف !؟..

يحكى أن «بعوضة» جلست على طرف غصن من شجرة «جميز» ضخمة
مترامية الأطراف. ثم أرادت أن تطير، وكانت تحسب أن طيرانها سوف يقتلع الشجرة
من جذورها أو يحدث بها على الأقل - تلفا. فقالت تنصح الشجرة قبل أن تطير:

أيتها الشجرة تماسكى جيدا فقد عزمت على الطيران !؟..
وكان رد الشجرة: وعلى أى وريقاتى أنت تجلسين !؟..
وصدق الله العظيم القائل:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ
عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا * لَنْ يَسْتَكْفِرَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ
وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَكْفِرْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا *

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾
 [النساء : ١٧١ - ١٧٣] .

● تنبؤ الإنجيل بولادة عيسى ١٩٠٠!

لا تستغرب - أختي القارىء - من هذا العنوان، ولا تسيء الظن بنا أننا لم نفرته على واضعي وثيقة الحقد. فإن نصهم يقول بالحرف الواحد :
 « أن المسيحيين لا يقبلون القرآن، ولكنهم يتقبلون الإنجيل الذى تنبأ بهذا الحدث... ».

وموضع هذا النص هو الحديث عن عظمة ولادة عيسى. بل أن واضعي الوثيقة الحاقدة أشاروا إلى موضع ورودها فى الإنجيل^(١). فهاهم إذن يقولون أن الإنجيل تنبأ بذلك الحدث. أى ولادة عيسى عليه السلام ١٩٠٠!
 وهذا كلام إن أخذته بالطول وجدته غير مستقيم. وإن أخذته بالعرض وجدته غير مستقيم. وأن أخذته بالطول والعرض معا وجدته غير مستقيم.

كيف ١٩٠٠!

لأن التنبؤ بشيء معناه الإخبار بأمر سيكون قبل أن يكون، ولا معنى للتنبؤ غير هذا فى أية لغة يعرفها الإنسان، لأن تنبأ: تفعل أى تعاطى النبأ قبل أن يكون. وهو قريب من « تصنع » الشيء تكلفه لأن الأصل فى الإخبار أن يكون عما كان. فإن كان عما يكون فهو تنبؤ وليس بإخبار قطعاً.
 وعلى هذا فإن « المتنبئ » لابد أن يكون سابقاً فى الوجود على « المنبأ به » ضرورة.

وتطبيق هذا القانون على ما نحن فيه محتاج إلى هذا البيان:
 أولاً: ولد عيسى عليه السلام ثم نشأ كما نشأ الأطفال حتى بلغ رشده.
 ثانياً: أنزل الله وحيه على عيسى وأرسله رسولا إلى بنى إسرائيل. ووحى الله إلى عيسى هو المسمى « الإنجيل » كما سمي وحى الله السابق عليه على موسى « التوراة » وسمى وحى الله النازل على محمد ﷺ « القرآن » وهو آخر وحى لله.
 وبعد هذا البيان نسأل واضعي وثيقة الحقد:

(١) إنجيل لوقا الاصحاح الاول الآيات (٢٨ - ٣٦) من العهد الجديد.

كيف يتنبأ الإنجيل - إذن - بولادة عيسى، وعيسى عليه السلام كان قبل أن يكون الإنجيل؟

أيهما أسبق يا قوم عيسى أم الإنجيل؟! قطعاً لن يكون جوابكم أن الإنجيل أسبق وجوداً من عيسى. مع أن هذا هو شرط التسليم لكم بهذا التنبؤ...؟!
فإن قلتم أن الإنجيل أسبق ليصح لكم هذا التنبؤ. كنتم كمن يقول الأرض «فوق» والسماء «تحت» ومصير القائل بهذا معلوم؟! وإن قلتم - ولا بد أنكم قائلون - أن عيسى - عليه السلام - أسبق فإن دعوى تنبؤ الإنجيل بولادته، تظل أكذوبة الأكاذيب؟!!

وما دام عيسى عليه السلام كان أسبق وجوداً من الإنجيل فحديث الإنجيل عن ولادته إنما هو تسجيل لحادث وقع كما تسجل «الوثائق التاريخية» وقائع التاريخ ولا مفر من هذا القول لأنه هو التعبير الحق المصار إليه.
وإذا وصلنا إلى هذه «الدرجة» فإننا نقول لكم:
إن القرآن الحكيم قد سجل حادث ولادة عيسى عليه السلام باعتباره حدثاً عجبياً فيه لله معجزة. فهو لم يقصر في هذا الشأن.
فعلى أى وجه إذن التفرقة بين القرآن والإنجيل - هنا - بأنه أحدهما تنبأ بها «الإنجيل» ولذلك فإن المسيحيين يتقبلونه. ولكنهم لا يقبلون القرآن.
ليس في هذا ظلم منكم للقرآن وهو لكم منصف أمين؟!
● الناحية الفكرية :

وكانت الناحية الفكرية - على حد تعبير الوثيقة - هي الخطوة الثانية في الهجوم على رسول الإسلام. يقول واضعو الوثيقة في وصف رسول الإسلام «نجد أنه بفعل ولادته كسائر البشر ورث محمد من البشر طبيعتهم الآثمة... أما عيسى فكان ولادته معجزة فلا بد وأنه ورث طبيعة طاهرة لا غبار عليها...»
ومن الغريب أن واضعى الوثيقة مع زعمهم بأن رسول الإسلام لم ينزل عليه وحى بل هو ادعى ذلك أدعاء. مع هذا فإنهم عمدوا إلى آيات من القرآن الحكيم حملوها - ظلماً وحقداً - على ذم رسول الإسلام؟! وآيات أخرى منه حملوها - تعصباً وجهلاً - على مدح عيسى عليه السلام باعتباره فوق كل الأنبياء والرسل. وتلك هي المغالاة في الدين التي نصحهم القرآن، بل نهاهم عنها كما تقدم في سورة النساء فلم يسلم رسول السلام باعتباره فوق كل الأنبياء والرسل. وتلك المغالاة في

الدين التي فرقت بين الرسل في هذه الوثيقة بالنقد والتجريح والظعن وقبل ذلك ما تقدم في كتاب «الاستحالة»^(١) وما له عندهم من سبب سوى أنهم مولودون من بشرين آباء وأمهات. أما عيسى فلأنه مولود من أم بلا أب فهو سيد الجميع عند واضعي الوثيقة.

وإذا سلمنا لهم - جدلا - بأن أساس الولادة عن البشر عار يذم من أجله أنبياء الله ورسله. فإن لعيسى عليه السلام - فرضا - نصيب من ذلك الذم - لا محالة - لأنه ولد من أم بشرية. وإذا استحق محمد ﷺ ، أو أى رسول آخر سوى عيسى عليه السلام ١٠٠٪ من الذم لأنه مولود من بشرين. فإن عيسى عليه السلام - إعمالا - لهذا المبدأ الغريب - ٥٠٪ من الذم على الأقل!؟..

ومن هذا يبدو لنا واضحا مدى تجنى واضعي الوثيقة على أنبياء الله ورسله - جميعا - إذ يلزم من هذا المقياس ذمهم جميعا بلا استثناء أحد منهم، مع التفاوت - طبعا - بين أنصباء الذم، بين الـ ١٠٠٪ والـ ٥٠٪ على الفرض الذى قدمناه!؟.. لأن من لم يكن له أب منهم فله بالقطع أم!؟..

فهل أدرك واضعو الوثيقة شناعة هذه «المقولة» وما يترتب عليها من الإطاحة برسول الله جميعا ورميهم بالنقص، وهم المصطفون الأخيار.

● عودة إلى المعجزات :

وتعود الوثيقة إلى المقارنة بين الرسولين محمد بن عبد الله وعيسى ابن مريم صلي الله عليهما وسلم: من حيث المعجزات. ويقولون: أن عيسى عليه السلام قام بالمعجزات في حين أن محمدا ﷺ عجز عن ذلك!؟.. ثم يردفون: صحيح أن المسلمين يقولون أنه قسم القمر نصفين، وعدة معجزات أخرى، ولكننا بالتعمق والدراسة نكتشف أن قصص هذه المعجزات كتبت بعد مضي قرون^(٢) من وفاة الرسول محمد!؟..

وهنا يفتح القوم بابا على أنفسهم لا يستطيعون إبطاءه: فليسمعوا إذن ما نقول، وإن كان عندهم من علم فليخرجوه لنا:

يا قوم إننا لن نثير معكم موضوع المعجزات المادية التي وقعت لمحمد ﷺ. وإنما نقول لكم:

(١) انظر (ص ٤) من هذه المواجهة .

(٢) هذا طعن خفى فى القرآن لحيء هذه الحقائق فيه، فكانهم يقولون أن القرآن نفسه قد

كتب بعد وفاته عليه السلام بعدة قرون!؟..

إن محمدا الذي تدعون أنه لم يقم بمعجزات قط . مع أن عيسى عليه السلام قام
بعدة معجزات :

فأرونا إذن أين هي معجزات عيسى الآن ... ؟ صحيح أن من معجزاته - كما
يقول القرآن الأمين- إحياء الموتى . فأين هم الموتى الذين أحياهم عيسى؟! أنهم ماتوا
مرة أخرى!؟..!

وصحيح أنه كان يبرئ الأكمة والأبرص بإذن ربه . فأين هم الذين شفاهم
عيسى عليه السلام من أمراضهم!؟.. لقد ذهبوا - جميعا - إلى الأرض التي منها
خلقوا . وكان الموت هو مرض الأمراض أو جهيزة التي قطعت قول كل خطيب :

وما يقال في معجزات عيسى، يقال في معجزات سائر الأنبياء والرسول . ألم
يلتئم البحر الذي فلقه موسى بعصاه في نفس اليوم الذي انفلق فيه . أو لم تخمد نار
إبراهيم التي جعلها الله عليه بردا وسلاما .. أو لم ينحسر الطوفان الذي غمر الأرض
كلها تصديقا لدعاء نوح .. أو لم .. أو لم .. أو لم!؟..!

ومعجزات محمد عليه السلام التي هي من هذا النوع ومنها انشقاق القمر كما
تقولون، أسدل الستار عنها وكأنها لم تكن . لأن هذه المعجزات جميعا أدت المراد منها
في حينها وعند مشاهديها أو معاصري مشاهديها لأن الخبر بها إذ ذاك بلغ حد التواتر:
ثم أصبحت .. بعد - خيرا من الأخبار . يصدق بها من يؤمن بالله صانعها لأنه يثبت له
قدرة لا تعجز . ويتشكك فيها أو ينكرها من خلا قلبه من الإيمان أو ضعف إيمانه في
قلبه . أما استمرارها أو اعادةها فهو في علم الله محذور محذور لأن الله لا يجريها إلا على
يد رسول، وقد انتهى عصر الرسالات!؟..!

ولكن محمدا ﷺ، يتكلم وقد سكتت الرسل . وتبقى له معجزة المعجزات،
وقد ذهبت كل المعجزات .

إن معجزة محمد ﷺ الباقية الخالدة خلود رسالته وخلود السموات والأرض
هي : القرآن العظيم : المتلوة بكل لسان المحفوظة في الصدور . التي لم ينل من الدهر،
جديدة دائما، ظاهرة دائما يشهد لها بالفضل الأعداء قبل الأصدقاء . والمخالفون قبل
الموافقين . إعجازها يدرك من بنائها وتركيبها، ومعانيها وهدايتها، واتساقها مع الفطر
السليمة وموافقتها لمعطيات المعارف والعلوم، وشرحها لمظاهر الكون، وتقريرها
لنواميس الحياة . تغدو وتروح في سمو وشموخ كالشمس أو هي أثبت ظهورا لأن
الشمس تشرق وتغرب وهي مشرقة أبدا لا غروب لها . سامية فوق كل نقد، مهيمنة
فوق كل بيان .

قصت القصص فصدقت . وأرشدت إلى الحق فأصابته، وقررت فأحكمت، وأشارت إلى حقائق العلوم فوافقت . وها هي ذى تتحدى العصور والدهور فلا يزداد الفاقهون لها إلا يقينا، ولا الباحثون فيها إلا ثقة . لغتها لغة كل عصر، وهداها هدى كل حال، تتألق بالحق ويتألق الحق بها: تقنع العقول . وتمتع العواطف . وتغذى الوجدان، وتحفظ للإنسانية رصيدها الضخم من هداية السماء حيث لا أمين عليها غيرها ولا حارس لها سواها .

تلك هي معجزة محمد ﷺ الباقية ما بقى الدهر . فأرونا معجزة لرسول بقت بعد انتهاء دوره على الأرض، صالحة للفحص والدرس «الحضوري» .. أنه لا سبيل إلى ذلك إذا كان الرسول غير محمد . أما أن كان الرسول محمد ﷺ فنقول نعم أننا جاهزون . وتلك هي معجزته الصالحة للفحص والدرس الحضوري فأفحصوها وادرسوها، فإن كان الهدف هو الوصول إلى الحقيقة المحررة . فسترونها - بعد الفحص والدراسة الحضورية - محمدا الرسالة والرسالة ..؟! .

● وشهد شاهد من أهلها :

فإن قلت أن لنا بازاء القرآن كتابا مقدسا؟ قلنا لكم .. لا .. دعوا أمر هذا الكتاب المقدس فأنكم أول من تشكك فيه واتهمه بالزيادة والنقص وروايات الخيال والهوى والتناقض والتنافر ومجافاته للحقائق الإيمانية والعقلية .

وقد بدأ هذا الشك أو التشكك لديكم فى الكتاب المقدس منذ عهد الأب أوغسطين فى عصر ضارب فى القدم، فكان عند مطالعته التوراة يصطدم ببعض المشكلات النصية فيحتمل على تبرير بعضها، ويرجع ما لا حيلة فيه إلى سبب إنساني^(١)، وحين تقدمت المعارف الإنسانية، وكونت الثقافة العقلية مزاجا فكرياً عنيداً لدى بعض المثقفين الإنجيليين واصطدموا بما تقرره بعض نصوص الإنجيل من حقائق تابها حقائق العلم الحديث أدرك بعض الآباء خطورة هذه المشكلة، ومنهم الأب روجي - والنقل هنا من كتاب «دراسة» الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة - والأب روجي قد نصب نفسه للرد على قراء الإنجيل . ولكنه حتى مع تلك

(١) ننقل هذه الحقائق من كتاب «الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة» تأليف الأستاذ موريس بوكاي الفرنسى الأصل . (طبعة دار المعارف سنة ١٩٧٧) . مترجمة إلى اللغة العربية .

المحاولات من جانبه ، فإنه يعترف كما يقول الأستاذ موريس بوكاي - أن في الأناجيل نصوصا مبهمه غير مفهومة بل حتى متناقضة وعشية أو فاضحة»^(١) .

ويقرران معا : الأب روجي وموريس بوكاي . أن القراءة الكاملة لنصوص الأناجيل قادرة على إثارة اضطراب عميق لدى المسيحيين»^(٢) .

ويقول الأستاذ موريس ، وهو ما يزال على عقيدته النصرانية^(*) ، أنه في دراسته الثانوية في مدرسة كاثوليكية لم يكن يسمح لهم إلا بقراءة مقاطع مختارة من الأناجيل ، وأنه بعد الوقوف على خطورة المشكلات التي تترتب على قراءة النصوص الكاملة للأناجيل ، أدرك السرفي عدم اعطاء مدرسيهم لهم واجبات واسعة من الكتب المقدسة المسيحية . والسرفي كما يفصح عنه الأستاذ موريس هو أن تلك الكتب كان يمكن أن تقود الطلاب إلى طرح أسئلة على أساتذتهم يكون الرد عليها محرجا^(٣) . . . !؟

وينقل الأستاذ موريس رأى الأب كانينجر الذي يقول فيه : لم يعد واجبا الأخذ بحرفية الأحداث الواردة في الأناجيل عن السيد المسيح ، فهي كتابات « ظرفية » أو « خصامية »^(٤) !؟
ويقول : ا . كولمان في كتابه « العهد الجديد » في نهاية حديث طويل أنهاه بقوله :

« أن تجميع أقوال المسيح وربط الروايات بصيغ أسلوبية غامضة مثل : وبعد هذا ، وما أن إلخ . وبالاختصار اطار الأناجيل المتوافقة كل هذا أدبي الطابع وليس له أساس تاريخي »^(٥) .

ويوازن الأستاذ موريس بوكاي بين وجهة النظر عند هؤلاء الكتاب : روجي وكولمان ، وكانينجر وغيرهم في الاعتراف بهذا التناقض الذي تحفل به الأناجيل وبين وجهة نظر المجمع المسكوني للفاتيكان الثاني في دستوره العقائدي عن التنزيل ، والذي أعد فيما بين عامي ١٩٦٢ ، ١٩٦٥ م وقد جاء فيه :

« أن كنيسةنا الأم المقدسة قالت وتقول بحزم وثبات دائمين أن هذه الأناجيل الأربعة^(٦) التي تؤكد تاريخيتها دون أى تردد . تنقل بشكل أمين فعلا أقوال

(١) نفس المصدر ص ٦٥ .

(٢) نفس الموضوع .

(٣) المصدر نفسه (٦٥) .

(٤) المصدر نفسه ص ٦٨ .

(٥) المصدر نفسه ص (٧٧) .

(٦) متى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا .

(*) هذا كان حين صدور الطبعة الأولى من كتابنا هذا عام ١٩٨٠ م . ثم اسلم بعد ذلك

وحسن اسلامه .

وأفعال المسيح طيلة حياته بين البشر لخلاصهم الأبدى وإلى أن رفع إلى السماء...»^(١).

فالكنييسة - إذن - تختلف جذريا مع أولئك الكتاب ولكن الأستاذ موريس ينتصر لرأى الكتاب فيقول:

«إذا نظر القارئ إلى الأناجيل على أنها تعبير عن وجهات النظر الخاصة بجامعة التراث الشفهي^(٢) المنتمى إلى مختلف الجماعات. وإذا نظر إليها القارئ على أنها كتابات ظرفية أو خصامية^(٣)، فإنه لن يدهش عندما يجد في الأناجيل كل هذه العيوب التي هي علامة صنع الإنسان في مثل هذه الظروف»^(٤).

• أمثلة من الواقع :

وكفانا ما تقدم من أقوال في الوصف العام للأناجيل، مدحا أو قدحا فإن الذين تشككوا أن يكون ما في الإنجيل «الهيأ» أو حقيقة واقعة حملهم على ذلك التشكك وقائع وقفوا عليها في الأناجيل أنفسهم ونحن نذكر منها ما قالوه هم ولا نضيف شيئا إليه، لأن هدفنا هنا أن نبين آراءهم هم في كتابهم المقدس.

ويأتى على رأس تلك «المحيرات» مسألة نسب المسيح. ويتنبه الأستاذ موريس إلى حقيقة يشترك فيها كل مطلع على إنجيل متى ولوقا. ذلك أنهما اهتما ببيان نسب المسيح. فنجد لوقا يبتدىء النسب من آدم حتى يصل به إلى يوسف النجار خطيب مريم.

ومتى يبتدىء النسب من إبراهيم ويصل به إلى يوسف النجار أيضا. وإذا أغمضنا النظر عن الاختلافات الجوهرية في شجرتى النسب عند متى ولوقا فإن هناك مشكلة صعبة الحل جدا وهي:

أن عيسى عليه السلام ولد من أم «مريم» بدون وساطة لقاح أب فكيف إذن يستساغ أو يقبل أن يلصق نسب السيد المسيح برجل لم يعاشر أمه معاشرة زوجية قط. إنها مشكلة صعبة وحاشى أن يكون المسيح هو مملى هذه الشجرة لأى منهما فيدعى لنفسه أبا ليس هو أباه وليس له بأمه علاقة يكون ثمرتها هذا النسب.

(١) نفس المصدر ص ٧٩ .

(٢) إشارة إلى أن الأناجيل كتبت عن الرواية الشفهية بعد المسيح بزمن .

(٣) معنى الظرفية والخصومية هنا: الأهواء التي كانت تسيطر على مشاعر محرري الأناجيل.

(٤) دراسة الكتب المقدسة : المرجع السابق ص ٧٩ .

ويقول الأستاذ موريس تعليقا على هذا :

« تطرح شجرتا النسب اللتان يحتوى عليهما إنجيل متى ولوقا مشاكل تتعلق بالمعقولية والصحة .. هي مشاكل تخرج جدا المعلقين المسيحيين فهم يرفضون أن يروا فيها ما هو بجلاء نتاج للخيال الإنساني ... وبإحدى ذى بدء يجب ملاحظة أن هذين النسبين من جهة الرجال معدوم المعنى فيما يتعلق بالمسيح. ولو كان من الضروري إعطاء المسيح نسبا وهو وحيد أمه وليس له أب بيولوجى . فيجب أن يكون ذلك النسب من جهة مريم فقط»^(١).

ولا نظيل بالقارىء ونكتفى بالرأى الذى انتهى إليه الأستاذ موريس بوكاى فى نهاية نقده لموضوع نسب المسيح فى إنجيل متى ولوقا. وإليك عبارته ذات الدلالة العميقة التى أنهى بها نقده.

« لاشك أن نسب المسيح فى الأناجيل موضوع قد دفع المعلقين المسيحيين إلى بهلوانيات جدلية تكافىء الوهم والهوى عند كل من لوقا ومتى»^(٢).

ويستعرض الأستاذ موريس بعد هذا آراء الكتاب المسيحيين فى وجود الخيال والاختلاط والفوضى وعدم المعقولية فى روايات الأناجيل وخاصة فى الظواهر الآتية:

- ١- روايات آلام المسيح .
- ٢- ظهور المسيح بعد قيامته .
- ٣- صعود المسيح .
- ٤- أحاديث المسيح الأخيرة .

وأورد فى خاتمة هذا الفصل قوله :

« .. فخيالات متى » والتناقضات الصارخة بين الأناجيل، والأمور غير المعقولة، وعدم التوافق مع معطيات العلم الحديث، والتحريفات المتوالية للنصوص . كل هذا يجعل الأناجيل تحتوى على اصحاحات فقرات تنبع من الخيال الإنسانى وحده . لكن هذه العيوب لا تضع فى موضع الشك وجود رسالة المسيح . فالشكوك تخيم فقط على الكيفية التى جرت بها»^(٣).

وأقول أن ما يقرره الأستاذ موريس هنا يتفق تماما مع عقيدة المسلم الذى لم يقل فى الإنجيل إلا ما يقوله الأستاذ موريس وأمثاله . وبهذا يتضح أن المسلم لم يتهجم على الإنجيل وإنما يضعه فى نفس الموضع الذى يضعه فيه المعتدلون المنصفون من أبنائه وشيعته .

(١) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة (ص ١٠٥) .

(٢) نفس المصدر ص (١١٦) . (٣) نفس المصدر ص (١٣١) .

فالكتاب المقدس عن هؤلاء أشبه ما يكون بعمل ملحمى روائى . تدور الصورة المجسمة فيه حول حادثة وقعت بالفعل، ثم نماها العمل الملحمى الروائى واستولدها كثيرا من الوقائع والأحداث، بل هى شبيهة عندهم بملحمة رولان قائد جيس شارلمان الذى كانت مهمته حماية حدوده ضد الشعوب المجاورة . لأن بين الحادثة – كما وقعت فى الحقيقة، وبينها كما يصورها العمل الروائى بونا شاسعاً . فهى واقعة صحيحة . وضخامة الرواية التى أخرجتها لا يمحو وقوع الحادثة^(١) .

ورسالة عيسى عليه السلام واقعة حقيقة لا يرتاب فيها مؤمن، ولكن كتاب الأنجيل أضافوا حولها الكثير مما لا تثبت صحته أمام معطيات المعرفة الحديثة والعقل الفاحص .

● وشهد شاهد من غير أهله :

لقد نقلنا فى إيجاز بالغ – بعض صور النقد الموضوعى الذى أبداه الأستاذ موريس بوكاى حول وقائع الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، كما نقل ما انتهى عليه الرأى عند بعض الكتاب المسيحيين الغربيين، وما أثر عن بعض آباء المسيحية القدامى مثل الأب أوغسطين عرضنا كل ذلك فى إيجاز شديد وأمانة خالصة . بل أننا قررنا أننا لا نرى فى الكتاب المقدس أكثر مما يراه فيه هؤلاء المعتدلون . والآن فلنعرض فى إيجاز وأمانة أيضاً شهادة الأستاذ موريس بوكاى للقرآن . وهى شهادة عادلة ومخلصة ما كنا نطمع فيها من مثله، وإنما يبدو أن الرجل باحث مجرد من كل هوى . ولهذا فإن شهادته فى الموضوعين اتسمت بالاعتدال الرائع . وإليكم البيان :

● صحة النص القرآنى وسموه على كل نقد :

من الأمور المهمة التى طرقها الأستاذ موريس بوكاى فى كتابه العظيم هو ثبات صحة النص القرآنى سنداً ومعنى . وفى ذلك يقول :

« صحة القرآن التى لا تقبل الجدل تعطى النص مكانة خاصة بين كتب التنزيل ولا يشترك مع نص القرآن فى هذه الصحة لا العهد القديم ولا العهد الجديد »^(٢) .

– يعنى التوراة والإنجيل – وقد تحدث باستفاضة عن طريق توثيق النص القرآنى فى مراحل جمعه المختلفة، وكونه كان محفوظاً فى الصدور مكتوباً فى الألواح منذ لحظة نزوله حتى جمع فى المصحف الشريف .

(١) انظر نفس المصدر ص (١٣١) .

(٢) دراسة الكتب المقدسة : ص (١٥١) .

ويثبت في الصفحات الأولى من كتابه المذكور سلامة النص القرآني من حيث معناه مقارنة بمعطيات العلم الحديث، فيقول بالحرف الواحد :
« لقد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم، وذلك دون أى فكر مسبق، وبموضوعية تامة باحثاً عن درجة اتفاق نص القرآن، ومعطيات العلم الحديث . وكنت أعرف قبل هذه الدراسة، وعن طريق الترجمات أن القرآن يذكر أنواعاً كثيرة من الظواهر الطبيعية، ولكن معرفتي كانت وجيزة . ويفضل الدراسة الواعية للنص العربى^(١) استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوى على آية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم فى العصر الحديث .
ثم يقول مقارنة هذه الحقيقة ذات الدلالة الخاصة بما أسفرت عنه دراسته الكتاب المقدس بعهديه :

« وبنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم والأنجيل، أما بالنسبة للعهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول أى سفر التكوين، فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخاً فى عصرنا^(٢) .

وبعد أن يورد على الأنجيل مثلما أورد على التوراة نراه يقول :
« غير أن وجود هذه الأمور المتناقضة، وتلك التى لا يحتملها التصديق، وتلك الأخرى التى لا تتفق والعلم، لا يبدو لى أنها تستطيع أن تضعف الإيمان بالله ولا تقع المسئولية فيها إلا على البشر، ولا يستطيع أحد أن يقول كيف كانت النصوص الأصلية، وما نصيب الخيال والهوى فى عملية تحريرها، أو ما نصيب التحريف المقصود من قبل كتبة هذه النصوص، أو ما نصيب التعديلات غير الواعية التى أدخلت على الكتب المقدسة^(٣) وأن ما يصد منا حقا فى أيامنا هذه أن نرى المتخصصين فى دراسة النصوص يتجاهلون ذلك التناقض والتعارض من الحقائق العلمية الثابتة^(٤) .

(١) هذه العبارة تحتل معنيين . أحدهما أن يقصد المؤلف منها القرآن نفسه . والثانى أن يكون المراد منها الاطلاع على القرآن فى لغته العربية وليس عن طريق الترجمة .

(٢) نفس المصدر ص (١٣) .

(٣) يقصد : التوراة والأنجيل وملحقاتها .

(٤) نفس المصدر ص (١٤) .

● اتفاق المعارف الحديثة مع مقررات القرآن :

وينتقل الأستاذ موريس بوكاي إلى ذكر أمثلة متعددة أستقر عليها الوضع في المعارف الحديثة والمعاصرة، تتفق تماماً مع مقررات القرآن فيها. ونضع أمام القارئ ثبنا مجردا لتلك الأمثلة كما جاءت في الكتاب المذكور، ثم نختار منها واحدا نذكره بالتفصيل منتهين إلى ما أنتهى إليه الطبيب والباحث المجرد الموضوعى من نتائج رائعة. أما الثبت المجرد لتلك الأمثلة فهو على الوجه التالى :

خلق السموات والأرض - علم الفلك فى القرآن - تأملات عامة فى السماء
طبيعة الأجرام السماوية - البنية السماوية - تطور العالم السماوى غزو الفضاء -
الأرض - آيات ذات مرمى عام - دورة الماء والبحر تضاريس الأرض - الجو الأرضى -
عالم النبات وعالم الحيوان - أصل الحياة - المادة بعض المعلومات - التناسل الإنسانى
فى القرآن - القرآن والتربية الجنسية - طوفان نوح - خروج موسى من مصر ...» .
هذه رعوس موضوعات تشير إلى بحوث ممتعة ومقنعة جدا ليس من الميسور
إيجازها هنا .

● معنى «أمشاج» فى القرآن الحكيم :

ذكر الأستاذ موريس بوكاي ضمن الآيات التى تتحدث عن «التناسل الإنسانى»

فى القرآن الحكيم قوله تعالى :

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾

[الإنسان: ٣]

وتحدث وهو طبيب عن معنى كلمة « أمشاج » الواردة فى الآية الحكيمة. وبعد نقله لآراء العلماء الأقدمين فيها، وهى محصورة فى اختلاط ماء الرجل بماء الأنثى، بين ما توصل إليه العلم الحديث فى هذا الشأن . فقال :

« يتشكل السائل المنوى من إفرازات مختلفة تاتى من الغدد التالية:

(أ) الخصيتان : يحتوى إفراز الغدة التناسلية للذكر على الحيوانات المنوية وهى

خلايا مستطيلة مزودة بهذب طويل، وتسبح فى سائل مصلي .

(ب) الحويصلات المنوية : تخزن هذه الأعضاء الحيوانات المنوية وتقع على

مقربة من البروستاتا، وتفرز إفرازا خاصاً .

(ج) البروستاتا : وتفرز سائلا يعطى للسائل المنوى قوامه الغليظ، ورائحته الخاصة .

(د) الغدد الملحققة بالمسالك البولية، وهى الغدد المعروفة باسم كوبر، أو ميرى وتفرز سائلا جاريا، وغدد ليترى وتفرز المخاط .

تلك هى أصول هذه «المخاليط» الأمشاج التى يبدو فعلا أن القرآن يتحدث عنها^(١) .

ومعنى هذا أن العلم الحديث قد كشف عن المعنى الدقيق الذى أراده القرآن من كلمة «أمشاج» ولهذا فإن المعنى الذى وقف عنده القدماء وهو خلط ماء الرجل بماء المرأة يصبح متوازنا أمام حقائق العلم الحديث . فالنطفة هى وحدها «أمشاج» سواء خلطت بماء المرأة أو لم تخلط . هذا هو الصحيح لأن الكلمة نفسها جاءت فى الآية وصفها لـ «نطفة» وليس وصفا لها بعد مزجها بماء المرأة فى الرحم :

● مؤدى هذا التوافق بين العلم ومقررات القرآن :

وقد انتهى الأستاذ موريس بوكاى من هذه الدراسة التى أثبتت التوافق التام بين مقررات القرآن ومكتشفات العلم الحديث إلى ما ينتهى إليه كل باحث موضوعى فى هذا الوحي الأمين . وندع القارئ يسمع بنفسه ما يقوله هذا الباحث المنصف .

« أن القرآن وقد استأنف التنزيلين اللذين سبقاه، لا يخلو فقط من متناقضات الرواية، وهى السمة البارزة فى مختلف صياغات الأناجيل، بل هو يظهر أيضاً - لكل من يشرع فى دراسته بموضوعية وعلى ضوء العلوم - طابعه الخاص، وهو التوافق التام مع المعطيات العلمية الحديثة: بل أكثر من ذلك - وكما أثبتنا - يكتشف القارئ فيه مقولات ذات طابع علمى من المستحيل أن إنسانا فى عصر محمد ﷺ قد استطاع أن يؤلفها . وعلى هذا فالمعارف الحديثة تسمح بفهم بعض آيات القرآن التى كانت بلا تفسير صحيح حتى الآن»^(٢) .

ثم يقول فى نفس الموضع :

« .. لذا فمن المشروع تماما أن ينظر إلى القرآن على أنه تعبير الوحي من الله وأن تعطى له مكانة خاصة جدا حيث أن صحته أمر لا يمكن الشك فيه وحيث أن احتواءه على المعطيات العلمية المدروسة فى عصرنا تبدو وكأنها تتحدى أى تفسير وضعى » .

(١) نفس المصدر ص ٢٢٩ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٨٦ .

هذا قليل من كثير مما يصف به الباحثون الموضوعيون من غير المسلمين القرآن الحكيم .

أنه وحى لاشك فيه ، سام فوق كل نقد، حق لا باطل فيه . فهل يقال بعد ذلك أن محمدا ﷺ منتحل للقرآن، أو يقال أنه لم يأت بمعجزات . وأى معجزة يتطلبها البشر تفوق معجزة القرآن المتعددة الوظائف . المستمرة فى عطائها وهيمنتها فيما توحى به وتقرر . ذلكم هو الحق فليراجع الذين يكفرون بهذه الحقيقة أنفسهم . وليعلموا أن نكرانهم لهذا الحق الأبلج ليس بضائر محمدا ﷺ . ولكن أنفسهم يضررون .

● موت محمد ، وحياة عيسى عليهما السلام :

هذه هى الخطوة الرابعة والأخيرة فى سلم التهجم على رسول الإسلام عند واضعى وثيقة «أى الاثنين أقدر ..! عيسى أم محمد ..!؟» وبالرد عليها نكون قد أنهينا واجبنا فى هذه «المواجهة» للوثائق الثلاث التى تقدم التعريف بها فى المقدمة . وهذه هى صورة الاتهام كما يصورها واضعو الوثيقة فى قولهم . «فقد مات محمد كمثل بقية البشر، فلقد ولد مثل البشر، ومات مثل البشر.. وبعد موته دفن وفنى جسده (١) مثل أجساد بقية البشر ..» .

ثم يستشهد واضعو الوثيقة على استمرار حياة عيسى عليه السلام بالآيات الآتية :

﴿ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ خُذْ بِكَرْسِيِّكَ فَرُفِعْكَ إِلَى ... ﴾ [آل عمران : ٥٥] وقوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام :

﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم : ٣٣] وقوله تعالى حكاية عن عيسى أيضاً :

﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ [المائدة : ١١٧] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلْبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء : ١٥٧] .

ومن الغريب حقا أن واضعى الوثيقة يعتبرون الموت إحدى صور العقاب الواقع من الله على الآثمين (٢١) .

ودفعا لهذا كله نقول فى إيجاز :

أنا لا نمارى فى موت كل مخلوق بلا استثناء أحد ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن : ٢٦-٢٧].

فرسول الله محمد ﷺ مات . أى نعم، مات كما مات من قبل رسل الله . ولكن موت محمد ﷺ لم يكن عقابا وقع عليه من الله لأنه آثم (!) بل لأن هذه هى سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا .

وعيسى أمات أم هو مازال حيا؟! ونشطر الحديث هنا ثلاث شطرات بحسب الأديان السماوية الثلاثة المعروفة الآن . اليهودية - المسيحية - الإسلام .

أما بالنسبة لليهودية فإن اليهود لا يعترفون - قط - برجل أسمه عيسى أو المسيح أرسل إليهم من عند الله - لقد خلت كل وثائقهم الدينية من الإشارة إليه كما يعترف بذلك الفيلسوف اليهودى دلفنسون بل أنه ليقول أن اليهود تعمدوا حذف ما يختص بعيسى عليه السلام من وثائقهم التاريخية حتى لا يسبب لهم ذكره مضايقات من اتباعه النصارى . ولهذا فإن يوسف القائد خلا تاريخه من النص عليه، وقد كتب تاريخ يوسف القائد عام ٧١م^(١) .

إذن فمسألة حياة المسيح أو موته لا وجود لها فى الديانة اليهودية؟! وأما النصرانية فاعتقادهم الجازم أن المسيح قتل وصلب بيد اليهود فهو إذن قد مات مقتولا مصلوبا . فإذا وازنا بين موت محمد ﷺ ، وبين موت عيسى عليه السلام - كما يعتقد النصارى - ثم جاريناهم فى أن الموت عقاب فإن شدة العقاب الواقعة على عيسى تفوق بأضعاف مضاعفة نوع العقاب الذى وقع على محمد صلى الله عليهما وسلم فكلاهما مات . وأن كان الموت واحدا فإن الطرق المؤدية إليه مختلفة فعيسى - على عقيدتهم - مات مصلوبا قتيلا - أما محمد عليهما السلام فقد مات موتا عاديا .

أن هذا الفرض يلزمهم بلا ريب إعمالا لمقياسهم الذى وضعوه أساسا فى المفاضلة .

ولن يستطيعوا أن يقولوا أن عيسى لم يصلب ولم يقتل . لأنهم لو قالوا هذا لما بقى لديهم من النصرانية شىء قط . فما النصرانية إلا صلب وقتل؟! .

(١) أنظر قصص الأنبياء للأستاذ النجار .

وإذ كان الواقع - لديهم - هو ذاك فعلام - إذن - يتخذون من محمد رسول الإسلام - ﷺ - منفذا للطعن فيه - أسلب القوم عقولهم؟! أم توهموا أن عقولنا هي المسلوبة ..؟!
وأما الإسلام فإن الأمر فيه مختلف عن اليهودية والنصرانية معا فعيسى عليه السلام حدث له أمران : توفية ورفع، ولكن أيهما أسبق هنا يأتى الخلاف :
فأرى يقول - وهو الأصوب والذي تؤيده النصوص - أن الله توفاه ثم رفعه .
ورأى يقول : أن الله رفعه . وهل توفاه فور الرفع، أم هو مازال حيا لم يموت .
وسوف يموت قبل البعث . رأيان فى هذا الشأن .
والذى تنصيره النصوص هو أن الله توفى عيسى ثم رفعه . لقول تعالى :
﴿ مَتُوفِيكَ وَرَافِعِكَ إِلَيْنَا ﴾ .

والواو وأن كانت مجرد العطف فاحتمال الترتيب فيها بين متعاطفيها إحدى دلالاتها : ويقوى إرادة الترتيب هنا قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام، « كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم » ولو كان الرفع هو الذى حدث بلا وفاة لما صح قوله : « فلما توفيتنى » بل لقال : « فلما رفعتنى » وهذا لم يحدث فدل على أن الموت كان هو الأسبق من الرفع^(١) .
أما مسألة ادعاء النصارى - كما يعبر عنها واضعو الوثيقة بأن المسيح قام بعد ثلاثة أيام من قتله وصلبه . فهذا مدفوع بإحدى الآيات التى ارتضوها شاهدا لهم على ما يقولون وهى « السلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » .
وما دام واضعو الوثيقة قد ارتضوا هذه الآية شاهدا فليسمعوا دلالتها إذ هى تهدم كل ما بنوه من أصل عقيدتهم : وهى :
أن المسيح قتل وصلب فداء للبشرية، ثم قام من قبره فجر الأحد وهو اليوم الثالث لقتله وصلبه . ومن هذا أخذ النصارى شارة الصليب، وعيد القيامة المجيد .
ونحن نقول لهم إن هذه الآية تنفى أن يكون المسيح قد قام من قبره على التسليم لكم بأنه قد قتل وصلب، لأنها تفيد أن للمسيح يوم ميلاد واحد ويوم موت واحد، ويوم بعث واحد، فليس له ميلادان ولا موتان ولا بعثان . وتأملوا معنا جيدا . .
يوم ولدت، ويوم أموت، ويوم أبعث حياً^(٢) .

(١) أطمع أن يكون هذا الفهم توجيها جديدا لهذه المسألة إذ لم أره لاحد !
(٢) وأطمع أن يكون هذا من الجديد فى الحوار - كذلك - إذ لم ينبه عليه أحد .

أما الآية الأخرى التى استشهدوا بها وهى قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ ﴾
فما داموا هم قد ارتضوها شاهداً - كذلك - فليسمعوا دلالاتها: وهى : لا صلب
ولا قتل وقع على عيسى عليه السلام، بل نجاه الله من ذلك كله، ورفع عيسى فوق
مكرهم وكيدهم .

وهاتان الآيتان، هذه التى تقدمتها دلالتها هكذا :

« لا قتل ولا صلب، ولا ميلادان، ولا موتان ولا بعشان » فإذا رفضتم هذه
« المعطيات » فما لنا معكم إلا هذا القول :

وليس يصح فى الأذهان شىء إذا احتاج النهار إلى دليل !؟

* * *

علامات استفهام...؟؟؟

بدت لنا، ونحن نمارس حقنا في مواجهة هذه الوثائق الثلاث . علامات استفهام من الأحرى إبرازها استكمالاً لصور المواجهة نفسها وبعض هذه العلامات سنجيب عليه بأمانة، أما البعض الآخر فسنتكفى بمجرد تصوره، لأننا لا نملك الإجابة عليه، أو نملكها، ولكن بقاءه - هكذا - استفهاماً - بلا جواب - هو الجواب نفسه .!؟

وأولى علامات الاستفهام هذه، هي :

● كيف بدأت هذه الوثائق؟ وكيف انتهت .!؟

الجواب :

● كان قصارى جهد الوثيقة الأولى أن تبرز أهم العقائد التي يخالف الإسلام فيها النصرانية، ثم تقييم الدليل على صحتها بآيات من القرآن نفسه كعقيدة سلامة الكتاب المقدس من التحريف، وعقيدة التثليث، وألوهية عيسى عبدالله ورسوله. وقد مارست الوثيقة نوعاً خفياً من التعريض برسول الإسلام، وبعض العقائد الإسلامية التي ذهب إلى التدليل على صحتها!؟

● ثم بدأت الوثيقة الثانية - كتاب الاستحالة - بنفس القضايا التي أثارها البابا في مقاله . ولكنها عمقت ووسعت دوائر الحديث عنها . ثم أضافت إليها قضايا أخرى لم ترد في المقال . وأكثرت من سوق النصوص الإسلامية قرآناً في الأغلب، وأحاديث شريفة، وأقوالاً لمفكرين إسلاميين، وخاصة المفسرين، ثم عمدت إلى بعض صور العقائد والعبادات والمعاملات الإسلامية وادعت أنها تقوم على أساس «التثليث» النصراني وقد سبقت مواجهتنا لهذه الادعاءات كلها في مظانها .

وأبرز ما في هذه الوثيقة التعريض برسول الإسلام، وبعرض خصائص الإسلام نفسه . وقد تكفلت بتجسيم شأن هذا التعريض الجداول التي عقدها مخرجو كتاب الاستحالة للمقارنة بين موسى ومحمد، من جهة، وعيسى ومحمد من جهة أخرى . عليهم صلوات الله وسلامه جميعاً، ثم المقارنة بين عقائد وتشريعات الأناجيل، وبين خصائص الإسلام وتشريعاته . والمقارنة بين مواضع في التوراة وأخرى من القرآن الحكيم مدعين أن القرآن اقتبس تلك المواضع من التوراة، ومواضع من الأناجيل وأخرى من القرآن بين القرآن والتوراة، أو القرآن والأناجيل!؟

على أن وجه التعريض - هنا - قد كان سافراً إلى أبعد الحدود، ولكنه مغلف بغشاء رقيق من الحيلة والتذاكي .

وإذا كانت الوثيقة الأولى قد سبقت فى الترتيب الزمنى . الوثيقة الثانية فإن الوثيقة الثانية قد سبقت الوثيقة الثالثة فى الترتيب الزمنى أيضا .

● وأبرز ما فى الوثيقة الثالثة هو التعريض برسول الإسلام . وهو تعريض وقح بلغ من السفاهة حدا ملحوظا . وقد أشرنا إلى أسس المقارنة الأربعة التى ابتكرتها هذه الوثيقة وأدارت الأمر عليها . وهذه المقارنات جميعا سواء ما ورد منها فى كتاب الاستحالة ، أو وثيقة أى الاثنى عشر! فإن رسول الإسلام فيها هو «الخاسر» إذا كانت المقارنة بينه وبين موسى أو عيسى عليهم السلام . والقرآن هو «المدان» إذا كانت المقارنة بين القرآن والتوراة ، أو القرآن والأنجيل!؟

وبناء على هذا - وغيره - فإن الوثائق الثلاث تبنت فكرة التعريض بالإسلام ورسوله . هادئة فى الأولى - صاخبة فى الثانية ، وقحة بذئعة فى الثالثة . .؟ وهذا يسلمنا إلى علامة الاستفهام الثانية . وهى :

● ما أوجه التشابه - بعد - بين هذه الوثائق الثلاث . .؟

والجواب :

أن أوجه التشابه بين هذه الوثائق الثلاث وثيقة العرى . وأبرزها أنها تحاول نصره «شئ» على حساب «شئ» آخر . وأنها فى سبيل الوصول إلى هذه «النصرة» عدت على «سلاح» من أرادت خذلانه واستعملته لنصرة من أرادت نصرته . فما من وثيقة منها إلا وعدت على نصوص القرآن الحكيم . فأخذت منها ما توهمت أنه «ناصرها» وتركت منها ما اعتقدت أنه «خاذلها» بل أن فيها - جميعا - نصوصا وردت بعينها لم تخل منه وثيقة منها .

وهى حين عدت على تلك النصوص حرفت معانيها لتخضع لمرادها فى غير حياء أو ضبط . على أن الخط الفكرى هو الرابط لأطوار هذه الوثائق جميعا وأن اختلفت الأساليب الجزئية من وثيقة إلى أخرى مع ملاحظة أن الوثائق كلها ، يخيل إليك^(١) أن واضعها واحد ظهر فى أدوار مختلفة حسب خطة «المخرج» إذ أن الصراع فى الوثيقة الثالثة قد بلغ حد «الالتهاب» وقد ساعد عليه أنها لم توقع من أحد معين . فهى «قذيفة» أطلقها مجهول متوار فى الظلام ، ولهذا فإنه استباح لنفسه ما لم تستبحه الوثيقتان الأولى والثانية لأن مصدريهما معلومان!؟

(١) ونأمل أن يظل الأمر فى دائرة الخيال .

• أما علامة الاستفهام الثالثة والأخيرة هي :

ولماذا الإسلام والمسلمون ؟

نعم . لماذا الإسلام والمسلمون ؟ هل هم أشرف من في الأرض ؟ لكي يعلن ضدهم الجهاد المقدس ، أو هل هم ظلموا أحدا فهو يثار لنفسه ليقترض لها منهم قصاصا عادلا ..!؟

أما كان أولى بهذه الجهود أن توجه لمحاربة الاحاد والفساد المستشري في الأرض؟! أما كان أولى بها أن توجه لمحاربة الفقر، والمرض، والجهل وهي ميادين فسيحة لكل جهد مبذول، وعمل مشكور؟! أكل من على الأرض صالح إلا المسلمون فهم المفسدون؟! أكل النظم عادلة مستقيمة إلا الإسلام فهو المعوج؟!؟

لماذا هذا كله ضد الإسلام والمسلمين ، وهم يعترفون لغيرهم بأنهم أهل كتاب لهم حقوق لا تمس : وحرية اعتقاد وعبادة لا تصادر . أجزاء الإسلام على اعترافه هو التنكر له، وعلى عدله هو الظلم له، وعلى تسامحه هو التعصب ضده ..!؟

إن كان لابد للنصرانية أن تنمى أعداد متبعتها فهناك دول يبلغ سكانها الملايين كانوا نصارى فألحدوا . فعلى جهود المبشرين أن توجه إليهم لتعيدهم من إلحادهم إلى دين آبائهم، وهو هدف - لو تحقق - فالكسب فيه مشروع .

وهناك بقاع في الأرض فيها من خلق الله الكثيرون، يعيشون هملا بلا عقيدة صحيحة فليولوا وجوههم شطرها، ويحولوا ميدان التنافس إليها . ولو أنهم فعلوا لما لامهم أحد .!؟

إن الذي لا نفهمه، ولا نقبله أن نسلب حقا نحن نقر « خصومنا » على مثله . ولا نرى لهم علينا إلا المعاملة بالحسنى، مادنا على وجه الأرض أحياء . تاركين سلطة الفصل فيما نختلف فيه لله وحده . فهو وحده المختص به : ويوم يفصل ، تجف الأقدام، وتطوى الصحف، ويقضى بينهم بالحق . ويقال الحمد لله رب العالمين .

* * *

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة الطبعة الثانية:
٧	تقديم
٧	القرآن والمسيحية
	القسم الأول :
١٣	وثيقة البابا المنشورة بمجلة الهلال
	القسم الثانى :
٧١	وثيقة استحالة تحريف الكتاب المقدس
١٦٢	نصوص من الكتاب المقدس
١٩٩	بشاراته - ﷺ - فى التوراة
٢٠٢	بشاراته - ﷺ - فى الإنجيل
	القسم الثالث :
٢١٥	وثيقة أى الاثنى عشر أقدر عيسى أم محمد؟
٢٣٦	علامات استفهام
٢٣٩	الفهرس:
٢٣٩	

هذا الكتاب

● الإسلام منذ بعث الله به رسوله الكريم محمداً ﷺ، كان هدفاً لسهام خصومة، وساعة كان القرآن ينزل، فواجه القرآن كل الطوائف التي تطاولت عليه، واجههم فأفحمهم، وكشف زيفهم وآباطيلهم، ورد كيدهم في نحورهم.

● بالبيان الساطع لا بالسيف القاطع، فذهبوا هم وبقي الإسلام يواصل مسيرته عبر الدهور، حاملاً ألوية الحق، داحراً شبهات وأغاليط المناوئين لكل رسالات الرسل، عبر التاريخ النبوي كله.

● وها هو التاريخ يعيد نفسه، فتنبى جيوش من المبشرين (المنصرين) والمستشرقين، ليطفئوا نور الله المتمثل في الإسلام. ولكن هيهات هيهات. فالإسلام كتب الله له شهادة «ميلاد» ولن يكتب له شهادة «وفاة» ما بقيت السماوات والأرض.

● وفي هذا الكتاب مواجهة صريحة لما أشير من قبل، وما يشار الآن من شبهات تُعيد بها الطعن في الإسلام، سواء نشرت في كتب، أو بثت على «النت» أو من خلال أشرطة الكاسيت، أو من بعض الفضائيات.

● واجه الكتاب كل هذه «التراكمات» بالعقل والنقل، والحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن.

● ومكتبة وهبة يسرها أن تقدم هذا الكتاب لشباب العالم الإسلامي المستهدف بتلك الأعمال العدوانية التي يراد منها فتنة المسلمين في دينهم، والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.